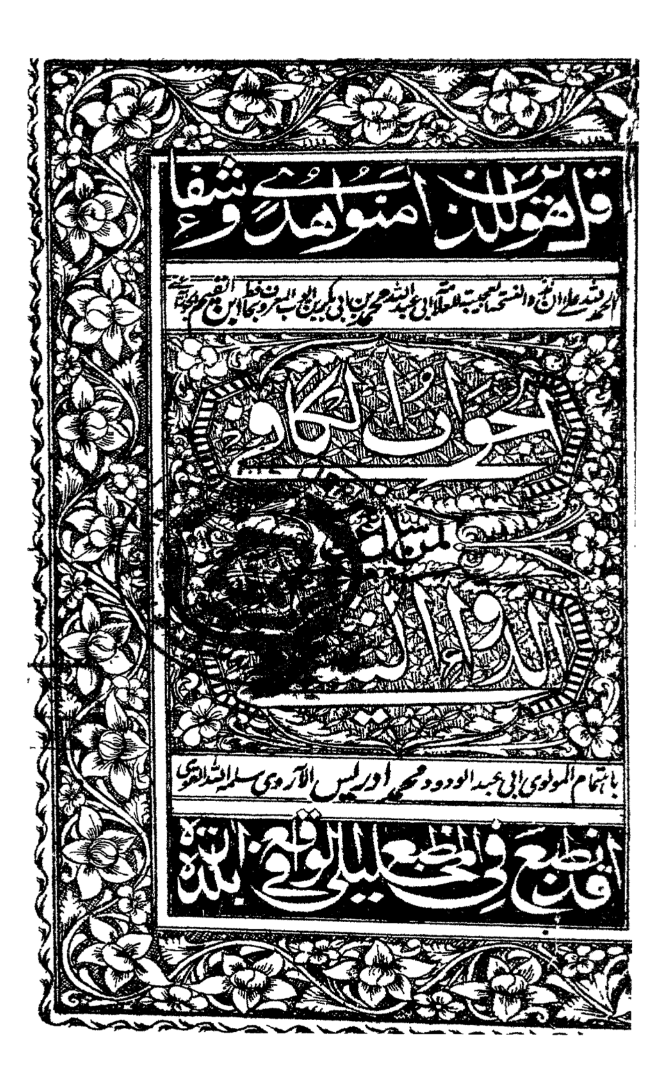
داخلہ نمبر	۷۳۹۴
فن نمبر	زراعت
کتاب نمبر	۱۲۹



قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء
الحمد لله على أن تم هذه النسخة العجيبة للعلامة أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بحافظ ابن القيم رحمه الله
الجواب الكافي
لمن سأل عن الدواء الشافي
باهتمام المولوي أبي عبد الودود محمد إدريس الآروي سلمه الله القوي
انطبع في المطبع العليمي الواقع في بلدة آره

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل الشيخ الامام العالم العلامة المتقن الحافظ الناقد شمس الدين ابو عبد الله محمد
الصالح ابى بكر عرف بابن القيم الجوزية رضي الله عنه ما تقول السادة العلماء ائمة
رضي الله عنهم اجمعين في رجل ابتلي ببلية وعلم انها ان استمرت به افسدت دنياه وآخرته وقد اجتهد
في دفعها عن نفسه بكل طريق فما يزداد الا توقدا وشدة فما الحيلة في دفعها وما الطريق الى كشفها
فرحم الله من اعان مبتلى والله في عون العبد ما كان العبد في عون اخيه افتونا مأجورين

فكتب الشيخ رضي الله عنه تحت السؤال الجواب الحمد لله اما بعد فقد ثبت في صحيح البخاري من حديث
ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما انزل الله داء الا انزل له شفاء وفي صحيح مسلم
من حديث جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل داء دواء فاذا
اصيب دواء الداء برأ باذن الله وفي مسند الامام احمد من حديث اسامة بن شريك
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله لم ينزل داء الا انزل له شفاء علمه من
من جهله وفي لفظ ان الله لم يضع داء الا وضع له شفاء او دواء الا داء واحدا قالوا
ما هو قال الهرم قال الترمذي هذا حديث صحيح وهذا يعم ادواء القلب والروح
وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم الجهل داء وجعل دواءه سؤال العلماء
من حديث جابر بن عبد الله قال خرجنا في سفر فاصاب رجلا منا

ثم احتلم فسأل اصحابه فقال هل تجدون لی رخصة فی التیمم قالوا ما نجد لک رخصة وانت
تقدر علی الماء فاغتسل فمات فلما قدمنا علی رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم اخبر بذلک
فقال قتلوه قتلهم اللہ الا سألوا اذ لم یعلموا فانما شفاء العی السؤال انما کان یکفیه ان یتیمم
ویعصر او یعصب علی جرحه بخرقة ثم یمسح علیها ویغسل سائر جسده فاخبر ان الجهل داء وان
شفاءه السؤال وقد اخبر سبحانه عن القرآن انه شفاء فقال اللہ تعالی ولو جعلناه قرآنا
اعجمیا لقالوا لولا فصلت آیاته أ اعجمی وعربی قل هو للذین آمنوا هدی وشفاء وقال وننزل
من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنین ومن ههنا لبیان الجنس لا للتبعیض فان القرآن
کله شفاء کما قال فی الآیة الاخری فهو شفاء للقلوب من داء الجهل والشک والریب فلم
ینزل اللہ سبحانه من السماء شفاء قط اعم ولا انفع ولا اعظم ولا انجع فی ازالة الداء من القرآن
وقد ثبت فی الصحیحین من حدیث ابی سعید قال انطلق نفر من اصحاب النبی صلی اللہ
علیه وسلم فی سفرة سافروها حتی نزلوا علی حی من احیاء العرب فاستضافوهم فابوا
ان یضیفوهم فلدغ سید ذلک الحی فسعوا له بکل شئ لا ینفعه شئ فقال بعضهم لو اتیتم هؤلاء
الرهط الذین نزلوا لعله ان یکون عند بعضهم شئ فاتوهم فقالوا یا ایها الرهط ان سیدنا
لدغ وسعینا له بکل شئ لا ینفعه فهل عند احد منکم شئ فقال بعضهم نعم واللہ انی لارقی ولکن
واللہ استضفناکم فلم تضیفونا فما انا براق حتی تجعلوا لنا جعلا فصالحوهم علی قطیع من الغنم
فانطلق یتفل علیه ویقرأ الحمد للہ رب العلمین فکانما نشط من عقال فانطلق یمشی وما به
قلبة فاوفوهم جعلهم الذی صالحوهم علیه فقال بعضهم اقتسموا فقال الذی رقی لا تفعل حتی
نأتی النبی صلی اللہ علیه وسلم فنذکر له الذی کان فننظر بما یأمرنا فقدموا علی رسول اللہ صلی اللہ
علیه وسلم فذکروا له ذلک فقال وما یدریک انها رقیة ثم قال قد اصبتم اقتسموا واضربوا
لی معکم سهما فقد اثر هذا الدواء فی هذا الداء وازاله حتی کان لم یکن وهو اسهل دواء وایسره ولو
احسن العبد التداوی بالفاتحة لرأی لها تاثیرا عجیبا فی الشفاء ومکثت بمکة مدة تعترینی ادواء
ولا اجد طبیبا ولا دواء فکنت اعالج نفسی بالفاتحة فاری لها تاثیرا عجیبا فکنت اصف
ذلک لمن یشتکی الما وکان کثیر منهم یبرأ سریعا ولکن ههنا امر ینبغی التفطن له وهو ان الاذکار

والآيات والادعية التي يستشفى بها ويرقا بها هي في نفسها نافعة شافية ولكن تستدعي قبول المحل وقوة همة الفاعل وتأثيره فمتى تخلف الشفاء كان لضعف تأثير الفاعل او لعدم قبول المنفعل او لمانع قوي فيه يمنع ان ينجع فيه الدواء كما يكون ذلك في الادوية والادواء الحسية فان عدم تأثيرها قد يكون لعدم قبول الطبيعة لذلك الدواء وقد يكون لمانع قوي يمنع من اقتضائه اثره فان الطبيعة اذا اخذت الدواء بقبول تام كان انتفاع البدن به بحسب ذلك القبول وكذلك القلب اذا اخذ الرقاء والتعاويذ بقبول تام وكان للراقي نفس فعالة وهمة مؤثرة في ازالة الداء وكذلك الدعاء فانه من اقوى الاسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب ولكن قد يتخلف عنه اثره اما لضعفه في نفسه بان يكون دعاء لا يحبه الله لما فيه من العدوان واما لضعف القلب وعدم اقباله على الله وجمعيته عليه وقت الدعاء فيكون بمنزلة القوس الرخو جداً فان السهم يخرج منه خروجاً ضعيفاً واما لحصول المانع من الاجابة من اكل الحرام والظلم ورين الذنوب على القلوب واستيلاء الغفلة والسهو واللهو وغلبتها عليها كما في صحيح الحاكم من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة واعلموا ان الله لا يقبل دعاء من قلب غافل لاه فهذا دواء نافع مزيل للداء ولكن غفلة القلب عن الله تبطل قوته وكذلك اكل الحرام يبطل قوته ويضعفها كما في صحيح مسلم من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها الناس ان الله طيب لا يقبل الا طيبا وان الله امر المؤمنين بما امر به المرسلين فقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً اني بما تعملون عليم وقال يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث اغبر يمد يديه الى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فانى يستجاب لذلك وذكر عبد الله ابن احمد في كتاب الزهد لابيه اصاب بني اسرائيل بلاء فخرجوا مخرجاً فاوحى الله عز وجل الى نبيهم ان اخبرهم انكم تخرجون الى الصعيد بابدان نجسة وترفعون الي اكفا قد سفكتم بها الدماء وملأتم بها بيوتكم من الحرام الآن حين اشتد غضبي عليكم ولن تزدادوا مني الا بعداً وقال ابو ذر يكفي من الدعاء البر ما يكفي الطعام من الملح

فصل

والدعاء من انفع الادوية وهو عدو البلاء يدافعه ويعالجه ويمنع نزوله ويرفعه او يخففه اذا نزل وهو سلاح المؤمن كما روى الحاكم في صحيحه من حديث علي بن ابي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السموات والارض وله مع البلاء ثلث مقامات احدها ان يكون اقوى من البلاء فيدفعه الثاني ان يكون اضعف من البلاء فيقوى عليه البلاء فيصاب به العبد ولكن قد يخففه وان كان ضعيفا الثالث ان يتقاوما ويمنع كل واحد منهما صاحبه وقد روى الحاكم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغني حذر من قدر والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وان البلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان الى يوم القيمة وفيه ايضا من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعاء وفيه ايضا من حديث ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يرد القدر الا الدعاء ولا يزيد في العمر الا البر وان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه

ينفع

٥

فصل

ومن انفع الادوية الالحاح في الدعاء وقد روى ابن ماجة في سننه من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يسئل الله يغضب عليه وفي صحيح الحاكم من حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تعجزوا في الدعاء فانه لا يهلك مع الدعاء احد وذكر الاوزاعي عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الملحين في الدعاء وفي كتاب الزهد للامام احمد عن قتادة قال قال مورق ما وجدت للمؤمن مثلا الا رجل في البحر على خشبة فهو يدعو يا رب يا رب لعل الله عز وجل ان ينجيه

فصل

ومن الآفات التي تمنع ترتب اثر الدعاء عليه ان يستعجل العبد ويستبطئ الاجابة فيستحسر ويدع الدعاء وهو بمنزلة من بذر بذرا او غرس غرسا فجعل يتعاهده ويسقيه فلما استبطأ

[illegible] ابی بکر ... احمد فی ... بخاری من حدیث ابی ہریرہ ان رسول اللہ صلی اللہ علیہ
وسلم قال یستجاب لاحدکم مالم یعجل یقول دعوت فلم یستجب لی وفی صحیح مسلم عنہ لایزال
یستجاب للعبد مالم یدع باثم او قطیعۃ رحم مالم یستعجل قیل یارسول اللہ ما الاستعجال قال
یقول قد دعوت وقد دعوت فلم ار یستجاب لی فیستحسر عند ذاک ویدع الدعاء وفی مسند
احمد من حدیث انس قال قال رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم لایزال العبد بخیر مالم یستعجل
قالوا یارسول اللہ کیف یستعجل قال یقول قد دعوت لربی فلم یستجب لی ۞

فصل

واذا اجتمع مع الدعاء حضور القلب وجمعیتہ بکلیتہ علی المطلوب وصادف وقتاً من اوقات
الاجابۃ الستۃ وہی الثلث الاخیر من اللیل وعند الاذان وبین الاذان والاقامۃ وادبار
الصلوات المکتوبات وعند صعود الامام یوم الجمعۃ علی المنبر حتی تقضی الصلوۃ وآخر ساعۃ
بعد العصر من ذلک الیوم وصادف خشوعاً فی القلب وانکساراً بین یدی الرب وذلاً لہ
وتضرعاً ورقۃ واستقبل الداعی القبلۃ وکان علی طہارۃ ورفع یدیہ الی اللہ تعالی وبدأ
بحمد اللہ والثناء علیہ ثم ثنی بالصلوۃ علی محمد عبدہ صلی اللہ علیہ وسلم ثم قدم بین یدی حاجتہ
التوبۃ والاستغفار ثم دخل علی اللہ والح علیہ فی المسئلۃ وتملقہ ودعاہ رغبۃ ورہبۃ وتوسل
الیہ باسمائہ وصفاتہ وتوحیدہ وقدم بین یدی دعائہ صدقۃ فان ہذا الدعاء لایکاد یرد ابداً
ولاسیما ان صادف الادعیۃ التی اخبر النبی صلی اللہ علیہ وسلم انہا مظنۃ الاجابۃ او انہا
متضمنۃ للاسم الاعظم فمنہا مافی السنن وفی صحیح ابن حبان من حدیث عبداللہ بن بریدۃ
عن ابیہ ان رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم سمع رجلاً یقول اللہم انی اسألک بانی
اشہد انک انت اللہ لاالہ الا انت الاحد الصمد الذی لم یلد ولم یولد ولم یکن لہ کفواً احد
فقال لقد سأل اللہ بالاسم الذی اذا سئل بہ اعطی واذا دعی بہ اجاب وفی لفظ لقد
سألت اللہ باسمہ الاعظم وفی السنن وصحیح ابی حاتم بن حبان ایضاً من حدیث انس
ابن مالک انہ کان مع رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم جالساً ورجل یصلی ثم دعا فقال اللہم
انی اسألک بان لک الحمد لاالہ الا انت المنان بدیع السموات والارض یاذا الجلال

والاکرام یا حیّ یا قیوم فقال النبی صلی اللہ علیہ وآلہ وسلم لقد دعا اللہ باسمہ العظیم الذی
اذا دعی بہ اجاب واذا سئل بہ اعطی واخرج الحدیثین احمد فی مسندہ وفی جامع الترمذی
من حدیث اسماء بنت یزید ان النبی صلی اللہ علیہ وسلم قال اسم اللہ الاعظم فی
ہاتین الآیتین والٰھکم الٰہ واحد لا الٰہ الا ہو الرحمٰن الرحیم وفاتحۃ آل عمران الٓمٓ اللہ لا الٰہ
الا ہو الحیّ القیوم قال الترمذی ہذا حدیث حسن صحیح وفی مسند احمد وصحیح الحاکم من حدیث
ابی ہریرۃ وانس بن مالک وربیعۃ بن عامر عن النبی صلی اللہ علیہ وسلم انہ قال الظوا
بیا ذا الجلال والاکرام یعنی تعلقوا بہا والزموہا وداوموا علیہا وفی جامع الترمذی من حدیث
ابی ہریرۃ ان النبی صلی اللہ علیہ وسلم کان اذا اہمّہ الامر رفع رأسہ الی السماء واذا
اجتہد فی الدعاء قال یا حیّ یا قیوم وفیہ ایضاً من حدیث انس بن مالک قال کان
النبی صلی اللہ علیہ وسلم اذا کربہ امر قال یا حیّ یا قیوم برحمتک استغیث وفی صحیح الحاکم
من حدیث ابی امامۃ عن النبی صلی اللہ علیہ وسلم قال اسم اللہ الاعظم فی ثلث سور
من القرآن البقرۃ وآل عمران وطٰہٰ قال القاسم فالتمستہا فاذا ہی آیۃ الحی القیوم وفی
جامع الترمذی وصحیح الحاکم من حدیث سعد بن ابی وقاص عن النبی صلی اللہ علیہ وسلم
قال دعوۃ ذی النون اذ دعا وہو فی بطن الحوت لا الٰہ الا انت سبحانک انی کنت من
الظالمین انہ لم یدع بہا مسلم فی شیٔ قط الا استجاب اللہ لہ قال الترمذی حدیث صحیح وفی
صحیح الحاکم ایضاً من حدیث سعد عن النبی صلی اللہ علیہ وسلم الا اخبرکم بشیٔ اذا نزل
برجل منکم امر مہم فدعا بہ یفرج اللہ عنہ دعاء ذی النون وفی صحیحہ ایضاً عنہ انہ سمع النبی صلی اللہ
علیہ وسلم وہو یقول ہل ادلکم علی اسم اللہ الاعظم دعاء یونس فقال رجل یا رسول اللہ ہل
کان لیونس خاصۃ فقال الا تسمع قولہ فاستجبنا لہ ونجیناہ من الغم وکذلک ننجی المؤمنین
فایما مسلم دعا بہا فی مرضہ اربعین مرۃ فمات فی مرضہ ذلک اعطی اجر شہید وان برأ
برأ مغفوراً لہ وفی الصحیحین من حدیث ابن عباس ان رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم
کان یقول عند الکرب لا الٰہ الا اللہ العظیم الحلیم لا الٰہ الا اللہ رب العرش العظیم لا الٰہ
الا اللہ رب السموات ورب الارض رب العرش الکریم وفی مسند الامام احمد من حدیث

علی بن ابی طالب رضی اللہ عنہ قال علمنی رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم اذا نزل بی کرب
ان اقول لا الٰہ الا اللہ الحلیم الکریم سبحان اللہ وتبارک اللہ رب العرش العظیم والحمد للہ رب
العٰلمین وفی مسندہ ایضاً من حدیث عبد اللہ بن مسعود قال قال رسول اللہ صلی اللہ
علیہ وسلم ما اصاب احداً قط ہم ولا حزن فقال اللّٰہم انی عبدک ابن عبدک ابن
امتک ناصیتی بیدک ماض فی حکمک عدل فی قضاؤک اسالک اللّٰہم بکل اسم ہو لک
سمیت بہ نفسک او علمتہ احداً من خلقک او انزلتہ فی کتابک او استأثرت بہ فی علم الغیب عندک ان
تجعل القرآن العظیم ربیع قلبی ونور صدری وجلاء حزنی وذہاب ہمی الا اذہب اللہ ہمہ
وحزنہ وابدلہ مکانہ فرحاً فقیل یا رسول اللہ الا نتعلمہا قال بل ینبغی لمن سمعہا ان یتعلمہا
وقال ابن مسعود ما کرب نبی من الانبیاء الا استغاث بالتسبیح وذکر ابن ابی الدنیا فی کتاب
المجابین فی الدعاء عن الحسن قال کان رجل من اصحاب النبی صلی اللہ علیہ وسلم
من الانصار یکنیٰ ابا معلق وکان تاجراً یتجر بمال لہ ولغیرہ ویضرب بہ فی الآفاق وکان
ناسکاً ورعاً فخرج مرۃ فلقیہ لص متقنع فی السلاح فقال لہ ضع ما معک فانی قاتلک
قال فما ترید الا دمی فشانک والمال قال اما المال فلی ولست ارید الا دمک قال اما اذا ابیت
فذرنی اصلی اربع رکعات قال صل ما بدا لک فتوضأ ثم صلی اربع رکعات فکان من
دعائہ فی آخر سجدۃ ان قال یا ودود یا ذا العرش المجید یا فعال لما ترید اسالک بعزک
الذی لا یرام وبملکک الذی لا یضام وبنورک الذی ملأ ارکان عرشک ان تکفینی شر
ہذا اللص یا مغیث اغثنی یا مغیث اغثنی یا مغیث اغثنی ثلث مرات فاذا ہو بفارس
اقبل بیدہ حربۃ قد وضعہا بین اذنی فرسہ فلما بصر بہ اللص اقبل نحوہ فطعنہ فقتلہ ثم
اقبل الیہ فقال قم فقال من انت بابی انت وامی فقد اغاثنی اللہ بک الیوم فقال
انا ملک من اہل السماء الرابعۃ دعوت فسمعت لابواب السماء قعقعۃ ثم دعوت بدعائک الثانی فسمعت لاہل السماء ضجۃ ثم
دعوت بدعائک الثالث فقیل لی دعاء مکروب فسألت اللہ ان یولینی قتلہ قال
الحسن فمن توضأ وصلی اربع رکعات ودعا بہذا الدعاء استجیب لہ مکروباً کان او غیر مکروب

فصل

[illegible] وربما قوم فاستجيب لهم فيكون قد اقترن بالدعاء ضرورة صاحبه واقباله على الله او حسنة تقـ[illegible] جعل الله سبحانه اجابة دعوته شكراً لحسنته او صادف الدعاء وقت اجابة ونحو ذ[illegible] [illegible]يبت دعوته فيظن الظان ان السر في لفظ ذلك الدعاء فيأخذه مجرداً عن تلـ[illegible] [illegible]تي قارنته من ذلك الداعي وهذا كما اذا استعمل رجل دواء نافعاً في الوقت الذي ينبغي على الوجه الذي ينبغي فانتفع به فظن غيره ان استعمال هذا الدواء مجرده كاف في حصول المطلوب كان غالطاً وهذا موضع يغلط فيه كثير من الناس ومن هذا قد يتفق دعاؤه باضطرار عند قبر فيجاب فيظن الجاهل ان السر للقبر ولم يعلم ان السر للاضطرار وصدق اللجاء الى الله فاذا حصل ذلك في بيت من بيوت الله كان افضل واحب الى الله

فصل

والادعية والتعوذات بمنزلة السلاح والسلاح بضاربه لا بحده فقط فمتى كان السلاح سلاحاً تاماً لا آفة به والساعد ساعد قوي والمانع مفقود حصلت به النكاية في العدو ومتى تخلف واحد من هذه الثلاثة تخلف التاثير فان كان الدعاء في نفسه غير صالح او الداعي لم يجمع بين قلبه ولسانه في الدعاء او كان ثم مانع من الاجابة لم يحصل الاثر

۹

فصل

وههنا سؤال مشهور وهو ان المدعو به ان كان قد قدر لم يكن بد من وقوعه دعا به العبد او لم يدع وان لم يكن قد قدر لم يقع سواء سأله العبد او لم يسأله فظنت طائفة صحة هذا السؤال فتركت الدعاء وقالت لا فائدة فيه وهؤلاء مع فرط جهلهم وضلالهم متناقضون فان طرد مذهبهم يوجب تعطيل جميع الاسباب فيقال لاحدهم ان كان الشبع والري قد قدرا لك فلا بد من وقوعهما اكلت او لم تاكل وان لم يقدرا لم يقعا اكلت او لم تاكل وان كان الولد قد قدر لك فلا بد منه وطئت الزوجة والامة او لم تطأها وان لم يقدر لم يكن فلا حاجة الى التزويج والتسري وهلم جرا فهل يقال هذا عاقل او آدمي بل الحيوان البهيم مفطور على مباشرة الاسباب التي بها قوامه وحياته فالحيوانات اعقل وافهم من هؤلاء الذين هم كالانعام بل هم اضل سبيلاً وتكايس بعضهم وقال الاشتغال بالدعاء من باب التعبد المحض يثيب الله عليه الداعي من غير ان يكون له تاثير في المطلوب بوجه ما ولا فرق عند هذا الكيس بين الدعاء والامساك عنه بالقلب واللسان في التاثير في

حصول المطلوب وارتباط الدعاء عندهم به كارتباط السكوت ولا فرق
الیس من ہؤلاء بل الدعاء علامة مجردة نصبها الله سبحانه امارة على قضاء الحاجة فمتى وفق
العبد للدعاء كان ذلك علامة له وامارة على ان حاجته قد قضيت وہذا كما اذا رأيت غيماً
اسود بارداً في زمن الشتاء فان ذلك دليل وعلامة على انه يمطر قالوا وہكذا حكم الطاعات
مع الثواب والكفر والمعاصي مع العقاب ہي امارات محضة لوقوع الثواب والعقاب لا انها
اسباب له وہكذا عندہم الكسر مع الانكسار والحرق مع الاحراق والازہاق مع القتل ليس
شيء من ذلك سبباً البتة ولا ارتباط بينه وبين ما يترتب عليه الا بمجرد الاقتران العادي
لا التأثير السببي وخالفوا بذلك الحس والعقل والشرع والفطرة وسائر طوائف العقلاء بل اضحكوا
عليهم العقلاء والصواب ان ہہنا قسماً ثالثاً غير ما ذكره السائل وہو ان ہذا المقدور قدر باسباب
ومن اسبابه الدعاء فلم يقدر مجرداً عن سببه ولكن قدر بسببه فمتى اتى العبد بالسبب وقع
المقدور ومتى لم يأت بالسبب انتفى المقدور وہذا كما قدر الشبع والري بالاكل والشرب
وقدر الولد بالوطء وقدر حصول الزرع بالبذر وقدر خروج نفس الحيوان بذبحه وكذلك
قدر دخول الجنة بالاعمال ودخول النار بالاعمال وہذا القسم ہو الحق وہذا الذي حرمه السائل
ولم يوفق له وحينئذ فالدعاء من اقوى الاسباب فاذا قدر وقوع المدعو به بالدعاء لم يصح
ان يقال لا فائدة في الدعاء كما لا يقال لا فائدة في الاكل والشرب وجميع الحركات والاعمال
وليس شيء من الاسباب انفع من الدعاء ولا ابلغ في حصول المطلوب ولما كان الصحابة
رضي الله عنهم اعلم الامة بالله ورسوله وافقههم في دينه كانوا اقوم بہذا السبب وشروطه وآدابه
من غيرہم وكان عمر رضي الله عنه يستنصر به على عدوه وكان اعظم جنده وكان يقول للصحابة
لستم تنصرون بكثرة وانما تنصرون من السماء وكان يقول اني لا احمل ہم الاجابة ولكن
ہم الدعاء فاذا الہمت الدعاء فان الاجابة معه واخذ ہذا الشاعر فنظمه فقال ؎
لو لم ترد نيل ما ارجو واطلبه ✿ من جود كفيك ما علمتني الطلبا ✿ فمن الہم الدعاء فقد اريد
به الاجابة فان الله سبحانه يقول ادعوني استجب لكم وقال واذا سألك عبادي عني
فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان وفي سنن ابن ماجه من حديث ابي ہريرة

أمله عود تمنى

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يسأل الله يغضب عليه وهذا يدل على
ان رضاه في سؤاله وطاعته واذا رضي الرب تبارك وتعالى فكل خير في رضاه كما ان
كل بلاء ومصيبة في غضبه وقد ذكر الامام احمد في كتاب الزهد اثرا انا الله لا اله الا انا اذا رضيت
باركت وليس لبركتي منتهى واذا غضبت لعنت ولعنتي تبلغ السابع من الولد وقد دل العقل
والنقل والفطرة وتجارب الامم على اختلاف اجناسها ومللها ونحلها على ان التقرب الى
رب العلمين وطلب مرضاته والبر والاحسان الى خلقه من اعظم الاسباب الجالبة
لكل خير واضدادها من اكبر الاسباب الجالبة لكل شر فما استجلبت نعم الله واستدفعت
نقمة الله بمثل طاعته والتقرب اليه والاحسان الى خلقه وقد رتب الله سبحانه حصول
الخيرات في الدنيا والآخرة وحصول الشرور في الدنيا والآخرة في كتابه على الاعمال ترتيب
الجزاء على الشرط والمعلول على العلة والمسبب على السبب وهذا في القرآن يزيد على الف
موضع فتارة يرتب الحكم الخبري الكوني والامر الشرعي على الوصف المناسب له كقوله تعالى
فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين وقوله فلما آسفونا انتقمنا منهم وقوله والسارق
والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا وقوله ان المسلمين والمسلمات الى قوله والذاكرين
الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما وهذا كثير جدا وتارة ترتبه عليه بصيغة الشرط
والجزاء كقوله تعالى ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيأتكم ويغفر لكم وقوله وان لو
استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا وقوله فان تابوا واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فاخوانكم
في الدين ونظائره وتارة يأتي بلام التعليل كقوله ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب وقوله
لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وتارة يأتي باداة كي التي للتعليل كقوله
كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم وتارة يأتي بباء السببية كقوله تعالى ذلك بما قدمت ايديكم
وقوله بما كنتم تعملون وبما كنتم تكسبون وقوله ذلك بانهم كفروا بآياتنا وتارة يأتي بالمفعول لاجله ظاهرا
او محذوفا كقوله فرجل وامراتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احدهما فتذكر احدهما
الاخرى وكقوله تعالى ان تقولوا انا كنا عن هذا غافلين وقوله ان تقولوا انما انزل الكتاب
على طائفتين من قبلنا اي كراهة ان تقولوا وتارة يأتي بفاء السببية كقوله فكذبوه فعقروها

فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها وقوله فعصوا رسول ربهم فاخذهم اخذة رابية وقوله فكذبوهما
فكانوا من المهلكين ونظائره وتارة يأتي باداة لما الدالة على الجزاء كقوله فلما آسفونا انتقمنا منهم
ونظائره وتارة يأتي بانّ وما عملت فيه كقوله انهم كانوا يسارعون في الخيرات وقوله في ضد
هؤلاء انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين وتارة يأتي باداة لولا الدالة على ارتباط ما قبلها
بما بعدها كقوله فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون وتارة يأتي بلو الدالة
على الشرط كقوله ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وبالجملة فالقرآن من اوله الى آخره
صريح في ترتب الجزاء بالخير والشر والاحكام الكونية والامرية على الاسباب بل ترتب
احكام الدنيا والآخرة ومصالحهما ومفاسدهما على الاسباب والاعمال ومن تفقه في هذه المسألة
وتأملها حق التأمل انتفع بها غاية النفع ولم يتكل على القدر جهلاً منه وعجزاً وتفريطاً واضاعةً
فيكون توكله عجزاً وعجزه توكلاً بل الفقيه كل الفقيه الذي يرد القدر بالقدر ويدفع القدر
بالقدر ويعارض القدر بالقدر بل لا يمكن الانسان ان يعيش الا بذلك فان الجوع والعطش
والبرد وانواع المخاوف والمحاذير هي من القدر والخلق كلهم ساعون في دفع هذا القدر بالقدر وهكذا
من وفقه الله والهمه رشده يدفع قدر العقوبة الاخروية بقدر التوبة والايمان والاعمال
الصالحة فهذا وزان القدر المخوف في الدنيا وما يضاده فرب الدارين واحد وحكمته واحدة
لا يناقض بعضها بعضاً ولا يبطل بعضها بعضاً فهذه المسألة من اشرف المسائل لمن عرف
قدرها ورعاها حق رعايتها والله المستعان لكن يبقى عليه امران بهما تتم سعادته وفلاحه
احدهما ان يعرف تفاصيل اسباب الشر والخير ويكون له بصيرة في ذلك بما يشهده في العالم
وما جربه في نفسه وغيره وما سمعه من اخبار الامم قديماً وحديثاً ومن انفع ما في ذلك تدبر
القرآن فانه كفيل بذلك على اكمل الوجوه وفيه اسباب الخير والشر جميعاً مفصلة مبينة
ثم السنة فانها شقيقة القرآن وهي الوحي الثاني ومن صرف اليهما عنايته اكتفى بهما من
غيرهما وهما يريانك الخير والشر واسبابهما حتى كانك تعاين ذلك عياناً وبعد ذلك فاذا
تأملت اخبار الامم وايام الله في اهل طاعته واهل معصيته طابق ذلك ما علمته من القرآن
والسنة ورأيته بتفاصيل ما اخبر الله به ووعد به وعلمت من آياته في الآفاق ما يدلك على ان

القرآن حق وان الرسول حق وان الله ينجز وعده لا محالة فالتاريخ تفصيل لجزئيات ما عرفنا الله ورسوله من الاسباب الكلية للخير والشر

فصل

الامر الثاني ان يحذر مغالطة نفسه على هذه الاسباب وهذا من اهم الامور فان العبد يعرف ان للمعصية والغفلة من الاسباب المضرة له في دنياه وآخرته ولا بد ولكن تغالطه نفسه بالاتكال على عفو الله ومغفرته تارة وبالتسويف بالتوبة والاستغفار باللسان تارة وبفعل المندوبات تارة وبالعلم تارة وبالاحتجاج بالقدر تارة وبالاحتجاج بالاشباه والنظائر تارة وبالاقتداء بالاكابر تارة وكثير من الناس يظن انه لو فعل ما فعل ثم قال استغفر الله زال اثر الذنب وراح هذا بهذا وقال لي رجل من المنتسبين الى الفقه انا افعل ما افعل ثم اقول سبحان الله وبحمده مائة مرة وقد غفر ذلك اجمعه كما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قال في يوم سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر وقال لي آخر من اهل مكة نحن احدنا اذا فعل ما فعل ثم اغتسل وطاف بالبيت اسبوعا فقد محي عنه ذلك وقال لي آخر قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذنب عبد ذنبا فقال اي رب اصبت ذنبا فاغفر لي فغفر الله ذنبه ثم مكث ما شاء الله ثم اذنب ذنبا آخر فقال اي رب اصبت ذنبا فاغفر لي فقال الله عز وجل علم عبدي ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي فليصنع ما شاء وقال انا لا اشك ان لي ربا يغفر الذنب ويأخذ به وهذا الضرب من الناس قد تعلق بنصوص من الرجاء واتكل عليها وتعلق بها بكلتا يديه واذا عوتب على الخطايا والانهماك فيها سرد لك ما يحفظه من سعة رحمة الله ومغفرته ونصوص الرجاء وللجهال من هذا الضرب من الناس في هذا الباب غرائب وعجائب كقول بعضهم ؎

وكثر ما استطعت من الخطايا ؛ اذا كان القدوم على كريم ؎

وقول بعضهم التنزه من الذنوب جهل بسعة عفو الله وقال الآخر ترك الذنوب جراءة على مغفرة الله واستصغار لها وقال محمد بن حزم رأيت بعض هؤلاء من يقول في دعائه اللهم اني اعوذ بك من العصمة ومن هؤلاء المغرورين من يتعلق بمسألة الجبر وان

ايک تو نه دو دو ن
بلکه تيسر و ن
ا ي ...
[illegible]

العبد لا فعل له البتة ولا اختيار وانما هو مجبور على فعل المعاصي ومن هؤلاء من يغتر بمسألة
الارجاء وان الايمان هو مجرد التصديق والاعمال ليست من الايمان وان ايمان افسق الناس
كايمان جبريل وميكائيل ومن هؤلاء من يغتر بمحبة الفقراء والمشائخ والصالحين وكثرة التردد
الى قبورهم والتضرع اليهم والاستشفاع بهم والتوسل الى الله بهم وسؤاله بحقهم عليه
وحرمتهم عنده ومنهم من يغتر بآبائه واسلافه وان لهم عند الله مكانة وصلاحا فلا يدعون ان
يخلصوه كما يشاهد في حضرة الملوك فان الملوك تهب لخواصهم ذنوب ابنائهم واقاربهم
واذا وقع احد منهم في امر مفظع خلصه ابوه وجده بجاهه ومنزلته ومنهم من يغتر بان الله
عز وجل غني عن عذابه وعذابه لا يزيد في ملكه شيئا ورحمته له لا تنقص من ملكه شيئا فيقول
انا مضطر الى رحمته وهو اغنى الاغنياء ولو ان فقيرا مسكينا مضطرا الى شربة ماء عند من
في داره شط يجري لما منعه منها فالله اكرم واوسع فالمغفرة لا تنقصه شيئا والعقوبة لا تزيد
في ملكه شيئا ومنهم من يغتر بفهم فاسد فهمه هو واضرابه من نصوص القرآن والسنة فاتكلوا عليه
كاتكال بعضهم على قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال وهو لا يرضى ان يكون في النار احد من امته وهذا من اقبح
الجهل وابين الكذب عليه فانه يرضى بما يرضى به ربه عز وجل والله تعالى يرضيه تعذيب الظلمة والفسقة والخونة والمصرين على الكبائر
فحاشا رسوله ان لا يرضى بما يرضى به ربه تبارك وتعالى وكاتكال بعضهم على قوله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا وهذا ايضا
من اقبح الجهل فان الشرك داخل في هذه الآية فانه رأس الذنوب واساسها ولا خلاف ان هذه الآية
في حق التائبين فانه يغفر ذنب كل تائب اي ذنب كان ولو كانت الآية في حق غير
التائبين لبطلت نصوص الوعيد كلها واحاديث اخراج قوم من الموحدين من النار
بالشفاعة وهذا انما اتى صاحبه من قلة علمه وفهمه فانه سبحانه ههنا عمم واطلق فعلم انه اراد
التائبين وفي سورة النساء خصص وقيد فقال ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء فاخبر الله سبحانه انه لا يغفر الشرك واخبر انه يغفر ما دونه ولو كان
هذا في حق التائب لم يفرق بين الشرك وغيره وكاغترار بعض الجهال بقوله تعالى يا ايها
الانسان ما غرك بربك الكريم فيقول كرمه وقد يقول بعضهم انه لقن المغتر حجته وهذا
جهل قبيح وانما غره بربه الغرور وهو الشيطان ونفسه الامارة بالسوء وجهله وهواه واتى سبحانه

١٤

بلفظ الكريم وهو السيد العظيم المطاع الذي لاينبغي الاغترار به ولا اهمال حقه فوضع هذا المغتر المغرور
في غير موضعه واغتر بمن لاينبغي الاغترار به وكاغترار بعضهم بقوله تعالى في النار لايصلها الا
الاشقى الذي كذب وتولى وقوله اعدت للكفرين ولم يدر هذا المغتر ان قوله فانذرتكم نارا تلظى
هي النار مخصوصة من جملة دركات جهنم ولو كانت جميع جهنم فهو سبحانه لم يقل لا يدخلها بل قال
لايصلها الا الاشقى ولا يلزم من عدم صليها عدم دخولها فان الصلى اخص من الدخول ونفى
الاخص لايستلزم نفى الاعم ثم هذا المغتر لو تأمل الآية التي بعدها لعلم انه غير داخل فيها فلا يكون
مضمونا له ان يجنبها واما قوله في النار اعدت للكفرين فقد قال في الجنة اعدت للمتقين ولا
ينافي اعداد النار للكفرين ان تدخلها الفساق والظلمة ولا ينافي اعداد الجنة للمتقين ان
يدخلها من في قلبه ادنى مثقال ذرة من ايمان ولم يعمل خيرا قط وكاغترار بعضهم على صوم
يوم عاشوراء او يوم عرفة حتى يقول بعضهم يوم عاشوراء يكفر ذنوب العام كلها ويبقى صوم عرفة
زيادة في الاجر ولم يدر هذا المغتر ان صوم رمضان والصلوات الخمس اعظم واجل من صيام
يوم عرفة ويوم عاشوراء وهي انما تكفر ما بينهما اذا اجتنبت الكبائر فرمضان والجمعة الى الجمعة
لايقوى على تكفير الصغائر الا مع انضمام ترك الكبائر اليها فيقوى مجموع الامرين على تكفير
الصغائر فكيف يكفر صوم تطوع كل كبيرة عملها العبد وهو مصر عليها غير تائب منها هذا محال على انه
لايمتنع ان يكون صوم يوم عرفة ويوم عاشوراء يكفر لجميع ذنوب العام على عمومه ويكون من نصوص
الوعد التي لها شروط وموانع ويكون اصراره على الكبائر مانعا من التكفير فاذا لم يصر على الكبائر
تساعد الصوم وعدم الاصرار وتعاونا على عموم التكفير كما كان رمضان والصلوات الخمس مع
اجتناب الكبائر متساعدين متعاونين على تكفير الصغائر مع انه سبحانه قد قال ان تجتنبوا كبائر
ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم فعلم ان جعل الشئ سببا للتكفير لايمنع ان يتساعد هو وسبب آخر
على التكفير ويكون التكفير مع اجتماع السببين اقوى واتم منه مع انفراد احدهما وكلما قويت اسباب التكفير كان
اقوى واتم واشمل وكاتكال بعضهم على قوله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه انا عند حسن ظن
عبدي بي فليظن بي ما شاء يعني ما كان في ظنه فانا فاعله به ولاريب ان حسن الظن انما يكون
مع الاحسان فان المحسن حسن الظن بربه ان يجازيه على احسانه ولا يخلف وعده ويقبل توبته

واما المسئ المصر على الكبائر والظلم والمخالفات فان وحشة المعاصي والظلم والحرام تمنعه من
حسن الظن بربه وهذا موجود في الشاهد فان العبد الآبق المسئ الخارج عن طاعة سيده لا يحسن
الظن به ولا يجامع وحشة الاساءة احسان الظن ابداً فان المسئ مستوحش بقدر اساءته
واحسن الناس ظناً بربه اطوعهم له كما قال الحسن البصري ان المؤمن احسن الظن بربه
فاحسن العمل وان الفاجر اساء الظن بربه فاساء العمل فكيف يكون يحسن الظن بربه من
هو شارد عنه حال مرتحل في مساخطه وما يغضبه متعرض للعنته قد هان حقه وامره عليه فاضاعه
وهان نهيه عليه فارتكبه واصر عليه وكيف يحسن الظن به من بارزه بالمحاربة وعادى اولياءه
ووالى اعداءه وجحد صفات كماله واساء الظن بما وصف به نفسه ووصفته به رسله وظن بجهله ان
ظاهر ذلك ضلال وكفر وكيف يحسن الظن به من يظن انه لا يتكلم ولا يأمر ولا ينهى ولا يرضى و
يغضب وقد قال الله في حق من شك في تعلق سمعه ببعض الجزئيات وهو السر من القول
وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين فهؤلاء لما ظنوا ان الله سبحانه لا يعلم
كثيراً مما يعملون كان هذا اساءة لظنهم بربهم فارداهم ذلك الظن وهذا شأن كل من جحد
صفات كماله ونعوت جلاله ووصفه بما لا يليق به فاذا ظن هذا انه يدخله الجنة كان هذا غروراً وخداعاً
من نفسه وتسويلاً من الشيطان لا احسان ظن بربه فتأمل هذا الموضع وتأمل شدة الحاجة
اليه وكيف يجتمع في قلب العبد تيقنه بانه ملاقي الله وان الله يسمع كلامه ويرى مكانه
ويعلم سره وعلانيته ولا يخفى عليه خافية من امره وانه موقوف بين يديه ومسئول عن كل
ما عمل وهو مقيم على مساخطه مضيع لاوامره معطل لحقوقه وهو مع هذا يحسن الظن به وهل هذا الا من
خدع النفوس وغرور الاماني وقد قال ابو امامة بن سهل بن حنيف دخلت انا وعروة بن الزبير
على عائشة رضي الله عنها فقالت لو رأيتما رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض له وكانت
عندي ستة دنانير او سبعة فامرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان افرقها قالت فشغلني
وجع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى عافاه الله ثم سألني عنها فقال ما فعلت اكنت
فرقت الستة الدنانير فقلت لا والله لقد كان شغلني وجعك قالت فدعا بها فوضعها
في كفه فقال ما ظن نبي الله لو لقي الله وهذه عنده وفي لفظ ما ظن محمد بربه لو لقي الله وهذه

عنده فيا لله ما ظن اصحاب الكبائر والظلمة بالله اذا لقوه ومظالم العباد عندهم فان كان
ينفعهم قولهم حسنا ظنوننا بك لم تعذب ظالم ولا فاسق فليصنع العبد ماشاء وليرتكب كل
مانهاه الله عنه وليحسن ظنه بالله فان النار لا تمسه فسبحان الله ما يبلغ الغرور بالعبد
وقد قال ابراهيم لقومه ائفكا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العلمين اي ما ظنكم ان
يفعل بكم اذا لقيتموه وقد عبدتم غيره ومن تأمل هذا الموضع حق التأمل علم ان حسن الظن
بالله هو حسن العمل نفسه فان العبد انما يحمله على حسن العمل حسن ظنه بربه ان يجازيه على اعماله ويثيبه
عليها ويتقبلها منه فالذي حمله على العمل حسن الظن فكلما حسن ظنه حسن عمله والا فحسن الظن مع اتباع
الهوى عجز كما في الترمذي والمسند من حديث شداد بن اوس عن النبي صلى الله عليه وسلم
الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وبالجملة
فحسن الظن انما يكون مع انعقاد اسباب النجاة واما مع انعقاد اسباب الهلاك فلا يتأتى احسان الظن فان قيل بل يتأتى
ذلك ويكون مستند حسن الظن سعة مغفرة الله ورحمته وعفوه وجوده وان رحمته سبقت غضبه

١٧

وانه لا تنفعه العقوبة ولا يضره العفو قيل الامر هكذا والله فوق ذلك واجل واكرم واجود وارحم
ولكن انما يضع ذلك في محله اللائق به فانه سبحانه موصوف بالحكمة والعزة والانتقام وشدة البطش
وعقوبة من يستحق العقوبة فلو كان معول حسن الظن على مجرد صفاته واسمائه لاشترك في ذلك
البر والفاجر والمؤمن والكافر ووليه وعدوه فما ينفع المجرم اسماؤه وصفاته وقد باء بسخطه وغضبه وتعرض
للعنته واوضع في محارمه وانتهك حرماته بل حسن الظن ينفع من تاب وندم واقلع وبدل السيئة

اوقع

بالحسنة واستقبل بقية عمره بالخير والطاعة ثم احسن الظن فهذا احسن ظن والاول غرور والله المستعان
ولا تستطل هذا الفصل فان الحاجة اليه شديدة لكل احد ففرق بين حسن الظن بالله وبين الغرة به
قال الله تعالى ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله فجعل
هؤلاء اهل الرجاء لا البطالين والفاسقين وقال تعالى ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما

البطالين

فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم فاخبر سبحانه انه بعد هذه الاشياء غفور
رحيم لمن فعلها فالعالم يضع الرجاء مواضعه والجاهل المغتر يضعه في غير مواضعه

فصل

وكثير من الجهال اعتمدوا على رحمة الله وعفوه وكرمه وضيعوا امره ونهيه ونسوا انه شديد العقاب
وانه لا يرد بأسه عن القوم المجرمين ومن اعتمد على العفو مع الاصرار على الذنب فهو كالمعاند وقال
معروف رجاؤك الرحمة من لا تطيعه من الخذلان والحمق وقال بعض العلماء من قطع عضواً
منك في الدنيا بسرقة ثلثة دراهم لا تأمن ان تكون عقوبته في الآخرة على نحو هذا وقيل للحسن
نراك طويل البكاء فقال اخاف ان يطرحني في النار ولا يبالي وسأل رجل الحسن فقال
يا ابا سعيد كيف نصنع بمجالسة اقوام يخوفونا حتى تكاد قلوبنا تطير فقال والله لان تصحب
اقواماً يخوفونك حتى تدرك امناً خير لك من ان تصحب اقواماً يؤمنونك حتى تلحقك المخاوف
وقد ثبت في الصحيحين من حديث اسامة بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول يجاء بالرجل يوم القيمة فيلقى في النار فتندلق اقتاب بطنه فيدور في النار
كما يدور الحمار برحاه فيطوف به اهل النار فيقولون يا فلان ما اصابك الم تكن تامرنا بالمعروف
وتنهانا عن المنكر فيقول كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وانهاكم عن المنكر وآتيه وذكر الامام
احمد من حديث ابي رافع قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبقيع فقال اف لك
اف لك فظننت انه يريدني قال لا ولكن هذا قبر فلان بعثته ساعياً الى آل فلان فغل
نمرة فدرع الآن مثلها من نار وفي مسنده ايضاً من حديث انس بن مالك قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض
من نار فقلت من هؤلاء قالوا خطباء من امتك من اهل الدنيا كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون انفسهم
افلا يعقلون وفيه ايضاً من حديثه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج
بي مررت بقوم لهم اظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبرئيل
فقال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في اعراضهم وفيه ايضاً عنه قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول يا مقلب القلوب والابصار ثبت قلبي على دينك
فقلنا يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا قال نعم ان القلوب بين اصبعين
من اصابع الله يقلبها كيف يشاء وفيه ايضاً عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لجبرئيل ما لي لم ار ميكائيل ضاحكاً قط قال ما ضحك منذ خلقت النار وفي صحيح مسلم عنه قال

تقطع

على نبي

قال رسول اللہ صلی اللہ علیه وسلم یؤتی بانعم اہل الدنیا من اہل النار فیصبغ فی النار صبغةً
ثم یقال لہ یا ابن آدم ہل رأیت خیراً قط ہل مر بک نعیم قط فیقول لا واللہ یا رب ویؤتی
باشد الناس بؤسا فی الدنیا من اہل الجنة فیصبغ فی الجنة صبغةً فیقال لہ یا ابن آدم
ہل رأیت بؤسا قط ہل مر بک شدة قط فیقول لا واللہ یا رب ما مر بی بؤس قط ولا رأیت
شدةً قط وفی المسند من حدیث البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول اللہ صلی اللہ علیه
وسلم فی جنازة رجل من الانصار فانتهینا الی القبر ولما یلحد فجلس رسول اللہ صلی اللہ علیه
وسلم وجلسنا حوله کان علی رؤسنا الطیر وفی یدہ عود ینکت بہ فی الارض فرفع رأسه
فقال استعیذوا باللہ من عذاب القبر مرتین او ثلثا ثم قال ان العبد المؤمن اذا کان فی
انقطاع من الدنیا واقبال من الآخرة نزل الیه ملئکة من السماء بیض الوجوه کان
وجوههم الشمس معهم کفن من اکفان اہل الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتی یجلسوا منه
مد البصر ثم یجئ ملک الموت حتی یجلس عند رأسه فیقول اخرجی ایتها النفس المطمئنة اخرجی
الی مغفرة من اللہ ورضوان فتخرج تسیل کما تسیل القطرة من فی السقاء فیأخذها فاذا
اخذها لم یدعوها فی یدہ طرفة عین حتی یأخذوها فیجعلوها فی ذلک الکفن وفی ذلک الحنوط
ویخرج منها کاطیب نفحة مسک وجدت علی وجه الارض فیصعدون بها فلا یمرون بها علی
ملأ من الملئکة الا قالوا ما ہذہ الروح الطیبة فیقولون فلان بن فلان باحسن اسمائه التی
کانوا یسمونه بها فی الدنیا حتی ینتهوا به الی سماء الدنیا فیستفتحون له فیفتح له فیشیعه من کل سماء
مقربوها الی السماء التی تلیها حتی ینتهی به الی السماء السابعة فیقول اللہ عز وجل اکتبوا کتاب
عبدی فی علیین واعیدوه الی الارض فانی منها خلقتهم وفیها اعیدهم ومنها اخرجهم تارةً اخری
قال فتعاد روحه فیأتیه ملکان فیجلسانه فیقولان له من ربک فیقول ربی اللہ عز وجل
فیقولان له ما دینک فیقول دینی الاسلام فیقولان له ما ہذا الرجل الذی بعث فیکم فیقول ہو محمد رسول اللہ فیقولان له وما علمک
فیقول قرأت کتاب اللہ عز وجل فآمنت به وصدقت فینادی مناد من السماء ان صدق عبدی فافرشوه
من الجنة والبسوه من الجنة وافتحوا له بابا الی الجنة قال فیأتیه من روحها وطیبها ویفسح له فی قبره
مد بصره قال ویأتیه رجل حسن الوجه حسن الثیاب طیب الریح فیقول ابشر بالذی یسرک ہذا یومک الذی

رأیت بؤسا

كنت توعد فيقول له من انت فوجهك الوجه الذي يجئ بالخير فيقول انا عملك الصالح
فيقول رب اقم الساعة ثم رب اقم الساعة حتى ارجع الى اهلي ومالي قال وان العبد
الكافر اذا كان في انقطاع من الدنيا واقبال من الآخرة نزل اليه ملئكة من السماء سود
الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ثم يجئ ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول
ايتها النفس الخبيثة اخرجي الى سخط من الله وغضب قال فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع
السفود من الصوف المبتل فيأخذها فاذا اخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك
المسوح ويخرج منها كانتن ريح جيفة وجدت على وجه الارض فيصعدون بها فلا يمرون بها
على ملأ من الملئكة الا قالوا ما هذه الروح الخبيثة فيقولون فلان بن فلان باقبح اسمائه
التي كان يسمى بها في الدنيا فيستفتح فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط فيقول الله عز وجل
اكتبوا كتابه في سجين في الارض السفلى فتطرح روحه طرحا ثم قرأ ومن يشرك بالله فكانما
خر من السماء فتخطفه الطير او تهوي به الريح في مكان سحيق فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان
فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول هاه هاه لا ادري فيقولان له ما دينك فيقول
هاه هاه لا ادري فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هاه هاه لا ادري فينادي
مناد من السماء ان كذب عبدي فافرشوا له من النار والبسوه من النار وافتحوا له بابا الى
النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه اضلاعه ويأتيه رجل
قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول ابشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت
توعد فيقول ومن انت فوجهك الوجه الذي يجئ بالشر فيقول انا عملك الخبيث فيقول
رب لا تقم الساعة وفي لفظ لاحمد ايضا ثم يقيض له اعمى اصم ابكم في يده مرزبة لو ضرب بها
جبلا كان ترابا فيضربه ضربة فيصير ترابا ثم يعيده الله عز وجل كما كان فيضربه ضربة اخرى
فيصيح صيحة يسمعها كل شئ الا الثقلين قال البراء ثم يفتح له باب الى النار ويمهد له من
فرش النار وفي المسند ايضا عنه قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذ بصر بجماعة فقال على ما اجتمع هؤلاء قيل على قبر يحفرونه ففزع رسول الله صلى الله عليه

لبلوكن

نوالسيمونه

وسلم فبدر بين يدي اصحابه مسرعاً حتى انتهى الى القبر فجثى على ركبتيه فاستقبلته من بين
يديه لانظر ما يصنع فبكى حتى بل الثرى من دموعه ثم اقبل علينا فقال اى اخوانى لمثل هذا
اليوم فاعدوا وفي المسند من حديث بريدة قال خرج الينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوماً فنادى ثلث مرات يا ايها الناس اتدرون ما مثلي ومثلكم فقالوا الله ورسوله
اعلم فقال انما مثلي ومثلكم مثل قوم خافوا عدواً ان يأتيهم فبعثوا رجلاً يترائ لهم فابصر العدو
فاقبل لينذرهم وخشي ان يدركه العدو قبل ان ينذر قومه فاهوى بثوبه ايها الناس اتيتم
ايها الناس اتيتم ثلث مرات وفي صحيح مسلم من حديث جابر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كل ما اسكر حرام وان على الله عز وجل عقداً لمن شرب المسكر ان يسقيه من طينة
الخبال قيل وما طينة الخبال قال عرق اهل النار او عصارة اهل النار وفي المسند ايضاً
من حديث ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني ارى ما لا ترون واسمع
ما لا تسمعون اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا وعليه ملك
يسبح الله ساجد لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى
الصعدات تجارون الى الله تعالى قال ابوذر والله لوددت اني شجرة تعضد وفي المسند ايضاً
من حديث حذيفة قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فلما انتهينا الى القبر
قعد على ساقيه فجعل يردد بصره فيه ثم قال يضغط المؤمن فيه ضغطة تزول منها حمائله ويملأ
على الكافر ناراً والحمائل عروق الانثيين وفي المسند ايضاً من حديث جابر قال خرجنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سعد بن معاذ حين توفي فلما صلى عليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ووضع في قبره وسوي عليه سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسبحنا طويلاً ثم كبر فكبرنا فقيل يا رسول الله لم سبحت ثم كبرت فقال لقد تضايق على
هذا العبد الصالح قبره حتى فرج الله عنه وفي صحيح البخاري من حديث ابي سعيد قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على اعناقهم فان
كانت صالحة قالت قدموني وان كانت غير صالحة قالت يا ويلها اين تذهبون بها
يسمع صوتها كل شيء الا الانسان ولو سمعها الانسان لصعق وفي مسند احمد من حديث

يأخذهم

مسكر عهدا

ابی امامۃ قال قال رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم تدنوا الشمس یوم القیمۃ علی قدر میل
ویزاد فی حرھا کذا وکذا تغلی منھا الرؤس کما تغلی القدور یعرقون فیھا علی قدر خطایاھم منھم
من یبلغ الی کعبہ ومنھم من یبلغ الی ساقیہ ومنھم من یبلغ الی وسطہ ومنھم من یلجمہ العرق وفیہ
عن ابن عباس عن النبی صلی اللہ علیہ وسلم قال کیف انعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنی جبھتہ یسمع متی
یؤمر فینفخ فقال اصحابہ کیف نقول قال قولوا حسبنا اللہ ونعم الوکیل علی اللہ توکلنا وفی المسند ایضا عن ابن عمر رفعہ
من تعظم فی نفسہ او اختال فی مشیتہ لقی اللہ تعالے وھو علیہ غضبان وفی الصحیحین عنہ قال قال رسول اللہ صلی اللہ علیہ
وسلم ان المصورین یعذبون یوم القیمۃ ویقال لھم احیوا ما خلقتم وفیہ ایضا عنہ عن النبی صلی اللہ علیہ وسلم ان احدکم اذا مات
عرض علیہ مقعدہ من الغداۃ والعشی ان کان من اھل الجنۃ فمن اھل الجنۃ
وان کان من اھل النار فمن اھل النار فیقال ھذا مقعدک حتی یبعثک اللہ عز وجل
یوم القیمۃ وفیھما ایضا عنہ عن النبی صلی اللہ علیہ وسلم اذا صار اھل الجنۃ فی الجنۃ واھل
النار فی النار جیئ بالموت حتی یوقف بین الجنۃ والنار ثم یذبح ثم ینادی مناد یا اھل الجنۃ
خلود ولا موت ویا اھل النار خلود ولا موت فیزداد اھل الجنۃ فرحا الی فرحھم ویزداد اھل النار
حزنا الی حزنھم وفی المسند عنہ قال من اشتری ثوبا بعشرۃ دراھم فیھا درھم حرام لم یقبل اللہ لہ
صلوۃ مادام علیہ ثم ادخل اصبعیہ فی اذنیہ ثم قال صمتا ان لم اکن سمعت النبی صلی اللہ علیہ
وسلم یقولہ وفیہ عن عبد اللہ بن عمرو عن النبی صلی اللہ علیہ وسلم قال من ترک الصلوۃ سکرا مرۃ واحدۃ
فکانما کانت لہ الدنیا وما علیھا فسلبھا ومن ترک الصلوۃ سکرا اربع مرات کان حقا علی اللہ
ان یسقیہ من طینۃ الخبال قیل وما طینۃ الخبال یا رسول اللہ قال عصارۃ اھل جھنم وفیہ
ایضا عنہ مرفوعا من شرب الخمر شربۃ لم تقبل لہ صلوۃ اربعین صباحا فان تاب تاب اللہ
علیہ فلا ادری فی الثالثۃ او فی الرابعۃ قال فان عاد کان حقا علی اللہ ان یسقیہ من ردغۃ
الخبال یوم القیمۃ وفی المسند ایضا من حدیث ابی موسی قال قال رسول اللہ صلی اللہ
علیہ وسلم من مات مدمنا للخمر سقاہ اللہ من نھر الغوطۃ قیل وما نھر الغوطۃ قال نھر یجری من
فروج المومنات یؤذی اھل النار ریح فروجھن وفیہ ایضا عنہ قال قال رسول اللہ صلی اللہ
علیہ وسلم تعرض الناس یوم القیمۃ ثلث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذیر واما

منھا

الثالثة فعند ذلك تطير الصحف فی الایدی فاخذ بیمینه واخذ بشماله وفی المسند ایضا من حدیث

ابن مسعود ان رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم قال ایاکم ومحقرات الذنوب فانهن یجتمعن علی

الرجل حتی یهلکنه وضرب لهن رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم مثلاً کمثل قوم نزلوا ارض فلاة

فحضر صنیع القوم فجعل الرجل ینطلق فیجیٔ بالعود والرجل یجیٔ بالعود حتی جمعوا سواداً واججوا

ناراً وانضجوا ما قذفوا فیها وفی الصحیح من حدیث ابی ہریرة قال قال رسول اللہ صلی اللہ

علیہ وسلم یضرب الجسر علی جہنم فاکون اول من یجوز ودعوی الرسل یومئذ اللهم سلم سلم

وحافتیه کلالیب مثل شوک السعدان تخطف الناس باعمالهم فمنهم الموثق بعمله ومنهم المخردل

ثم ینجو حتی اذا فرغ اللہ من القضاء بین العباد واراد ان یخرج من النار من اراد ان یرحم

ممن کان یشهد ان لا الٰه الا اللہ امر الملٰئکة ان یخرجوه فیعرفونه بعلامة اثر السجود وحرّم اللہ

علی النار ان تاکل من ابن آدم اثر السجود فیخرجونهم قد امتحشوا فیصب علیهم من ماء یقال له ماء

الحیوة فینبتون نبات الحبة فی حمیل السیل وفی صحیح مسلم عنه قال سمعت رسول اللہ صلی

اللہ علیہ وسلم یقول ان اول الناس یقضی فیه یوم القیٰمة ثلثة رجل استشهد فاتی به

فعرفه نعمه فعرفها فقال ما عملت فیها قال قاتلت فیک حتی قتلت قال کذبت ولٰکن

قاتلت لیقال ہو جری فقد قیل ثم امر به فسحب علی وجهه حتی القی فی النار ورجل تعلم العلم وعلمه

وقرأ القرآن فاتی به فعرفه نعمه فعرفها فقال ما عملت فیها قال تعلمت فیک العلم وعلمته وقرأت فیک

القرآن فقال کذبت ولٰکنک تعلمت لیقال ہو عالم فقد قیل وقرأت القرآن لیقال ہو

قاریٔ فقد قیل ثم امر به فسحب علی وجهه حتی القی فی النار ورجل وسّع اللہ علیه فی رزقه واعطاه

من اصناف المال کله فاتی به فعرفه نعمه فعرفها فقال ما عملت فیها فقال ما ترکت من

سبیل تحب ان ینفق فیها الا انفقت فیها لک قال کذبت ولٰکنک فعلت لیقال ہو

جواد فقد قیل ثم امر به فسحب علی وجهه حتی القی فی النار وفی لفظ فهؤلاء اول خلق اللہ تسعر

بهم النار یوم القیٰمة وسمعت شیخ الاسلام یقول کما ان خیر الناس الانبیاء فشر الناس من

تشبه بهم من الکذابین وادعی انه منهم ولیس منهم فخیر الناس بعدهم العلماء والشهداء والصدیقون

والمخلصون فشر الناس من تشبه بهم یوهم انه منهم ولیس منهم وفی صحیح البخاری من حدیث ابی ہریرة

العبد

یخطف الناس

۲۴

عن النبي صلى الله عليه وسلم من كانت عنده لاخيه مظلمة في مال او عرض فليأته فليستحلها منه قبل ان يؤخذ وليس عنده دينار ولا درهم فان كانت له حسنات اخذ من حسناته فاعطيها هذا والا اخذ من سيئات هذا فطرحت عليه ثم طرح في النار وفي الصحيح من حديث ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم من اخذ شبراً من الارض بغير حقه خسف به يوم القيمة الى سبع ارضين وفي الصحيحين عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ناركم هذه التي توقد بنو آدم جزء واحد من سبعين جزءاً من نار جهنم قالوا والله ان كانت لكافية قال فانها قد فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها وفي المسند عن معاذ قال اوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تشرك بالله شيئاً وان قتلت او حرقت ولا تعقن والديك وان امراك ان تخرج من مالك واهلك ولا تتركن صلوة مكتوبة متعمداً فان من ترك صلوة مكتوبة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله ولا تشرب خمراً فانه رأس كل فاحشة واياك والمعصية فان المعصية تحل سخط الله والاحاديث في هذا الباب اضعاف اضعاف ما ذكرنا فلا ينبغي لمن نصح نفسه ان يتعامى عنها ويرسل نفسه في المعاصي ويتعلق بحسن الرجاء وحسن الظن قال ابو الوفاء بن عقيل احذره ولا تغتر فانه قطع اليد في ثلثة دراهم وجلد الحد في مثل رأس الابرة من الخمر وقد دخلت المرأة النار في هرة واشتعل الشملة ناراً على من غلها وقد قتل شهيداً وقال الامام احمد ثنا ابو معاوية ثنا الاعمش عن سليمان بن ميسرة عن طارق بن شهاب يرفعه قال دخل رجل الجنة في ذباب ودخل رجل النار في ذباب قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه احد حتى يقرب له شيئاً فقالوا لاحدهما قرب فقال ليس عندي شئ قالوا قرب ولو ذباباً فقرب ذباباً فخلوا سبيله فدخل النار وقالوا للآخر قرب فقال ما كنت اقرب شيئاً دون الله عز وجل فضربوا عنقه فدخل الجنة وهذه الكلمة الواحدة يتكلم بها العبد يهوي بها في النار ابعد ما بين المشرق والمغرب وربما اتكل بعض المغترين على ما يرى من نعم الله عليه في الدنيا وانه يغتر به ويظن ان ذلك من محبة الله له وانه يعطيه في الآخرة افضل من ذلك فهذا من الغرور وقال الامام احمد ثنا يحيى بن غيلان ثنا رشدين بن سعد عن حرملة بن عمران التجيبي عن عقبة بن مسلم عن عقبة بن عامر عن النبي

صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيت الله عزوجل يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فانما هو استدراج ثم تلى قوله عزوجل فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شئ حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون وقال بعض السلف اذا رأيت الله عزوجل يتابع عليك نعمه وانت مقيم على معاصيه فاحذره فانما هو استدراج منه يستدرجك به وقد قال تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين وقد رد سبحانه على من يظن هذا الظن بقوله فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن كلا اي ليس كل من نعمته ووسعت عليه رزقه اكون قد اكرمته وليس كل من ابتليته وضيقت عليه رزقه اكون قد اهنته بل ابتلي هذا بالنعم واكرم هذا بالابتلاء وفي جامع الترمذي عنه صلى الله عليه وسلم ان الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الايمان الا من يحب وقال بعض السلف رب مستدرج بنعم الله عليه وهو لا يعلم ورب مفتون بثناء الناس عليه وهو لا يعلم ورب مغرور بستر الله عليه وهو لا يعلم ٭

فصل

واعظم الخلق غرورا من اغتر بالدنيا وعاجلها فآثرها على الآخرة ورضي بها من الآخرة حتى يقول بعض هؤلاء الدنيا نقد والآخرة نسيئة والنقد انفع من النسيئة ويقول بعضهم ذرة منقودة ولا ذرة موعودة ويقول آخر منهم لذات الدنيا متيقنة ولذات الآخرة مشكوك فيها ولا ادع اليقين للشك وهذا من اعظم تلبيس الشيطان وتسويله والبهائم العجم اعقل من هؤلاء فان البهيمة اذا خافت مضرة شئ لم تقدم عليه ولو ضربت وهؤلاء يقدم احدهم على ما فيه عطبه وهو بين مصدق ومكذب فهذا الضرب ان آمن احدهم بالله ورسوله ولقائه والجزاء فهو من اعظم الناس حسرة لانه اقدم على علم وان لم يؤمن بالله ورسوله فابعد له وقول هذا القائل النقد خير من النسيئة فجوابه انه اذا تساوى النقد والنسيئة فالنقد خير وان تفاوتا وكانت النسيئة اكبر وافضل فهي خير فكيف والدنيا كلها من اولها الى آخرها كنفس واحد من

انفاس الآخرة كما في مسند احمد والترمذي من حديث المستورد بن شداد قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة الا كما يدخل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع فايثار
هذا النقد على هذه النسية من اعظم الغبن واقبح الجهل واذا كان هذا نسبة الدنيا بمجموعها الى الآخرة
فما مقدار عمر الانسان بالنسبة الى الآخرة فايما اولى بالعاقل ايثار العاجل في هذه المدة اليسيرة
وحرمان الخير الدائم في الآخرة ام ترك شيء حقير صغير منقطع عن قرب ليأخذ ما لا قيمة له ولا خطر له ولا
نهاية لعدده ولا غاية لامده واما قول الآخر لا اترك متيقناً لمشكوك فيه فيقال له اما ان تكون
على شك من وعد الله ووعيده وصدق رسله او تكون على اليقين من ذلك فان كنت
على اليقين فما تركت الا ذرة عاجلة منقطعة فانية عن قرب متيقن لا شك فيه ولا انقطاع له
وان كنت على شك فتأمل آيات الرب تعالى الدالة على وجوده وقدرته ومشيئته ووحدانيته
وصدق رسله فيما اخبروا به عنه وتجرد وقم لله ناظراً او مناظراً حتى يتبين لك ان ما جاءت به الرسل
عن الله فهو الحق الذي لا شك فيه وان خالق هذا العالم وهو رب السموات والارض يتعالى
ويتقدس ويتنزه عن خلاف ما اخبرت به رسله عنه ومن نسبه الى غير ذلك فقد شتمه وكذبه
وانكر ربوبيته وملكه اذ من المحال الممتنع عند كل ذي فطرة سليمة ان يكون الملك الحق عاجزاً
او جاهلاً لا يعلم شيئاً ولا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم ولا يأمر ولا ينهى ولا يثيب ولا يعاقب ولا يعز
من يشاء ولا يذل من يشاء ولا يرسل رسله الى اطراف مملكته ونواحيها ولا يعتني باحوال رعيته
بل يتركهم سدى ويخليهم هملاً وهذا يقدح في ملك آحاد ملوك البشر ولا يليق به فكيف يجوز نسبة
الملك الحق المبين اليه واذا تأمل الانسان حاله من مبدأ كونه نطفة الى حين كماله واستوائه
تبين له ان من عني به هذه العناية ونقله الى هذه الاحوال وصرفه في هذه الاطوار لا يليق به
ان يهمله ويتركه سدى لا يأمره ولا ينهاه ولا يعرفه بحقوقه عليه ولا يثيبه ولا يعاقبه ولو تأمل العبد
حق التأمل لكان كل ما يبصره وما لا يبصره دليلاً له على التوحيد والنبوة والمعاد وان القرآن كلامه وقد
ذكرنا وجه الاستدلال بذلك في كتاب ايمان القرآن عند قوله فلا اقسم بما تبصرون وما لا
تبصرون انه لقول رسول كريم وذكرنا طرفاً من ذلك عند قوله وفي انفسكم افلا تبصرون وان
الانسان دليل نفسه على وجود خالقه وتوحيده وصدق رسله واثبات صفات كماله فقد بان

فايهما

فراجع

٣٦

اشد

ان المضيع مغرور على التقديرين تقدير تصديقه ويقينه وتقدير تكذيبه وشكه فان قلت كيف يجتمع التصديق الجازم الذي لا شك فيه بالمعاد والجنة والنار ويتخلف العمل وهل في الطباع البشرية ان يعلم العبد انه مطلوب غداً الى بين يدي بعض الملوك ليعاقبه اشد عقوبة او يكرمه اتم كرامة ويبيت ساهياً غافلاً لا يتذكر موقفه بين يدي الملك ولا يستعد له ولا يأخذ له اهبة قيل هذا لعمر الله سؤال صحيح وارد على اكثر هذا الخلق واجتماع هذين الامرين من اعجب الاشياء وهذا التخلف له عدة اسباب احدها ضعف العلم ونقصان اليقين ومن ظن ان العلم لا يتفاوت فقوله من افسد الاقوال وابطلها وقد سأل ابراهيم الخليل ربه ان يريه احياء الموتى عياناً بعد علمه بقدرة الرب على ذلك ليزداد طمانينة ويصير المعلوم غيباً شهادة وقد روى احمد في مسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس الخبر كالمعاين فاذا اجتمع الى ضعف العلم عدم استحضاره او غيبته عن القلب كثيراً من اوقاته او اكثرها لاشتغاله بما يضاده وانضم الى ذلك تقاضي الطبع وغلبات الهوى واستيلاء الشهوة وتسويل النفس وغرور الشيطان واستبطاء الوعد وطول الامل ورقدة الغفلة وحب العاجلة ورخص التأويل والف العوائد فهناك لا يمسك الايمان الا الذي يمسك السموات والارض ان تزولا وبهذا السبب يتفاوت الناس في الايمان والاعمال حتى ينتهي الى ادنى مثقال ذرة في القلب وجماع هذه الاسباب يرجع الى ضعف البصيرة والصبر ولهذا مدح الله سبحانه اهل الصبر واليقين وجعلهم ائمة في الدين فقال تعالى وجعلنا هم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون

۴۷

فصل

وقد تبين الفرق بين حسن الظن والغرور وان حسن الظن ان حمل على العمل وحث عليه وساعده وساق اليه فهو صحيح وان دعا الى البطالة والانهماك في المعاصي فهو غرور وحسن الظن هو الرجاء فمن كان رجاؤه جاذباً له على الطاعة زاجراً له عن المعصية فهو رجاء صحيح ومن كانت بطالته رجاء ورجاؤه بطالة وتفريطاً فهو المغرور ولو ان رجلاً كانت له ارض يؤمل ان يعود عليه من مغلها ما ينفعه فاهملها ولم يبذرها ولم يحرثها وحسن ظنه بانه يأتي من مغلها ما يأتي من غير حرث وبذر وسقي وتعاهد الارض لعده الناس من اسفه السفهاء وكذلك لو حسن ظنه وقوي رجاؤه بانه يجيئه ولد من غير جماع او يصير

بان يأتيه

اعلم اهل زمانه من غير طلب العلم وحرص تام عليه وامثال ذلك فكذلك من حسن ظنه وقوى رجاؤه
في الفوز بالدرجات العلى والنعيم المقيم من غير طاعة ولا تقرب الى الله بامتثال اوامره واجتناب نواهيه
وبالله التوفيق وقد قال الله تعالى ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك
يرجون رحمة الله فتأمل كيف جعل رجاءهم باتيانهم بهذه الطاعات وقال المغترون ان المفرطين
المضيعين لحقوق الله المعطلين لاوامره الباغين على عباده المتجرين على محارمه اولئك يرجون
رحمة الله وسر المسئلة ان الرجاء وحسن الظن انما يكون مع الاتيان بالاسباب التي اقتضتها حكمة
الله في شرعه وقدره وثوابه وكرامته فياتي العبد بها ثم يحسن ظنه بربه ويرجوه ان لا يكله اليها
وان يجعلها موصلة الى ما ينفعه ويصرف ما يعارضها ويبطل اثرها

فصل

ومما ينبغي ان يعلم ان من رجا شيئا استلزم رجاؤه ثلثة امور احدها محبته ما يرجوه الثاني خوفه من
فواته الثالث سعيه في تحصيله بحسب الامكان واما رجاء لا يقارنه شيء من ذلك فهو من باب
الاماني والرجاء شيء والاماني شيء آخر فكل راج خائف والسائر على الطريق اذا خاف اسرع
السير مخافة الفوات وفي جامع الترمذي من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل الا ان سلعة الله غالية الا ان سلعة
الله الجنة وهو سبحانه كما جعل الرجاء لاهل الاعمال الصالحة فكذلك جعل الخوف لاهل الاعمال الصالحة
فعلم ان الرجاء والخوف النافع هو ما اقترن به العمل قال الله تعالى ان الذين هم من
خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون والذين
يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون اولئك يسارعون في الخيرات وهم لها
سابقون وقد روى الترمذي في جامعه عن عائشة رضي الله عنها قالت سألت رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقلت اهم الذين يشربون الخمر ويزنون ويسرقون
قال لا يا ابنة الصديق ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون ويخافون ان
لا يتقبل منهم اولئك يسارعون في الخيرات وقد روى من حديث ابي هريرة ايضا
والله سبحانه وصف اهل السعادة بالاحسان مع الخوف ووصف الاشقياء بالاساءة

نسخہ: اهل الشقاء

مع الامن ومن تأمل احوال الصحابة رضي الله عنهم وجدهم في غاية العمل مع غاية الخوف ونحن
جميعا بين التقصير بل التفريط والامن فهذا الصديق يقول وددت اني شعرة في جنب عبد
مؤمن ذكره احمد عنه وذكر عنه ايضا انه كان يمسك بلسانه ويقول هذا الذي اوردني الموارد وكان
يبكي كثيرا ويقول ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وكان اذا قام الى الصلوة كانه عود من خشية الله
عزوجل واتي بطائر فقلبه ثم قال ما صيد من صيد ولا قطعت من شجرة الا بما ضيعت من التسبيح
ولما احتضر قال لعائشة يا بنية اني اصبت من مال المسلمين هذه العباءة وهذه الحلاب وهذا العبد فاسرعي
به الى ابن الخطاب وقال والله لوددت اني كنت هذه الشجرة توكل وتعضد وقال قتادة
بلغني ان ابا بكر قال ليتني خضرة تأكلني الدواب وهذا عمر بن الخطاب قرأ سورة الطور الى ان بلغ
قوله ان عذاب ربك لواقع فبكى واشتد بكاؤه حتى مرض وعادوه وقال لابنه وهو في الموت ويحك
ضع خدي على الارض عساه ان يرحمني ثم قال ويل امي ان لم يغفر الله لي ثلاثا ثم قضى وكان
يمر بالآية في ورده بالليل فتخنقه فيبقى في البيت اياما ويعاد يحسبونه مريضا وكان في وجهه
رضي الله عنه خطان اسودان من البكاء وقال له ابن عباس مصر الله بك الامصار
وفتح بك الفتوح وفعل وفعل فقال وددت اني انجو لا اجر ولا وزر وهذا عثمان بن
عفان كان اذا وقف على القبر يبكي حتى تبل لحيته وقال لو انني بين الجنة والنار لا ادري
الى ايتهما يؤمر بي لاخترت ان اكون رمادا قبل ان اعلم الى ايتهما اصير وهذا علي بن ابي طالب
رضي الله عنه وبكاؤه وخوفه وكان يشتد خوفه من اثنتين طول الامل واتباع الهوى قال فاما
طول الامل فينسي الآخرة واما اتباع الهوى فيصد عن الحق الا وان الدنيا قد ولت مدبرة
والآخرة مقبلة ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من ابناء الآخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا فان
اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل وهذا ابو الدرداء كان يقول ان اشد ما
اخاف على نفسي يوم القيمة ان يقال لي يا ابا الدرداء قد علمت فكيف عملت فيما علمت
وكان يقول لو تعلمون ما انتم لاقون بعد الموت لما اكلتم طعاما على شهوة ولا شربتم شرابا على شهوة ولا دخلتم بيتا
تستظلون فيه ولخرجتم الى الصعدات تضربون صدوركم وتبكون على انفسكم ولوددت
اني شجرة تعضد ثم توكل وهذا عبد الله بن عباس كان اسفل عينيه مثل الشراك البالي

عضد شجر

وددت اني

لعل الله

حمارة نستقي

من الدموع وكان ابو ذر يقول يا ليتني كنت شجرة تعضد ووددت اني لم اخلق وعرضت عليه
النفقة فقال عندنا عنز نحلبها وحمر ننقل عليها ومحرر يخدمنا وفضل عباءة واني اخاف الحساب فيها وقرأ
تميم الداري ليلة سورة الجاثية فلما اتى على هذه الآية ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان
نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصلحت جعل يرددها ويبكي حتى اصبح وقال ابو عبيدة بن الجراح
وددت اني كبش فذبحني اهلي واكلوا لحمي وحسوا مرقي وهذا باب يطول تتبعه قال البخاري
في صحيحه باب خوف المؤمن ان يحبط عمله وهو لا يشعر وقال ابراهيم التيمي ما عرضت قولي
على عملي الا خشيت ان اكون مكذبا وقال ابن ابي مليكة ادركت ثلثين من اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه ما منهم احد يقول انه على ايمان جبرئيل وميكائيل
ويذكر عن الحسن ما خافه الا مؤمن ولا امنه الا منافق وكان عمر بن الخطاب يقول لحذيفة
انشدك الله هل سماني لك رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني في المنافقين فيقول لا ولا ازكي
بعدك احدا فسمعت شيخنا يقول ليس مراده اني لا ابرئ غيرك من النفاق بل المراد اني
لا افتح على هذا الباب فكل من سألني هل سماني لك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاسكته قلت وقريب من هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم للذي سأله ان يدعو له ان
يكون من السبعين الفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب سبقك بها عكاشة ولم يرد ان عكاشة وحده احق
بذلك ممن عداه من الصحابة ولكن لو دعا له لقام آخر وآخر وانفتح الباب وربما قام من لم
يستحق ان يكون منهم فكان الامساك اولى والله اعلم

فاز كيه

فصل

فلنرجع الى ما كنا فيه مما ذكرنا من ذكر دواء الداء الذي ان استمر افسد دنيا العبد وآخرته فمما ينبغي ان
يعلم ان الذنوب والمعاصي تضر ولا شك ان ضررها في القلوب كضرر السموم في الابدان على اختلاف
درجاتها في الضرر وهل في الدنيا والآخرة شر وداء الا سببه الذنوب والمعاصي فما الذي
اخرج الابوين من الجنة دار اللذة والنعيم والبهجة والسرور الى دار الآلام والاحزان والمصائب وما الذي اخرج ابليس من ملكوت
السماء وطرده ولعنه ومسخ ظاهره وباطنه فجعلت صورته اقبح صورة واشنعها وباطنه اقبح من صورته واشنع وبدل بالقرب
بعدا وبالرحمة لعنة وبالجمال قبحا وبالجنة نارا تلظى وبالايمان كفرا وبموالاة الولي الحميد اعظم عداوة ومشاقة وبزجل التسبيح

السموات

والتقديس والتهليل زجل الكفر والشرك والكذب والزور والفحش وبلباس الايمان لباس الكفر
والفسوق والعصيان فهان على الله غاية الهوان وسقط من عينه غاية السقوط وحل عليه
غضب الرب تعالى فاهواه ومقته اكبر المقت فارداه فصار قوادا لكل فاسق ومجرم رضى
لنفسه بالقيادة بعد تلك العبادة والسيادة فعياذا بك اللهم من مخالفة امرك وارتكاب
نهيك وما الذي غرق اهل الارض كلهم حتى علا الماء فوق رؤس الجبال وما الذي سلط الريح العقيم
على قوم عاد حتى القتهم موتى على وجه الارض كانهم اعجاز نخل خاوية ودمرت ما مرت عليه من
ديارهم وحروثهم وزروعهم ودوابهم حتى صاروا عبرة للامم الى يوم القيمة وما الذي ارسل على قوم
ثمود الصيحة حتى قطعت قلوبهم في اجوافهم وماتوا عن آخرهم وما الذي رفع قرى اللوطية حتى سمعت
الملئكة نبيح كلابهم ثم قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها فاهلكهم جميعا ثم اتبعهم حجارة من سجيل السماء
امطرها عليهم فجمع عليهم من العقوبة ما لم يجمعه على امة غيرهم ولاخوانهم امثالها وما هي من الظالمين
ببعيد وما الذي ارسل على قوم شعيب سحاب العذاب كالظلل فلما صار فوق رؤسهم امطر عليهم
نارا تلظى وما الذي اغرق فرعون وقومه في البحر ثم نقلت ارواحهم الى جهنم فالاجساد للغرق والارواح
للحرق وما الذي خسف بقارون وداره وماله واهله وما الذي اهلك القرون من بعد نوح بانواع
العقوبات ودمرها تدميرا وما الذي اهلك قوم صاحب يٰس بالصيحة حتى خمدوا عن آخرهم وما
الذي بعث على بني اسرائيل قوما اولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وقتلوا الرجال وسبوا
الذرية والنساء واحرقوا الديار ونهبوا الاموال ثم بعثهم عليهم مرة ثانية فاهلكوا ما قدروا عليه وتبروا
ما علوا تتبيرا وما الذي سلط عليهم انواع العذاب والعقوبات مرة بالقتل والسبي وخراب البلاد ومرة بجور
الملوك ومرة بمسخهم قردة وخنازير وآخر ذلك اقسم الرب تبارك وتعالى ليبعثن عليهم الى يوم
القيمة من يسومهم سوء العذاب قال الامام احمد ثنا الوليد بن مسلم ثنا صفوان بن عمرو حدثني
عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن ابيه قال لما فتحت قبرس فرق بين اهلها فبكى بعضهم الى بعض
فرايت ابا الدرداء جالسا وحده يبكي فقلت يا ابا الدرداء ما يبكيك في يوم اعز الله فيه الاسلام
واهله فقال ويحك يا جبير ما اهون الخلق على الله عز وجل اذا اضاعوا امره بينما هي امة قاهرة
ظاهرة لهم الملك تركوا امر الله فصاروا الى ما ترى وقال علي بن الجعد ثنا شعبة عن عمرو بن مرة قال سمعت

اصحاب
الذراري اخرجوا الا
الديار
ضيعوا

ابا البختری یقول اخبرنی من سمع النبی صلی اللہ علیہ وسلم یقول لن یہلک الناس حتی یعذروا من انفسہم وفی مسند احمد من حدیث ام سلمۃ قالت سمعت رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم یقول اذا ظہرت المعاصی فی امتی عمہم اللہ بعذاب من عندہ فقلت یا رسول اللہ اما فیہم یومئذ اناس صالحون قال بلی قلت فکیف یصنع باولئک قال یصیبہم ما اصاب الناس ثم یصیرون الی مغفرۃ من اللہ ورضوان وفی مراسیل الحسن عن النبی صلی اللہ علیہ وسلم لاتزال ھذہ الامۃ تحت ید اللہ وفی کنفہ مالم یمال قراؤہا امراءہا ومالم یزک صلحاؤہا فجارہا ومالم یہن خیارہا شرارہا فاذا ہم فعلوا ذلک رفع اللہ یدہ عنہم ثم سلط علیہم جبابرتہم فیسومونہم سوء العذاب ثم ضربہم اللہ بالفاقۃ والفقر وفی المسند من حدیث ثوبان قال قال رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم ان الرجل لیحرم الرزق بالذنب یصیبہ وفیہ ایضاً عنہ قال قال رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم یوشک ان تداعی علیکم الامم من کل افق کما تداعی الآکلۃ علی قصعتہا قلنا یا رسول اللہ امن قلۃ بنا یومئذ قال انتم یومئذ کثیر ولکنکم غثاء کغثاء السیل تنزع المہابۃ من قلوب عدوکم ویجعل فی قلوبکم الوہن قالوا وما الوہن قال حب الحیوٰۃ وکراہۃ الموت وفی المسند من حدیث انس قال قال رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم لما عرج بی مررت بقوم لہم اظفار من نحاس یخمشون وجوہہم وصدورہم فقلت من ھؤلاء یا جبریل فقال ھؤلاء الذین یاکلون لحوم الناس ویقعون فی اعراضہم وفی جامع الترمذی من حدیث ابی ہریرۃ قال قال رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم یخرج فی آخر الزمان قوم یختلون الدنیا بالدین ویلبسون للناس مسوک الضان من اللین السنتہم احلی من السکر وقلوبہم قلوب الذیاب یقول اللہ عزوجل ابی تغترون وعلی تجترؤن فبی حلفت لابعثن علی اولئک فتنۃ تدع الحلیم منہم حیرانا وذکر ابن ابی الدنیا من حدیث جعفر بن محمد عن ابیہ عن جدہ قال قال علی یاتی علی الناس زمان لایبقی من الاسلام الا اسمہ ولا من القرآن الا رسمہ مساجدہم یومئذ عامرۃ وہی خراب من الہدی علماؤہم اشر من تحت ادیم السماء منہم خرجت الفتنۃ وفیہم تعود وذکر من حدیث سماک بن حرب عن عبدالرحمٰن بن عبداللہ بن مسعود عن ابیہ قال اذا ظہر الربوٰ والزنا فی قریۃ اذن اللہ عزوجل بہلاکہا وفی مراسیل الحسن اذا اظہر الناس العلم وضیعوا العمل وتحابوا

اعدائکم

۳۲

بالالسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا بالارحام لعنهم الله عزوجل عند ذلك فاصمهم واعمى
ابصارهم وفي سنن ابن ماجة من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب قال كنت عاشر
عشرة رهط من المهاجرين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل علينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بوجهه فقال يا معشر المهاجرين خمس خصال واعوذ بالله ان تدركوهن
ما ظهرت الفاحشة في قوم حتى اعلنوا بها الا ابتلوا بالطواعين والاوجاع التي لم تكن في اسلافهم
الذين مضوا ولا نقص قوم المكيال والميزان الا ابتلوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان وما منع
قوم زكوة اموالهم الا منعوا القطر من السماء فلولا البهائم لم يمطروا ولا خفر قوم العهد الا سلط الله عليهم
عدوهم من غيرهم فاخذوا بعض ما في ايديهم وما لم تعمل ائمتهم بما انزل الله في كتابه الا جعل الله
باسهم بينهم وفي المسند والسنن من حديث عمرو بن مرة عن سالم بن ابي الجعد عن ابي عبيدة بن
عبد الله بن مسعود عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من كان قبلكم
كان اذا عمل العامل فيهم بالخطيئة جاءه الناهي تعذيرا فقال يا هذا اتق الله فاذا كان من الغد جالسه وواكله وشاربه
كانه لم يره على خطيئة بالامس فلما رأى الله عزوجل ذلك منهم ضرب بقلوب بعضهم على بعض
ثم لعنهم على لسان نبيهم داؤد وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون والذي نفس محمد
بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد السفيه ولتأطرنه على الحق اطرا او ليضربن
الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعنكم كما لعنهم وذكر ابن ابي الدنيا عن ابراهيم بن عمرو الصنعاني
قال اوحى الله الى يوشع بن نون اني مهلك من قومك اربعين الفا من خيارهم وستين الفا
من شرارهم قال يا رب هؤلاء الاشرار فما بال الاخيار قال انهم لم يغضبوا لغضبي وكانوا يواكلونهم
ويشاربونهم وذكر ابو عمر بن عبد البر عن ابي عمران قال بعث الله عزوجل ملكين الى قرية ان دمرا بمن فيها فوجدا فيها رجلا قائما
يصلي في مسجد فقالا يا رب ان فيها عبدك فلانا يصلي فقال الله عزوجل دمراها ودمراه معهم فانه ما تمعر وجهه في قط وذكر الحميدي
عن سفيان بن عيينة قال حدثني سفيان بن سعيد عن مسعر ان ملكا امر ان يخسف بقرية فقال يا رب ان فيها فلانا العابد فاوحى الله
اليه ان به فابدأ فانه لم يتمعر وجهه في ساعة قط وذكر ابن ابي الدنيا عن وهب بن منبه قال لما اصاب داؤد الخطيئة قال يا رب اغفر لي قال قد غفرت لك
والزمت عاره بني اسرائيل قال يا رب كيف وانت الحكم العدل لا تظلم احدا انا اعمل الخطيئة وتلزم عارها غيري فاوحى الله اليه انك لما
عملت الخطيئة لم يعجلوا عليك بالانكار وذكر ابن ابي الدنيا عن انس بن مالك انه دخل على عائشة هو

ما

السيف

هريرة
ابن ابي شيبة
ابو سعيد

ورجل آخر فقال لها الرجل يا ام المؤمنين حدثينا عن الزلزلة فقالت اذا استباحوا الزنا وشربوا
الخمور وضربوا بالمعازف غار الله عز وجل في سمائه فقال للارض تزلزلي بهم فان تابوا ونزعوا
والا هدمها عليهم قال يا ام المؤمنين اعذابا لهم قالت بل موعظة ورحمة للمؤمنين ونكالا وعذابا
وسخطا على الكافرين فقال انس ما سمعت حديثا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اشد
فرحا مني بهذا الحديث وذكر ابن ابي الدنيا حديثا مرسلا ان الارض تزلزلت على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليها ثم قال اسكني فانه لم يان لك بعد ثم التفت الى
اصحابه فقال ان ربكم يستعتبكم فاعتبوه ثم تزلزلت بالناس على عهد عمر بن الخطاب
فقال يا ايها الناس ما كانت هذه الزلزلة الا عن شيء احدثتموه والذي نفسي بيده لان عادت
لا اساكنكم فيها ابدا وفي مناقب عمر لابن ابي الدنيا ان الارض تزلزلت على عهد عمر فضرب
يده عليها وقال ما لك ما لك اما انها لو كانت القيمة حدثت اخبارها سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيمة فليس فيها ذراع ولا شبر الا وهو ينطق وذكر الامام
احمد عن صفية قالت زلزلت المدينة على عهد عمر فقال يا ايها الناس ما هذا ما اسرع ما احدثتم
لان عادت لا تجدوني فيها وقال كعب انما تزلزلت الارض اذا عمل فيها بالمعاصي فترعد
فرقا من الرب عز وجل ان يطلع عليها وكتب عمر بن عبد العزيز الى الامصار اما بعد فان
هذا الرجف شيء يعاتب الله عز وجل به العباد وقد كتبت الى سائر الامصار ان يخرجوا في
يوم كذا وكذا في شهر كذا وكذا فمن كان عنده شيء فليتصدق به فان الله عز وجل قال قد
افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى وقولوا كما قال آدم رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا
وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ وقولوا كما قال نوح وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ
وقولوا كما قال يونس لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ وقال الامام احمد
ثنا اسود بن عامر ثنا ابو بكر عن الاعمش عن عطاء بن ابي رباح عن ابن عمر قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا ضن الناس بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينة واتبعوا
اذناب البقر وتركوا الجهاد في سبيل الله انزل الله بهم بلاء فلا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم ورواه
ابو داود باسناد حسن وذكر ابن ابي الدنيا من حديث ابن عمر قال لقد رايتنا وما احد احق

بديناره ودرهمه من اخيه المسلم ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا ضن الناس
بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينة وتركوا الجهاد في سبيل الله واتبعوا اذناب البقر انزل الله عليهم من السماء
بلاء فلا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم وقال الحسن ان الفتنة والله ما هي الا عقوبة من الله عز
وجل على الناس ونظر بعض انبياء بني اسرائيل الى ما يصنع بهم بخت نصر فقال بما كسبت
ايدينا سلطت علينا من لا يعرفك ولا يرحمنا وقال بخت نصر لدانيال ما الذي سلطني
على قومك قال عظم خطيئتك وظلم قومي انفسهم وذكر ابن ابي الدنيا من حديث عمار بن
ياسر وحذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل اذا اراد بالعباد نقمة امات
الاطفال واعقم ارحام النساء فتنزل النقمة وليس فيهم مرحوم وذكر عن مالك بن دينار قال قرأت
في الحكمة يقول الله عز وجل انا الله مالك الملوك قلوب الملوك بيدي فمن اطاعني جعلتهم
عليه رحمة ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة فلا تشغلوا انفسكم بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم
عليكم وفي مراسيل الحسن اذا اراد الله بقوم خيرا جعل امرهم الى حلمائهم وفيئهم عند سمحائهم واذا
اراد بقوم شرا جعل امرهم الى سفهائهم وفيئهم عند بخلائهم وذكر الامام احمد وغيره عن قتادة قال
يونس يا رب انت في السماء ونحن في الارض فما علامة غضبك من رضاك قال اذا استعملت
عليكم خياركم فهو من علامة رضائي عليكم واذا استعملت عليكم شراركم فهو من علامة سخطي عليكم وذكر
ابن ابي الدنيا عن الفضيل بن عياض قال اوحى الله الى بعض الانبياء اذا عصاني من يعرفني
سلطت عليه من لا يعرفني وذكر ايضا من حديث ابن عمر يرفعه والذي نفسي بيده لا تقوم
الساعة حتى يبعث الله امراء كذبة ووزراء فجرة واعوانا خونة وعرفاء ظلمة وقراء فسقة سيماهم سيما الرهبان
وقلوبهم انتن من الجيف اهواؤهم مختلفة فيفتح الله لهم فتنة غبراء مظلمة فيتهاوكون فيها والذي
نفس محمد بيده لينقضن الاسلام عروة عروة حتى لا يقال الله الله لتامرن بالمعروف ولتنهون
عن المنكر او ليسلطن الله عليكم شراركم فيسومونكم سوء العذاب ثم يدعو خياركم فلا يستجاب
لهم لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليبعثن الله عليكم من لا يرحم صغيركم ولا يوقر
كبيركم وفي معجم الطبراني وغيره من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما طفف قوم كيلا ولا بخسوا ميزانا الا منعهم الله عز وجل القطر وما ظهر

رأيت

في

٣٥

موسى

عنكم

اي يقعون فيها من غير مبالاة

فی قوم الزنا الا ظهر فیهم الموت وما ظهر فی قوم الربوا الا سلط الله علیهم الجنون ولا ظهر فی قوم القتل
یقتل بعضهم بعضاً الا سلط الله علیهم عدوهم ولا ظهر فی قوم عمل قوم لوط الا ظهر فیهم الخسف وما ترک
قوم الامر بالمعروف والنهی عن المنکر الا لم ترفع اعمالهم ولم یسمع دعاؤهم ورواه ابن ابی الدنیا
من حدیث ابراهیم بن الاشعث عن عبد الرحمن بن زید عن ابیه عن سعید به وفی المسند وغیره
من حدیث عروة عن عائشة قالت دخل علیّ رسول الله صلی الله علیه وسلم وقد حفزه النفس
فعرفت فی وجهه ان قد حفزه شیٔ فما تکلم حتی توضی وخرج فلصقت بالحجرة فصعد المنبر فحمد الله
واثنی علیه ثم قال یا ایها الناس ان الله عز وجل یقول لکم مروا بالمعروف وانهوا عن المنکر
قبل ان تدعونی فلا اجیبکم وتستنصرونی فلا انصرکم وتسألونی فلا اعطیکم وقال العمری الزاہد ان
من غفلتک عن نفسک واعراضک عن الله ان تری ما یسخط الله فتتجاوزه ولا تأمر فیه ولا تنهی
عنه خوفاً ممن لا یملک لنفسه ضراً ولا نفعاً وقال من ترک الامر بالمعروف والنهی عن المنکر مخافة من
المخلوقین نزعت منه الطاعة ولو امر ولده او بعض موالیه لاستخف بحقه وذکر الامام احمد فی مسنده
من حدیث قیس بن ابی حازم قال قال ابو بکر الصدیق یا ایها الناس انکم تتلون هذه الآیة
وانکم تضعونها علی غیر مواضعها یا ایها الذین آمنوا علیکم انفسکم لا یضرکم من ضل اذا اهتدیتم وانی
سمعت رسول الله صلی الله علیه وسلم یقول ان الناس اذا رأوا الظالم فلم یأخذوا علی
یدیه وفی لفظ اذا رأوا المنکر فلم یغیروه اوشک ان یعمهم الله بعقاب من عنده وذکر الاوزاعی
عن یحیی بن ابی کثیر عن ابی سلمة عن ابی هریرة قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم
اذا اخفیت الخطیئة فلا تضر الا صاحبها واذا ظهرت فلم تغیر ضرت العامة وذکر الامام احمد
عن عمر بن الخطاب یوشک القری ان تخرب وهی عامرة قیل وکیف تخرب وهی عامرة قال اذا علا فجارها ابرارها
وساد القبیلة منافقوها وذکر الاوزاعی عن حسان بن ابی عطیة ان النبی صلی الله علیه وسلم
قال ستظهر شرار امتی علی خیارها حتی یستخفی المؤمن فیهم کما یستخفی المنافق فینا الیوم وذکر ابن ابی
الدنیا من حدیث ابن عباس یرفعه قال یأتی زمان یذوب فیه قلب المؤمن کما یذوب
الملح فی الماء قیل مم ذاک یا رسول الله قال بما یری من المنکر لا یستطیع تغییره وذکر الامام
احمد من حدیث جریر ان النبی صلی الله علیه وسلم قال من ما قوم یعمل فیهم بالمعاصی هم اعز

فعل ن
فی الحجرة
استجیب لکم الله
لا یستحق بامره
فی ن
فلا ن
لم اصحابها
خیارها ن
منافقوها
مما ذلک ن

والكثر ممن يعلم فلم يغيره الا عمهم الله بعقاب وفي صحيح البخاري عن اسامة بن زيد قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجاء بالرجل يوم القيمة فيلقى في النار فتندلق اقتابه
في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع عليه اهل النار فيقولون اى فلان ماشانك الست
كنت تامرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر قال كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وانهاكم عن المنكر
وآتيه وذكر الامام احمد عن مالك بن دينار قال كان حبر من احبار بني اسرائيل يغشى منزله
الرجال والنساء فيعظهم ويذكرهم بايام الله فرأى بعض بنيه يغمز النساء فقال مهلا يابنى مهلا يابنى
فسقط من سريره فانقطع نخاعه واسقطت امرأته وقتل بنوه فاوحى الله الى نبيهم ان اخبر
فلانا الحبر اني لا اخرج من صلبك صديقا ابدا ما كان غضبك لي الا ان قلت مهلا
يابنى مهلا يابنى وذكر الامام احمد من حديث عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اياكم ومحقرات الذنوب فانهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه وان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ضرب لهن مثلا كمثل القوم نزلوا ارض فلاة فحضر صنيع القوم فجعل الرجل
ينطلق فيجئ بالعود والرجل يجئ بالعود حتى جمعوا سوادا واججوا نارا وانضجوا ما قذفوا فيها وفي صحيح
البخاري عن انس بن مالك قال انكم لتعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر وانا كنا لنعدها
على زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن
عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت
النار لا هي اطعمتها ولا سقتها ولا تركتها تاكل من خشاش الارض وفي الحلية لابي نعيم عن
حذيفة انه قيل له في يوم واحد تركت بنو اسرائيل دينهم قال لا ولكنهم كانوا اذا امروا بشيء تركوه
واذا نهوا عن شيء ركبوه حتى انسلخوا من دينهم كما ينسلخ الرجل من قميصه ومن ههنا قال بعض
السلف المعاصي بريد الكفر كما ان القبلة بريد الجماع والغناء بريد الزنا والنظر بريد العشق والمرض
بريد الموت وفي الحلية ايضا عن ابن عباس انه قال يا صاحب الذنب لا تامن فتنة الذنب وسوء عاقبة الذ
ولما يتبع الذنب اعظم من الذنب اذا عملته فلة حياك ممن على اليمين وعلى الشمال وانت على
الذنب اعظم من الذنب وضحكك وانت لم تدر ما الله صانع بك اعظم من الذنب وفرحك
بالذنب اذا ظفرت به اعظم من الذنب وحزنك على الذنب اذا فاتك اعظم من الذنب وخوفك

الم يكن

اني نسلك

٤٧

عهد

حبستها

فعلوه

القبل

لا تدري

من الريح اذا حركت ستر بابك وانت على الذنب ولا يضطرب فؤادك من نظر الله اليك اعظم من الذنب ويحك هل تدري
ما كان ذنب ايوب عليه السلام فابتلاه بالبلاء في جسده وذهاب ماله استغاث به مسكين على ظالم يدرءه عنه فلم يغثه ولم ينه الظالم عن ظلمه
فابتلاه الله وقال الامام احمد حدثنا الوليد قال سمعت الاوزاعي يقول سمعت بلال بن سعد يقول لا تنظر الى صغر الخطيئة ولكن
انظر الى من عصيت وقال الفضيل بن عياض بقدر ما يصغر الذنب عندك يعظم عند الله وبقدر ما يعظم عندك يصغر عند الله وقيل اوحى الله تعالى الى
موسى ان اول من مات من خلقي ابليس وذلك لانه اول من عصاني وانما اعد من عصاني من الاموات
وفي المسند وجامع الترمذي من حديث ابي صالح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان المؤمن اذا اذنب ذنبا نكتت في قلبه نكتة سوداء فاذا تاب ونزع واستغفر
صقل قلبه وان زاد زادت حتى تعلو قلبه فذلك الران الذي ذكره الله عز وجل كلا بل ران
على قلوبهم ما كانوا يكسبون قال الترمذي هذا حديث صحيح وقال حذيفة اذا اذنب العبد نكت
في قلبه نكتة سوداء حتى يصير قلبه كالشاة الربداء وقال الامام احمد ثنا يعقوب ثنا ابي عن صالح
عن ابن شهاب حدثني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عبد الله بن مسعود ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اما بعد يا معشر قريش فانكم اهل لهذا الامر ما لم تعصوا الله فاذا
عصيتموه بعث عليكم من يلحاكم كما يلحى هذا القضيب لقضيب في يده ثم لحى قضيبه فاذا هو
ابيض يصلد وذكر الامام احمد عن وهب قال ان الرب عز وجل قال في بعض ما يقول لبني اسرائيل
اني اذا اطعت رضيت واذا رضيت باركت وليس لبركتي نهاية واذا عصيت غضبت
واذا غضبت لعنت ولعنتي تبلغ السابع من الولد وذكر ايضا عن وكيع ثنا زكريا عن عامر
قال كتبت عائشة الى معاوية اما بعد فان العبد اذا عمل بمعصية الله عاد حامده من الناس
ذاما وذكر ابو نعيم عن سالم بن ابي الجعد عن ابي الدرداء قال ليحذر امرؤ ان تلعنه قلوب المؤمنين
من حيث لا يشعر ثم قال اتدري مم هذا قلت لا قال ان العبد يخلو بمعاصي الله فيلقي الله
بغضه في قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر وذكر عبد الله بن احمد في كتاب الزهد لابيه
عن محمد بن سيرين انه لما ركبه الدين اغتم لذلك فقال اني لاعرف هذا الغم بذنب اصبته
منذ اربعين سنة وههنا نكتة دقيقة يغلط فيها الناس في امر الذنب وهي انهم لا يرون
تأثيره في الحال وقد يتأخر تأثيره فينسى ويظن العبد انه لا يغير بعد ذلك وان الامر كما قال

الحارث
ثمان
القلب
يكونان البول
٣٨
يقول
شيء بين
ثم
نحو
يغفر كقول

القائل ؎ اذا لم يغبر حائط فى وقوعه ✽ فليس له بعد الوقوع غبار ✽ وسبحان الله ماذا اهلكت هذه النكتة من الخلق وكم ازالت من نعمة وكم جلبت من نقمة وما اكثر المغترين بها من العلماء الفضلاء فضلاً عن الجهال ولم يعلم المغتر ان الذنب ينقض ولو بعد حين كما ينقض السهم وكما ينقض الجرح المندمل على الغش والدغل وقد ذكر الامام احمد عن ابى الدرداء اعبدوا الله كانكم ترونه وعدوا انفسكم فى الموتى واعلموا ان قليلاً يكفيكم خير من كثير يلهيكم واعلموا ان البر لا يبلى وان الاثم لا ينسى ونظر بعض العباد الى صبى فتامل محاسنه فاتى فى كنيته وقيل له لتجدن غبها بعد اربعين سنة وهذا مع ان للذنب نقداً معجلاً لا يتاخر عنه قال سليمان التيمى ان الرجل ليصيب الذنب فى السر فيصبح وعليه مذلته وقال يحيى بن معاذ الرازى عجبت من ذى عقل يقول فى دعائه اللهم لا تشمت بى الاعداء ثم هو يشمت بنفسه كل عدو له قيل وكيف ذلك قال يعصى الله فيشمت به فى القيمة قال ذى النون من خان الله فى السر هتك ستره فى العلانية

بوقوعه

البلية

يغنيكم

فصل

وللمعاصى من الآثار القبيحة المذمومة المضرة بالقلب والبدن فى الدنيا والآخرة ما لا يعلمه الا الله فمنها حرمان العلم فان العلم نور يقذفه الله فى القلب والمعصية تطفى ذلك النور ولما جلس الامام الشافعى بين يدى مالك وقرأ عليه اعجبه ما رأى من وفور فطنته وتوقد ذكائه وكمال فهمه فقال انى ارى الله قد القى على قلبك نوراً فلا تطفئه بظلمة المعصية وقال الشافعى ؎ شكوت الى وكيع سوء حفظى ✽ فارشدنى الى ترك المعاصى ✽ وقال اعلم بان العلم فضل ✽ وفضل الله لا يؤتاه عاصى ✽ ومنها حرمان الرزق وفى المسند ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وقد تقدم وكما ان تقوى الله مجلبة للرزق فترك التقوى مجلبة للفقر فما استجلب رزق الله بمثل ترك المعاصى ومنها وحشة يجدها العاصى فى قلبه بينه وبين الله لا يوازنها ولا يقارنها لذة اصلاً ولو اجتمعت له لذات الدنيا باسرها لم تف بتلك الوحشة وهذا امر لا يحس به الا من فى قلبه حيوة وما لجرح بميت ايلام فلو لم تترك الذنوب الا حذراً من وقوع تلك الوحشة لكان العاقل حرياً بتركها وشكى رجل الى بعض العارفين وحشة يجدها فى نفسه فقال له ؎ اذا كنت قد اوحشتك الذنوب ✽ فدعها

٣٩

ف

له والمراد بذلك علم النافع والا فقد يكون الفاجر والمنافق عالماً بالحق لكن لا ينتفع به والله اعلم ١٢

اذا شئت واستأنس وليس على القلب أمر من وحشة الذنب على الذنب فالله المستعان -
ومنها الوحشة التي تحصل له بينه وبين الناس ولاسيما اهل الخير منهم فانه يجد وحشة بينه وبينهم
وكلما قويت تلك الوحشة بعد منهم ومن مجالستهم وحرم بركة الانتفاع بهم وقرب من حزب الشيطان
بقدر ما بعد من حزب الرحمن وتقوى هذه الوحشة حتى تستحكم فتقع بينه وبين امرأته وولده
واقاربه وبينه وبين نفسه فتراه مستوحشا من نفسه وقال بعض السلف اني لاعصي الله
فارى ذلك في خلق دابتي وامرأتي ومنها تعسير اموره عليه فلا يتوجه لامر الا يجده مغلقا
دونه او متعسرا عليه وهذا كما ان من اتقى الله جعل له من امره يسرا فمن عطل التقوى جعل الله
له من امره عسرا ويا لله العجب كيف يجد العبد ابواب الخير والمصالح مسدودة عنه وطرقها متعسرة عليه
وهو لا يعلم من اين اتي ومنها ظلمة يجدها في قلبه حقيقة يحس بها كما يحس بظلمة الليل البهيم اذا
ادلهم فتصير ظلمة المعصية لقلبه كالظلمة الحسية لبصره فان الطاعة نور والمعصية ظلمة وكلما قويت
الظلمة ازدادت حيرته حتى يقع في البدع والضلالات والامور المهلكة وهو لا يشعر كاعمى خرج
في ظلمة الليل يمشي وحده وتقوى هذه الظلمة حتى تظهر في العين ثم تقوى حتى تعلو الوجه وتصير
سوادا في الوجه حتى يراه كل احد قال عبد الله بن عباس ان للحسنة ضياء في الوجه ونورا في القلب
وسعة في الرزق وقوة في البدن ومحبة في قلوب الخلق وان للسيئة سوادا في الوجه وظلمة
في القبر والقلب ووهنا في البدن ونقصا في الرزق وبغضة في قلوب الخلق ومنها ان
المعاصي توهن القلب والبدن اما وهنها للقلب فامر ظاهر بل لا يزال توهنه حتى تزيل
حياته بالكلية واما وهنها للبدن فان المؤمن قوته من قلبه وكلما قوي قلبه قوي بدنه واما الفاجر
فانه وان كان قوي البدن فهو اضعف شيء عند الحاجة فتخونه قوته عند احوج ما يكون الى نفسه
فتأمل قوة ابدان فارس والروم كيف خانتهم عند احوج ما كانوا اليها وقهرهم اهل الايمان بقوة ابدانهم
وقلوبهم ومنها حرمان الطاعة فلو لم يكن للذنب عقوبة الا انه يصد عن طاعة تكون بدله وتقطع
طريق طاعة اخرى فينقطع عليه طريق ثالثة ثم رابعة وهلم جرا فينقطع عليه بالذنب طاعات
كثيرة كل واحدة منها خير له من الدنيا وما عليها وهذا كرجل اكل اكلة اوجبت له مرضة طويلة منعته
من عدة اكلات اطيب منها والله المستعان ومنها ان المعاصي تقصر العمر وتمحق بركته ولا بد

قلب امر آ[illegible]
الى امر
فيا
في قلبه
۳۴

فان البر كما يزيد في العمر فالفجور ينقص العمر وقد اختلف الناس في هذا الموضع فقالت طائفة نقصان عمر العاصي هو ذهاب بركة عمره ومحقها عليه وهذا حق وهو بعض تاثير المعاصي وقالت طائفة بل تنقصه حقيقة كما تنقص الرزق فجعل الله سبحانه للبركة في الرزق اسبابا كثيرة تكثره وتزيده وللبركة في العمر اسبابا تكثره وتزيده قالوا ولا تمتنع زيادة العمر باسباب كما ينقص باسباب فالارزاق والآجال والسعادة والشقاوة والصحة والمرض والغنى والفقر وان كانت بقضاء الله عز وجل فهو يقضي ما يشاء باسباب جعلها موجبة لمسبباتها مقتضية لها وقالت طائفة اخرى تاثير المعاصي في محق العمر انما هو بان حقيقة الحيوة هي حيوة القلب ولهذا جعل الله سبحانه الكافر ميتا غير حي كما قال تعالى أموات غير احياء فالحيوة في الحقيقة حيوة القلب وعمر الانسان مدة حياته فليس عمره الا اوقات حياته بالله فتلك ساعات عمره فالبر والتقوى والطاعة تزيد في هذه الاوقات التي هي حقيقة عمره ولا عمر له سواها وبالجملة فالعبد اذا اعرض عن الله واشتغل بالمعاصي ضاعت عليه ايام حياته الحقيقية التي يجد غب اضاعتها يوم يقول يا ليتني قدمت لحياتي فلا يخلو اما ان يكون له مع ذلك تطلع الى مصالحه الدنيوية والاخروية او لا فان لم يكن له تطلع الى ذلك فقد ضاع عليه عمره كله وذهبت حياته باطلا وان كان له تطلع الى ذلك طالت عليه الطريق بسبب العوائق وتعسرت عليه اسباب الخير بحسب اشتغاله باضدادها وذلك نقصان حقيقي من عمره وسر المسألة ان عمر الانسان مدة حياته ولا حيوة له الا باقباله على ربه والتنعم بحبه وذكره وايثار مرضاته

فصل

ومنها ان المعاصي تزرع امثالها وتولد بعضها بعضا حتى يعز على العبد مفارقتها والخروج منها كما قال بعض السلف ان من عقوبة السيئة السيئة بعدها وان من ثواب الحسنة الحسنة بعدها فالعبد اذا عمل حسنة قالت اخرى الى جنبها اعملني ايضا فاذا عملها قالت الثالثة كذلك وهلم جرا فتضاعف الربح وتزايدت الحسنات وكذلك كانت السيئات ايضا حتى تصير الطاعات والمعاصي هيئات راسخة وصفات لازمة وملكات ثابتة فلو عطل المحسن الطاعة لضاقت عليه نفسه وضاقت عليه الارض بما رحبت واحس من نفسه بانه كالحوت اذا فارق الماء حتى يعاودها فتسكن نفسه وتقر عينه ولو عطل المجرم المعصية واقبل على الطاعة

لضاقت عليه نفسه وضاق صدره واعيت عليه مذاهبه حتى يعاودها حتى ان كثيرا من الفساق
ليواقع المعصية من غير لذة يجدها ولا داعية اليها الا لما يجد من الالم بمفارقتها كما صرح بذلك
شيخ القوم الحسن بن هانی حيث يقول ؎ وكاس شربت على لذة ۶ واخرى تداويت
منها بها ۶ وقال الآخر ؎ وكانت دوائی وهی دائی بعينه ۶ كما يتداوى شارب الخمر بالخمر ۶
ولا يزال العبد يعانی الطاعة ويالفها ويحبها ويؤثرها حتى يرسل الله سبحانه برحمته عليه الملئكة تؤزه اليها
ازا وتحرضه عليها وتزعجه عن فراشه ومجلسه اليها ولا يزال يالف المعاصی ويحبها ويؤثرها
حتى يرسل الله اليه الشياطين فتؤزه اليها ازا فالاول قوى جند الطاعة بالمدد فكانوا
اكثر من اعوانه وهذا قوى جند المعصية بالمدد فكانوا اعوانا عليه ۶

فصل

ومنها وهو من اخوفها على العبد انها تضعف القلب عن ارادته فتقوى ارادة المعصية
وتضعف ارادة التوبة شيئا فشيئا الى ان تنسلخ من قلبه ارادة التوبة بالكلية فلو مات
نصفه لما تاب الى الله فيأتی بالاستغفار وتوبة الكذابين باللسان بشیء كثير وقلبه معقود
بالمعصية مصر عليها عازم على مواقعتها متى امكنه وهذا من اعظم الامراض واقربها الى الهلاك ۶

فصل

ومنها انه ينسلخ من القلب استقباحها فتصير له عادة فلا يستقبح من نفسه رؤية الناس له
ولا كلامهم فيه وهو عند ارباب الفسوق هو غاية التفكه وتمام اللذة حتى يفتخر احدهم بالمعصية
ويحدث بها من لم يعلم انه عملها فيقول يا فلان عملت كذا وكذا وهذا الضرب من الناس
لا يعافون وتسد عليهم طريق التوبة وتغلق عنهم ابوابها فی الغالب كما قال النبی صلی الله عليه وسلم
كل امتی معافى الا المجاهرين وان من الاجهار ان يستر الله على العبد ثم يصبح يفضح نفسه
ويقول يا فلان عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا فهتك نفسه وقد بات يستره ربه ومنها
ان كل معصية من المعاصی فهی ميراث عن امة من الامم التی اهلكها الله عز وجل فاللوطية
ميراث عن قوم لوط واخذ الحق بالزائد ودفعه بالناقص ميراث عن قوم شعيب والعلو
فی الارض بالفساد ميراث عن فرعون وقوم فرعون والتكبر والتجبر ميراث عن قوم هود فالعاصی

لا لبس ثياب بعض هذه الامم وهم اعداء الله وقد روى عبد الله بن احمد في كتاب الزهد لابيه عن مالك بن دينار قال اوحى الله الى نبي من انبياء بني اسرائيل ان قل لقومك لا تدخلوا مداخل اعدائي ولا تلبسوا ملابس اعدائي ولا تركبوا مراكب اعدائي ولا تطعموا مطاعم اعدائي فتكونوا اعدائي كما هم اعدائي وفي مسند احمد من حديث عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلة والصغار على من خالف امري ومن تشبه بقوم فهو منهم ؎

فصل

ومنها ان المعصية سبب لهوان العبد على ربه وسقوطه من عينه قال الحسن البصري هانوا عليه فعصوه ولو عزوا عليه لعصمهم واذا هان العبد على الله لم يكرمه احد كما قال الله تعالى ومن يهن الله فماله من مكرم وان عظمهم الناس في الظاهر لحاجتهم اليهم او خوفا من شرهم فهم في قلوبهم احقر شيء واهونه ومنها ان العبد لا يزال يرتكب الذنوب حتى تهون عليه ويصغر في قلبه وذلك علامة الهلاك فان الذنب كلما صغر في عين العبد عظم عند الله وقد ذكر البخاري في صحيحه عن ابن مسعود قال ان المؤمن يرى ذنوبه كانه في اصل جبل يخاف ان يقع عليه وان الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على انفه فقال به هكذا فطار ؎

فصل

ومنها ان غيره من الناس والدواب يعود عليه شؤم ذنبه فيحترق هو وغيره بشؤم الذنوب والظلم قال ابو هريرة ان الحبارى لتموت في وكرها من ظلم الظالم وقال مجاهد ان البهائم تلعن عصاة بني آدم اذا اشتدت السنة وامسك المطر وتقول هذا بشؤم معصية ابن آدم وقال عكرمة دواب الارض وهوامها حتى الخنافس والعقارب يقولون منعنا القطر بذنوب بني آدم فلا يكفيه عقاب ذنبه حتى يبوء بلعنة من لا ذنب له ؎ ؎ ؎ ؎ ؎

فصل

ومنها ان المعصية تورث الذل ولا بد فان العز كل العز في طاعة الله تعالى قال تعالى من كان

۳۴

كبر

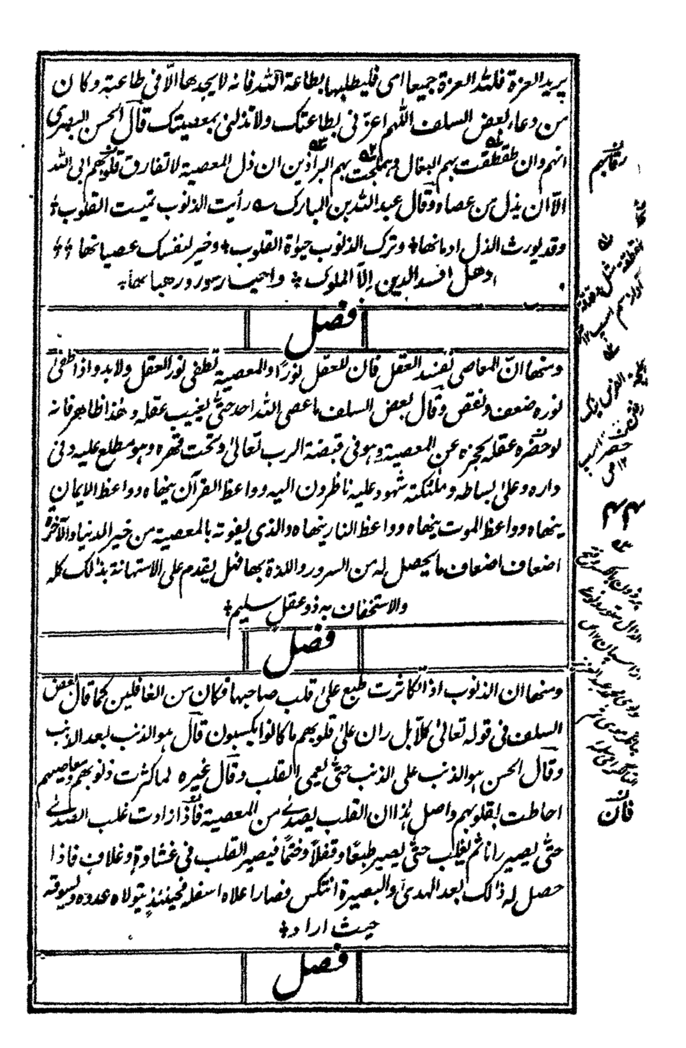
ذنوبه

بالظلم

بني

المطر

وان



يريد العزة فلله العزة جميعا اى فليطلبها بطاعة الله فانه لا يجدها الا في طاعته وكان
من دعاء بعض السلف اللهم اعزني بطاعتك ولا تذلني بمعصيتك قال الحسن البصري
انهم وان طقطقت بهم البغال وهملجت بهم البراذين ان ذل المعصية لا تفارق قلوبهم ابى الله
الا ان يذل من عصاه وقال عبد الله بن المبارك ؎ رأيت الذنوب تميت القلوب ؛
وقد يورث الذل ادمانها ؛ وترك الذنوب حياة القلوب ؛ وخير لنفسك عصيانها ؛؛
وهل افسد الدين الا الملوك ؛ واحبار سوء ورهبانها ؛

فصل

ومنها ان المعاصي تفسد العقل فان للعقل نورا والمعصية تطفئ نور العقل ولا بد واذا طفئ
نوره ضعف ونقص وقال بعض السلف ما عصى الله احد حتى يغيب عقله وهذا ظاهر فانه
لو حضره عقله لحجزه عن المعصية وهو في قبضة الرب تعالى وتحت قهره وهو مطلع عليه وفي
داره وعلى بساطه وملائكته شهود عليه ناظرون اليه وواعظ القرآن ينهاه وواعظ الايمان
ينهاه وواعظ الموت ينهاه وواعظ النار ينهاه والذي يفوته بالمعصية من خير الدنيا والآخرة
اضعاف اضعاف ما يحصل له من السرور واللذة بها فهل يقدم على الاستهانة بذلك كله
والاستخفاف به ذو عقل سليم ؛

فصل

ومنها ان الذنوب اذا تكاثرت طبع على قلب صاحبها فكان من الغافلين كما قال بعض
السلف في قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون قال هو الذنب بعد الذنب
وقال الحسن هو الذنب على الذنب حتى يعمي القلب وقال غيره لما كثرت ذنوبهم ومعاصيهم
احاطت بقلوبهم واصل هذا ان القلب يصدأ من المعصية فاذا زادت غلب الصدأ
حتى يصير رانا ثم يغلب حتى يصير طبعا وقفلا وختما فيصير القلب في غشاوة وغلاف فاذا
حصل له ذلك بعد الهدى والبصيرة انتكس فصار اعلاه اسفله فحينئذ يتولاه عدوه ويسوقه
حيث اراد ؛

فصل

ومنها ان الذنوب تدخل العبد تحت لعنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لعن على معاصي
والتي غيرها اكبر منها فهي اولى بدخول فاعلها تحت اللعنة فلعن الواشمة والمستوشمة والواصلة
والموصولة والنامصة والمتنمصة والواشرة والمستوشرة ولعن آكل الربوا وموكله وكاتبه
وشاهده ولعن المحلل والمحلل له ولعن السارق ولعن شارب الخمر وساقيها وعاصرها
ومعتصرها وبائعها ومشتريها وآكل ثمنها وحاملها والمحمولة اليه ولعن من غير منار الارض
وهي اعلامها وحدودها ولعن من لعن والديه ولعن من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا يرميه
بسهم ولعن المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء ولعن من ذبح لغير الله ولعن
من احدث حدثا او آوى محدثا ولعن المصورين ولعن من عمل عمل قوم لوط ولعن من سب اباه وامه ولعن من
كمه اعمى عن الطريق ولعن من اتى بهيمة ولعن من وسم دابة في وجهها ولعن من ضار
بمسلم او مكر به ولعن زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج ولعن من افسد
امراة على زوجها او مملوكا على سيده ولعن من اتى امراة في دبرها واخبر ان من باتت
مهاجرة لفراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح ولعن من انتسب الى غير ابيه واخبر ان
من اشار الى اخيه بحديدة فان الملائكة تلعنه ولعن من سب الصحابة وقد لعن الله من افسد
في الارض وقطع رحمه واذاه واذى رسوله ولعن من كتم ما انزل الله سبحانه من البينات
والهدى ولعن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات بالفاحشة ولعن من
جعل سبيل الكافر اهدى من سبيل المسلم ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يلبس
لبسة المراة والمراة تلبس لبسة الرجل ولعن الراشي والمرتشي والرائش وهو الواسطة في الرشوة ولعن
على اشياء اخر غير هذه فلو لم يكن في فعل ذلك الا رضاء فاعله بان يكون ممن يلعنه الله
ورسوله وملائكته لكان في ذلك ما يدعو الى تركه

فصل

ومنها حرمان دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوة الملائكة فان الله سبحانه امر
نبيه ان يستغفر للمؤمنين والمؤمنات وقال تعالى الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون
بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين

شاهديه له
بالسهام المتخشين
على
لسلم مسلما
٤٥
اصحابه رضي الله
فقال

تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وادخلهم جنات عدن التی وعدتهم ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذریاتهم انک انت العزیز الحکیم وقهم السیئات فهذا دعاء الملائکة للمؤمنین التائبین المتبعین لکتابه وسنة رسوله الذین لا سبیل لهم غیرهما فلا یطمع غیر هؤلاء باجابة هذه الدعوة اذا لم یتصف بصفات المدعو له بها

بهم فی اجابة

فصل

ومن عقوبات المعاصی ما رواه البخاری فی صحیحه من حدیث سمرة بن جندب قال کان النبی صلی الله علیه وسلم مما یکثر ان یقول لاصحابه هل رأی احد منکم البارحة رؤیا فیقص علیه ما شاء الله ان یقص وانه قال لنا ذات غداة انه اتانی فی اللیلة آتیان وانهما انبعثا وانهما قالا لی انطلق وانی انطلقت معهما وانا اتینا علی رجل مضطجع واذا آخر قائم علیه بصخرة واذا هو یهوی بالصخرة لرأسه فیثلغ رأسه فیتدهده الحجر ههنا فیتبع الحجر فیأخذه فلا یرجع الیه حتی یصبح رأسه کما کان ثم یعود علیه فیفعل به مثل ما فعل المرة الاولی قال قلت لهما سبحان الله ما هذان قالا لی انطلق انطلق فانطلقنا فاتینا علی رجل مستلق لقفاه واذا آخر قائم علیه بکلوب من حدید واذا هو یأتی احد شقی وجهه فیشرشر شدقه الی قفاه ومنخره الی قفاه وعینه الی قفاه ثم یتحول الی الجانب الآخر فیفعل به مثل ما فعل بالجانب الاول فما یفرغ من ذلک الجانب حتی یصبح ذلک الجانب کما کان ثم یعود علیه فیفعل مثل ما فعل فی المرة الاولی قال قلت سبحان الله ما هذان فقالا لی انطلق انطلق فانطلقنا فاتینا علی مثل التنور واذا فیه لغط واصوات قال فاطلعنا فیه فاذا فیه رجال ونساء عراة واذا هم یأتیهم لهب من اسفل منهم فاذا اتاهم ذلک اللهب ضوضوا فقال قلت من هؤلاء قال فقالا لی انطلق انطلق قال فانطلقنا فاتینا علی نهر احمر مثل الدم فاذا فی النهر رجل سابح یسبح واذا علی شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة کثیرة واذا ذلک السابح یسبح ما یسبح ثم یأتی ذلک الذی قد جمع عنده الحجارة فیفغر له فاه فیلقمه حجرا فینطلق فیسبح ثم یرجع الیه کما رجع الیه فغر له فاه فالقمه حجرا قلت لهما ما هذان قالا لی انطلق انطلق فانطلقنا فاتینا علی رجل کریه المرآة کاکره ما انت راء رجلا مرآة واذا هو عنده نار یحشها ویسعی

بهما

یحثها

حولها قال قلت لهما ما هذا قال قالا لي انطلق انطلق فانطلقنا على روضة معتمة فيها من
كل لون الربيع واذا بين ظهري الروضة رجل طويل لا اكاد ارى رأسه طولا في السماء واذا
حول الرجل من اكثر ولدان رأيتهم قط قال قلت ما هذا وما هؤلاء قال قالا لي انطلق انطلق
فانطلقنا فاتينا الى دوحة عظيمة لم ار دوحة قط اعظم منها ولا احسن قال قالا لي ارق فيها
فارتقينا فيها الى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة قال فاتينا باب المدينة فاستفتحنا
ففتح لنا فدخلناها فتلقانا رجال شطر من خلقهم كاحسن ما انت راء وشطر منهم كاقبح ما انت راء
قال قالا لهم اذهبوا فقعوا في ذلك النهر قال واذا نهر معترض يجري كأن ماءه المحض في
البياض فذهبوا فوقعوا فيه ثم رجعوا الينا وقد ذهب ذلك السوء عنهم قال قالا لي هذه جنة
عدن وهذاك منزلك قال فسمى بصري صعدا فاذا قصر مثل الربابة البيضاء قال قالا
لي هذاك منزلك قال قلت لهما بارك الله فيكما فذراني فادخله قالا اما الآن فلا وانت داخله
قال قلت لهما فاني رأيت منذ الليلة عجبا فما هذا الذي رأيت قال قالا لي اما انا سنخبرك
اما الرجل الاول الذي اتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر فانه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه وينام
عن الصلوة المكتوبة واما الرجل الذي اتيت عليه يشرشر شدقه الى قفاه ومنخره الى قفاه
وعينه الى قفاه فانه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق واما الرجال والنساء
العراة الذين هم في مثل بناء التنور فانهم الزناة والزواني واما الرجل الذي اتيت عليه يسبح
في النهر ويلقم الحجارة فانه آكل الربو واما الرجل الكريه المنظر الذي عند النار يحشها ويسعى حولها
فانه مالك خازن جهنم واما الرجل الطويل الذي في الروضة فانه ابراهيم واما الولدان الذين
حوله فكل مولود مات على الفطرة وفي رواية البرقاني ولد على الفطرة فقال بعض المسلمين يا
رسول الله واولاد المشركين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم واولاد المشركين واما القوم
الذين كانوا شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح فانهم قوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا تجاوز الله عنهم

فصل

ومن آثار الذنوب والمعاصي انها تحدث في الارض انواعا من الفساد في المياه والهواء والزرع
والثمار والمساكن قال تعالى ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس ليذيقهم بعض

صعودا

٤٧

فتبلغ

الذي عملوا لعلهم يرجعون قال مجاهد اذا ولي الظالم سعى بالظلم والفساد فيحبس بذلك القطر
فيهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد ثم قرأ ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي
الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون ثم قال اما والله ما هو بحركم هذا ولكن كل
قرية على ماء جار فهو بحر وقال عكرمة ظهر الفساد في البر والبحر اما اني لا اقول لكم بحركم هذا ولكن كل
قرية على ماء وقال قتادة اما البر فاهل العمود واما البحر فاهل القرى والريف قلت وقد سمى الله
تعالى الماء العذب بحرا فقال هو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا
ملح اجاج وليس في العالم بحر حلو واقفا وانما هي الانهار الجارية والبحر المالح هو الساكن فتسمى القرى
التي على المياه الجارية باسم تلك المياه وقال ابن زيد ظهر الفساد في البر والبحر قال الذنوب قلت
اراد ان الذنوب سبب الفساد الذي ظهر وان اراد ان الفساد الذي ظهر هو الذنوب
نفسها فيكون قوله ليذيقهم بعض الذي عملوا لام العاقبة والتعليل وعلى الاول فالمراد
بالفساد النقص والشر والآلام التي يحدثها الله في الارض بمعاصي العباد فكلما احدثوا ذنبا
احدث لهم عقوبة كما قال بعض السلف كلما احدثتم ذنبا احدث الله لكم من سلطانه
عقوبة والظاهر والله اعلم ان الفساد المراد به الذنوب وموجباتها ويدل عليه قوله تعالى
ليذيقهم بعض الذي عملوا فهذا حالنا وانما اذاقنا الشيء اليسير من اعمالنا فلو اذاقنا كل اعمالنا
لما ترك على ظهرها من دابة ومن تأثير معاصي الله في الارض ما يحل بها من الخسف والزلازل
ويمحق بركتها وقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ديار ثمود فمنعهم من دخول ديارهم الا
وهم باكون ومن شرب مياههم ومن الاستسقاء من آبارهم حتى امر ان يعلف العجين الذي
عجن بمياههم للنواضح الابل لتأثير شوم المعصية في الماء وكذلك شوم تأثير الذنوب في نقص
الثمار وما ترى به من الآفات وقد ذكر الامام احمد في مسنده في ضمن حديث قال وجدت في خزائن بعض
بني امية حنطة الحبة بقدر نواة التمرة وهي في صرة مكتوب عليها كان هذا ينبت في
زمن العدل وكثير من هذه الآفات احدثها الله سبحانه وتعالى بما احدث العباد
من الذنوب واخبرني جماعة من شيوخ الصحراء انهم كانوا يعهدون الثمار اكبر مما هي
الآن وكثير من هذه الآفات التي تصيبها لم يكونوا يعرفونها وانما حدثت من قرب وأما

بحر نهر
الذنوب
عند معاصی
۴۸
اقول
للنواضح
زمان
شیخ

تأثير الذنوب في الصور والخلق فقد روى الترمذي في جامعه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال خلق الله آدم طوله في السماء ستون ذراعا ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن فإذا أراد الله أن يطهر الأرض من الظلمة والخونة والفجرة ويخرج عبدا من عباده من أهل بيت نبيه صلى الله عليه وسلم فيملأ الأرض قسطا كما ملئت جورا ويقتل المسيح اليهود والنصارى ويقيم الدين الذي بعث الله به رسوله وتخرج الأرض بركاتها وتعود كما كانت حتى إن العصابة من الناس ليأكلون الرمانة ويستظلون بقحفها ويكون العنقود من العنب وقر بعير ولبن اللقحة الواحدة يكفي الفئام من الناس وهذا لأن الأرض لما طهرت من المعاصي ظهرت فيها آثار البركة من الله تعالى التي محقتها الذنوب والكفر ولا ريب أن العقوبات التي أنزلها الله في الأرض بقية آثارها سارية في الأرض تطلب ما يشاكلها من الذنوب التي هي آثار تلك الجرائم التي عذبت بها الأمم فهذه الآثار في الأرض من آثار العقوبات كما أن هذه المعاصي من آثار الجرائم فتناسبت كلمة الله وحكمه الكوني أولا وآخرا وكان العظيم من العقوبة للعظيم من الجناية والأخف للأخف وهكذا يحكم سبحانه بين خلقه في دار البرزخ ودار الجزاء وتأمل مقارنة الشيطان ومحله وداره فإنه لما قارن العبد واستولى عليه نزعت البركة من عمره وعمله وقوله ورزقه ولما أثرت طاعته في الأرض ما أثرت نزعت البركة من كل محل ظهرت فيه طاعته وكذلك مسكنه لما كان الجحيم لم يكن هناك شيء من الروح والرحمة والبركة.

فصل

ومن عقوباتها أنها تطفئ من القلب نار الغيرة التي هي لحياته وصلاحه كالحرارة الغريزية لحياة جميع البدن فإن الغيرة حرارته وناره التي تخرج ما فيه من الخبث والصفات المذمومة كما يخرج الكير خبث الذهب والفضة والحديد وأشرف الناس وأعلاهم قدرا وهمة أشدهم غيرة على نفسه وخاصته وعموم الناس ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم أغير الخلق على الأمة والله سبحانه أشد غيرة منه كما ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال أتعجبون من غيرة سعد لأنا أغير منه والله أغير مني وفي الصحيح أيضا عنه أنه قال صلى الله عليه وسلم في خطبة الكسوف يا أمة محمد ما أحد أغير من الله أن يز

عبده او تزني امته وفي الصحيح ايضا عنه انه قال لا احد اغير من الله من اجل ذلك حرم الفواحش
ما ظهر منها وما بطن ولا احد احب اليه العذر من الله من اجل ذلك ارسل الرسل مبشرين ومنذرين
ولا احد احب اليه المدح من الله من اجل ذلك اثنى على نفسه فجمع في هذا الحديث بين الغيرة التي
اصلها كراهة القبائح وبغضها وبين محبة العذر الذي يوجب كمال العدل والرحمة والاحسان
والله سبحانه مع شدة غيرته يحب ان يعتذر اليه عبده ويقبل عذر من اعتذر اليه وانه لا يؤاخذ
عبيده بارتكاب ما يغار من ارتكابه حتى يعذر اليهم ولاجل ذلك ارسل رسله وانزل كتبه اعذارا
وانذارا وهذا غاية المجد والاحسان ونهاية الكمال فان كثيرا ممن تشتد غيرته من المخلوقين تحمله شدة
الغيرة على سرعة الايقاع والعقوبة من غير اعذار منه ومن غير قبول العذر ممن اعتذر اليه بل قد يكون
له في نفس الامر عذر ولا تدعه شدة الغيرة ان يقبل عذره وكثير ممن يقبل المعاذير يحمله على قبولها
قلة الغيرة حتى يتوسع في طرق المعاذير ويرى عذرا ما ليس بعذر حتى يعتذر كثير منهم بالقدر وكل منهما غير ممدوح على الاطلاق
وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان من الغيرة ما يحبها الله ومنها ما يبغضها الله فالتي
يبغضها الله الغيرة من غير ريبة وذكر الحديث وانما الممدوح اقتران الغيرة بالعذر فيغار في محل
الغيرة ويعذر في موضع العذر ومن كان هكذا فهو الممدوح حقا ولما جمع سبحانه صفات
الكمال كلها كان احق بالمدح من كل احد ولا يبلغ احد ان يمدحه كما ينبغي له بل هو كما مدح نفسه واثنى
على نفسه فالغيور قد وافق ربه سبحانه في صفة من صفاته ومن وافق الله في صفة من صفاته
قادته تلك الصفة اليه بزمامه وادخلته على ربه وادنته منه وقربته من رحمته وصيرته محبوبا له فانه
سبحانه رحيم يحب الرحماء كريم يحب الكرماء عليم يحب العلماء قوي يحب المؤمن القوي وهو احب
اليه من المؤمن الضعيف حيي يحب اهل الحياء جميل يحب اهل الجمال وتر يحب اهل الوتر ولو لم يكن
في الذنوب والمعاصي الا انها توجب لصاحبها ضد هذه الصفات وتمنعه من الاتصاف
بها لكفى بها عقوبة فان الخطرة تنقلب وسوسة والوسوسة تصير ارادة والارادة تقوى
فتصير عزيمة ثم تصير فعلا ثم تصير صفة لازمة وهيئة ثابتة راسخة وحينئذ يتعذر الخروج
منها كما يتعذر عليه الخروج من صفاته القائمة به والمقصود انه كلما اشتدت ملابسته للذنوب اخرجت
من قلبه الغيرة على نفسه واهله وعموم الناس وقد تضعف في القلب جدا لا يستقبح

انه — عبيده — طرق — القلب

بعد ذلك القبيح لا منه ولا من غيره واذا وصل الى هذا الحد فقد دخل في باب الهلاك وكثير من هؤلاء لا يقتصر على عدم الاستقباح بل يحسن الفواحش والظلم لغيره ويزينه له ويدعوه اليه ويحثه عليه ويسعى له في تحصيله ولهذا كان الديوث اخبث خلق الله والجنة عليه حرام وكذلك محلل الظلم والبغي لغيره ومزينه لغيره فانظر ما الذي حملت عليه قلة الغيرة وهذا يدلك على ان اصل الدين الغيرة ومن لا غيرة له لا دين له فالغيرة تحمي القلب فتحمي له الجوارح فتدفع السوء والفواحش وعدم الغيرة تميت القلب فتموت الجوارح فلا يبقى عندها دفع البتة ومثل الغيرة في القلب مثل القوة التي تدفع المرض وتقاومه فاذا ذهبت القوة وجد الداء المحل قابلا ولم يجد دافعا فتمكن فكان الهلاك ومثلها مثل صياصي الجاموس التي تدفع بها عن نفسه وعن ولده فاذا تكسرت طمع فيها عدوه

فصل

ومن عقوباتها ذهاب الحياء الذي هو مادة الحياة للقلب وهو اصل كل خير وذهابه ذهاب كل خير باجمعه وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الحياء خير كله وقال ان مما ادرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ما شئت وفيه تفسيران احدهما انه على التهديد والوعيد والمعنى من لم يستح فانه يصنع ما شاء من القبائح اذ الحامل على تركها الحياء فاذا لم يكن هناك حياء يزعه عن القبائح فانه يواقعها وهذا تفسير ابي عبيدة والثاني ان الفعل اذا لم تستح منه من الله فافعله وانما الذي ينبغي تركه ما يستحيى منه من الله وهذا تفسير الامام احمد في رواية ابن هانئ فعلى الاول يكون تهديدا كقوله اعملوا ما شئتم وعلى الثاني يكون اذنا واباحة فان قيل فهل من سبيل الى حمله على المعنيين قلت لا ولا على قول من يحمل المشترك على جميع معانيه لما بين الاباحة والتهديد من المنافاة ولكن اعتبار احد المعنيين يوجب اعتبار الآخر والمقصود ان الذنوب تضعف الحياء من العبد حتى ربما انسلخ منه بالكلية حتى ربما انه لا يتأثر بعلم الناس بسوء حاله ولا باطلاعهم عليه بل كثير منهم يخبر عن حاله وقبح ما يفعله والحامل على ذلك انسلاخه من الحياء واذا وصل العبد الى هذه الحالة لم يبق

مشتق من الحيوة والغيث يسمى حيا بالقصر لان به حيوة الارض والنبات والدواب وكذلك سميت بالحيوة حيوة الدنيا والآخرة فمن لا حياء فيه ميت في الدنيا شقي في الآخرة وبين الذنوب وبين قلة الحياء وعدم الغيرة تلازم من الطرفين وكل منهما يستدعي الآخر ويطلبه حثيثا ومن استحيى من الله عند معصيته استحيى الله من عقوبته يوم يلقاه ومن لم يستح من الله تعالى من معصيته لم يستح الله من عقوبته

فصل

ومن عقوباتها انها تضعف في القلب تعظيم الرب جل جلاله وتضعف وقاره في قلب العبد ولا بد شاء ام ابى ولو تمكن وقار الله وعظمته في قلب العبد لما تجرى على معاصيه وربما اغتر المغتر وقال انما يحملني على المعاصي حسن الرجاء وطمعي في عفوه لا ضعف عظمته في قلبي وهذا من مغالطة النفس فان عظمة الله تعالى وجلاله في قلب العبد وتعظيم حرماته يحول بينه وبين الذنوب والمتجرؤن على معاصيه ما قدروه حق قدره وكيف يقدره حق قدره او يعظمه او يكبره او يرجو وقاره ويجله من يهون عليه امره ونهيه هذا من امحل المحال وابين الباطل وكفى بالعاصي عقوبة ان يضمحل من قلبه تعظيم الله جل جلاله وتعظيم حرماته ويهون عليه حقه ومن بعض عقوبة هذا ان يرفع الله عز وجل مهابته من قلوب الخلق ويهون عليهم ويستخفون به كما هان عليه امره واستخف به فعلى قدر محبة العبد لله يحبه الناس وعلى قدر خوفه من الله يخافه الناس وعلى قدر تعظيمه الله وحرماته يعظم الناس حرماته وكيف ينتهك عبد حرمات الله ويطمع ان لا ينتهك الناس حرماته ام كيف يهون عليه حق الله ولا يهونه الله على الناس ام كيف يستخف بمعاصي الله ولا يستخف به الخلق وقد اشار سبحانه الى هذا في كتابه عند ذكر عقوبات الذنوب وانه اركس اربابها بما كسبوا وغطى على قلوبهم وطبع عليها بذنوبهم وانه نسيهم كما نسوه واهانهم كما اهانوا دينه وضيعهم كما ضيعوا امره ولهذا قال تعالى في آية سجود المخلوقات له ومن يهن الله فما له من مكرم فانهم لما هان عليهم السجود له واستخفوا به ولم يفعلوه اهانهم فلم يكن لهم من مكرم بعد ان اهانهم ومن ذا يكرم من اهانه الله او يهن من اكرم

فصل

ومن عقوباتها انها تستدعي نسيان الله لعبده وتركه وتخليته بينه وبين نفسه وشيطانه وهنالك الهلاك الذي لا يرجى معه نجاة قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون فامر بتقواه ونهى ان يتشبه عباده المؤمنون بمن نسيه بترك تقواه واخبر انه عاقب من ترك التقوى بان انساه نفسه اي انساه مصالحها وما ينجيها من عذابه وما يوجب له الحيوة الابدية وكمال لذتها وسرورها ونعيمها فانساه الله ذلك كله جزاء لما انسيه من عظمته وخوفه والقيام بامره فترى العاصي مهملاً لمصالح نفسه مضيعاً لها قد اغفل الله قلبه عن ذكره واتبع هواه وكان امره فرطا قد انفرطت عليه مصالح دنياه وآخرته وقد فرط في سعادته الابدية واستبدل بها ادنى ما يكون من لذة انما هي سحابة صيف او خيال طيف ؎ احلام نوم او كظل زائل ✤ ان اللبيب بمثلها لا يخدع ✤ واعظم العقوبات نسيان العبد لنفسه واهماله لها واضاعته حظها ونصيبها من الله وبيعها ذلك بالغبن والهوان وابخس الثمن فضيع من لا غنى له عنه ولا عوض له منه واستبدل به من عنه كل الغنى ومنه كل العوض ؎ من كل شئ اذا ضيعته عوض ✤ وليس في الله ان ضيعت من عوض ✤ فالله سبحانه يعوض عن كل شئ ما سواه ولا يعوض منه شئ ويغني عن كل شئ ولا يغني عنه شئ ويمنع من كل شئ ولا يمنع منه شئ ويجير من كل شئ ولا يجير منه شئ كيف يستغني العبد عن طاعة من هذا شانه طرفة عين وكيف ينسى ذكره ويضيع امره حتى ينسيه نفسه فيخسرها ويظلمها اعظم الظلم فما ظلم العبد ربه ولكن ظلم نفسه وما ظلمه ربه ولكن هو الذي ظلم نفسه ✤

هنالك

كمالها

مصالح

نفسه

الاثمان

مامن

ضيعت عنه

فصل

ومن عقوباتها انها تخرج العبد من دائرة الاحسان وتمنعه من ثواب المحسنين فان الاحسان اذا باشر القلب منعه عن المعاصي فان من عبد الله كانه يراه لم يكن كذلك الا لاستيلاء ذكره ومحبته وخوفه ورجائه على قلبه بحيث يصير كانه يشاهده ...

من ذلك

بينه وبين ارادة المعاصي فضلاً عن مواقعتها فاذا اخرج من دائرة الاحسان فاته صحبة رفقته الخاصة وعيشهم الهني ونعيمهم التام فان اراد الله به خيراً اقره في دائرة عموم المؤمنين فان عصاه بالمعاصي التي تخرجه من دائرة الايمان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربه وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع اليه الناس فيها ابصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن فاياكم اياكم والتوبة معروضة بعدُ

فصل

ومن فاته رفقة المؤمنين وخرج عن دائرة الايمان فاته حسن دفاع الله عن المؤمنين فان الله يدافع عن الذين آمنوا وفاته كل خير رتبه الله في كتابه على الايمان وهو نحو مائة خصلة كل خصلة منها خير من الدنيا وما فيها فمنها الاجر العظيم وسوف يؤتي الله المؤمنين اجراً عظيماً ومنها الدفع عنهم شرور الدنيا والآخرة ان الله يدافع عن الذين آمنوا ومنها استغفار حملة العرش لهم الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ومنها موالاة الله لهم ولا يذل من والاه الله قال الله تعالى الله ولي الذين آمنوا ومنها امره ملائكته بتثبيتهم اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا ومنها ان لهم الدرجات عند ربهم والمغفرة والرزق الكريم ومنها العزة ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ومنها معية الله لاهل الايمان وان الله لمع المؤمنين ومنها الرفعة في الدنيا والآخرة يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات ومنها اعطاهم كفلين من رحمته واعطاهم نوراً يمشون به ومغفرة ذنوبهم ومنها الود الذي يجعله سبحانه لهم وهو انه يحبهم ويحببهم الى ملائكته وانبيائه وعباده الصالحين ومنها امانهم من الخوف يوم يشتد الخوف فمن آمن وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ومنها انهم المنعم عليهم الذين امرنا ان نسأله ان يهدينا الى صراطهم في كل يوم وليلة سبع عشرة مرة ومنها ان القرآن انما هو هدى لهم وشفاء قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى اولئك ينادون من مكان بعيد والمقصود ان الايمان سبب جالب لكل خير وكل خير في الدنيا والآخرة فسببه الايمان فكيف يهون على العبد ان يرتكب شيئاً

٥٣

يخرج من دائرة الايمان ويحول بينه وبينه ذلك لا يخرج من دائرة عموم المسلمين فان استمر على الذنوب واصر عليها خيف عليه ان يرين على قلبه فيخرجه عن الاسلام بالكلية ومن هنا اشتد خوف السلف كما قال بعضهم انتم تخافون الذنوب وانا اخاف الكفر *

فصل

ومن عقوباتها انها تضعف سير القلب الى الله والدار الاخرة وتعوقه وتوقفه وتقطعه عن السير فلا تدعه يخطو الى الله خطوة هذا ان لم ترده عن وجهته الى ورائه فالذنب يحجب الواصل ويقطع السائر وينكس الطالب والقلب انما يسير الى الله بقوته فاذا مرض بالذنوب ضعفت تلك القوة التي تسيره فان زالت بالكلية انقطع عن الله انقطاعا يبعد تداركه والله المستعان فالذنب اما يميت القلب او يمرضه مرضا مخوفا او يضعف قوته ولابد حتى ينتهي ضعفه الى الاشياء الثمانية التي استعاذ منها النبي صلى الله عليه وسلم وهي الهم والحزن والكسل والعجز والجبن والبخل وضلع الدين وغلبة الرجال وكل اثنين منها قرينان فالهم والحزن قرينان فان المكروه الوارد على القلب ان كان من امر مستقبل يتوقعه احدث الهم وان كان من امر ماض قد وقع احدث الحزن والعجز والكسل قرينان فان تخلف العبد عن اسباب الخير والفلاح ان كان لعدم قدرته فهو العجز وان كان لعدم ارادته فهو الكسل والجبن والبخل قرينان فان عدم النفع منه ان كان ببدنه فهو الجبن وان كان بماله فهو البخل وضلع الدين وقهر الرجال قرينان فان استيلاء الغير عليه ان كان بحق فهو من ضلع الدين وان كان بباطل فهو من قهر الرجال والمقصود ان الذنوب من اقوى الاسباب الجالبة لهذه الثمانية كما انها من اقوى الاسباب الجالبة لجهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الاعداء ومن اقوى الاسباب الجالبة لزوال نعم الله تعالى وتقدس وتحول عافيته وفجاءة نقمته وجميع سخطه *

فصل

ومن عقوبات الذنوب انها تزيل النعم وتحل النقم فما زالت عن العبد نعمة الا بسبب ذنب ولا حلت به نقمة الا بذنب كما قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه ما نزل

بلاء الا بذنب ولا رفع بلاء الا بتوبة وقد قال تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم
ويعفوا عن كثير وقال تعالى ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا
ما بانفسهم فاخبر الله تعالى انه لا يغير نعمته التي انعم بها على احد حتى يكون هو الذي يغير ما بنفسه
فيغير طاعة الله بمعصيته وشكره بكفره واسباب رضاه باسباب سخطه فاذا غير غير عليه جزاء
وفاقا وما ربك بظلام للعبيد فان غير المعصية بالطاعة غير الله عليه العقوبة بالعافية
والذل بالعز قال تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا اراد الله
بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال وفي بعض الآثار الالهية عن الرب تبارك
وتعالى انه قال وعزتي وجلالي لا يكون عبد من عبيدي على ما احب ثم ينتقل عنه الى ما
اكره الا انتقلت له مما يحب الى ما يكره ولا يكون عبد من عبيدي على ما اكره فينتقل
عنه الى ما احب الا انتقلت له مما يكره الى ما يحب وقد احسن القائل

اذا كنت في نعمة فارعها ❊ فان الذنوب تزيل النعم ❊ وحطها بطاعة رب العباد ❊
فرب العباد سريع النقم ❊ واياك والظلم مهما استطعت ❊ فظلم العباد شديد الوخم ❊
وسافر بقلبك بين الورى ❊ لتبصر آثار من قد ظلم ❊ فتلك مساكنهم بعدهم ❊
شهود عليهم ولا تتهم ❊ وما كان شيء عليهم اضر ❊ من الظلم وهو الذي قد قصم ❊
فكم تركوا من جنان ومن ❊ قصور واخرى عليهم اطم ❊ صلوا بالجحيم وفات النعيم ❊
وكان الذي نالهم كالحلم ❊

فصل

ومن عقوباتها ما يلقيه الله سبحانه من الرعب والخوف في قلب العاصي فلا تراه
الا خائفا مرعوبا فان الطاعة حصن الله الاعظم الذي من دخله كان من الآمنين
من عقوبات الدنيا والآخرة ومن خرج عنه احاطت به المخاوف من كل جانب
فمن اطاع الله انقلبت المخاوف في حقه امانا ومن عصاه انقلبت مآمنه مخاوف
فلا تجد العاصي الا وقلبه كانه بين جناحي طائر ان حركت الريح الباب قال جاء
الطلب وان سمع وقع قدم خاف ان يكون نذيرا بالعطب يحسب كل صيحة عليه

عبادي — نسخة عبادي ثم ينتقل — ٥٦ — نسخة عقوبة

وكل مكروه قاصد اليه فمن خاف الله آمنه من كل شئ ومن لم يخف الله اخافه من كل شئ ٥ بذا قضى الله
بين الخلق مذ خلقوا ان المخاوف والاجرام في قرن ٥ ومن عقوباتها انها توقع الوحشة العظيمة في القلب
فيجد المذنب نفسه مستوحشًا قد وقعت الوحشة بينه وبين ربه وبينه وبين الخلق وبينه وبين
نفسه وكلما كثرت الذنوب اشتدت الوحشة وامر العيش عيش المستوحشين الخائفين واطيب
العيش عيش المستأنسين فلو نظر العاقل ووازن بين لذة المعصية وما توقعه من الخوف والوحشة
لعلم سوء حاله وعظيم غبنه اذ باع انس الطاعة وامنها وحلاوتها بوحشة المعصية وما توجبه
من الخوف ٥ اذا كنت قد اوحشتك الذنوب ٭ فدعها اذا شئت واستأنس ٥ وسر المسألة ان الطاعة توجب
القرب من الرب سبحانه وكلما اشتد القرب قوي الانس والمعصية توجب البعد من الرب وكلما ازداد البعد قويت الوحشة
ولهذا يجد العبد وحشة بينه وبين عدوه للبعد الذي بينهما وان كان ملابسًا له قريبًا منه
ويجد انسًا قويًا بينه وبين من يحب وان كان بعيدًا عنه والوحشة سببها الحجاب وكلما غلظ
الحجاب زادت الوحشة فالغفلة توجب الوحشة واشد منها وحشة المعصية واشد منها
وحشة الشرك والكفر ولا تجد احدًا يلابس شيئًا من ذلك الا ويعلوه من الوحشة بحسب
ما لابسه منه فتعلو الوحشة وجهه وقلبه فيستوحش ويستوحش منه ٭

فصل

ومن عقوباتها انها تصرف القلب عن صحته واستقامته الى مرضه وانحرافه فلا يزال
مريضًا معلولًا لا ينتفع بالاغذية التي بها حياته وصلاحه فان تأثير الذنوب في القلوب
كتأثير الامراض في الابدان بل الذنوب امراض القلوب وداؤها ولا دواء لها الا تركها
وقد اجمع السائرون الى الله ان القلوب لا تعطى مناها حتى تصل الى مولاها ولا تصل
الى مولاها حتى تكون صحيحة سليمة ولا تكون صحيحة سليمة حتى ينقلب داؤها فتصير نفس
دوائها ولا يصح لها ذلك الا بمخالفة هواها وهواها مرضها وشفاؤها مخالفته فان استحكم
المرض قتل او كاد وكما ان من نهى نفسه عن الهوى كانت الجنة مأواه كذلك يكون
قلبه في هذه الدار في جنة عاجلة لا يشبه نعيم اهلها نعيم البتة بل التفاوت الذي بين النعيمين
كالتفاوت الذي بين نعيم الدنيا والآخرة وهذا امر لا يصدق به الا من باشر قلبه هذا وهذا

الناس توجب
تكر توقعه
فإن
وقربا
هكذا

ولا تحسب ان قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم مقصور على نعيم الآخرة وجحيمها
فقط بل في دورهم الثلثة كذلك اعني دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار فهؤلاء في نعيم
وهؤلاء في جحيم وهل النعيم الا نعيم القلب وهل العذاب الا عذاب القلب واى عذاب
اشد من الخوف والهم والحزن وضيق الصدر واعراضه عن الله والدار الآخرة وتعلقه
بغير الله وانقطاعه عن الله بكل واد منه شعبة وكل شيء تعلق به واحبه من دون الله فانه
يسومه سوء العذاب فكل من احب شيئا غير الله عذب به ثلث مرات في هذه الدار
فهو يعذب به قبل حصوله حتى يحصل فاذا حصل عذب به حال حصوله بالخوف من
سلبه وفواته والتنغيص والتنكيد عليه وانواع المعارضات فاذا سلبه اشتد عذابه عليه فهذه ثلثة
انواع من العذاب في هذه الدار واما في البرزخ فعذاب يقارنه الم الفراق الذي لا يرجى
عوده والم فوات ما فاته من النعيم العظيم باشتغاله بضده والم الحجاب عن الله والم الحسرة
التي تقطع الاكباد فالهم والغم والحسرة والحزن تعمل في نفوسهم نظير ما تعمل الهوام والديدان
في ابدانهم بل عملها في النفوس دائم مستمر حتى يردها الله الى اجسادها فحينئذ ينتقل العذاب
الى نوع هو ادهى وامر فاين هذا من نعيم من يرقص قلبه طربا وفرحا وانسا بربه واشتياقا
اليه وارتياحا بحبه وطمانينة بذكره حتى يقول بعضهم في حال نزعه واطرباه ويقول الآخر
ان كان اهل الجنة في مثل هذا الحال انهم لفي عيش طيب ويقول الآخر مساكين اهل الدنيا
خرجوا منها وما ذاقوا لذيذ العيش فيها وما ذاقوا اطيب ما فيها ويقول الآخر لو علم الملوك وابناء
الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف ويقول الآخر ان في الدنيا جنة من لم يدخلها
لم يدخل جنة الآخرة فيا من باع حظه الغالي بابخس الثمن وغبن كل الغبن في هذا العقد
وهو يرى انه قد غبن اذا لم يكن لك خبرة بقيمة السلعة فاسأل المقومين فيا عجبا من بضاعة
معك الله مشتريها وثمنها جنة المأوى والسفير الذي جرى على يده عقد التبايع وضمن
الثمن عن المشتري هو الرسول صلى الله عليه وسلم وقد بعتها بغاية الهوان ؎ اذا كان
هذا فعل عبد بنفسه ٭ فمن ذا له من بعد ذلك يكرم ٭ ومن يهن الله فما له من مكرم
ان الله يفعل ما يشاء ٭

عذبه الله
المكان
تفعل
السلعة
يديه

فصل

ومن عقوباتها انها تعمی بصر القلب وتطمس نوره وتسد طرق العلم وتحجب مواد الهداية
وقد قال مالک للشافعی رحمهما الله تعالیٰ لما اجتمع به ورأیٰ تلک المخایل انی اریٰ الله
تعالیٰ قد القیٰ علیٰ قلبک نوراً فلا تطفئه بظلمة المعصية ولایزال هذا النور يضعف ويضمحل
وظلام المعصية يقویٰ حتیٰ يصير القلب فی مثل الليل البهيم فکم من مهلک يسقط فيه وهو
لايبصره کاعمیٰ خرج بالليل فی طريق ذات مهالک ومعاطب فيا عزة السلامة ويا سرعة
العطب ثم تقویٰ تلک الظلمات وتفيض من القلب الی الجوارح فيغشی الوجه منها سواد
بحسب قوتها وتزايدها فاذا کانت عند الموت ظهرت فی البرزخ فامتلأ القبر ظلمة کما قال
النبی صلی الله عليه وسلم ان هذه القبور ممتلئة علیٰ اهلها ظلمة وان الله ينورها بصلاتی عليهم
فاذا کان يوم المعاد وحشر العباد علت الظلمة الوجوه علواً ظاهراً يراه کل احد حتیٰ يصير الوجه
اسود مثل الحممة فيا لها من عقوبة لاتوازن لذات الدنيا باجمعها من اولها الیٰ آخرها
فکيف بقسط العبد المنغص المنکد المتعب فی زمن انما هو ساعة من حلم والله المستعان

فصل

ومن عقوباتها انها تصغر النفس وتقمعها وتدسيها وتحقرها حتیٰ تصير اصغر کل شئ واحقره کما ان
الطاعة تنميها وتزکيها وتکبرها قال تعالیٰ قد افلح من زکاها وقد خاب من دساها والمعنیٰ قد افلح من کبرها واعلاها بطاعة
الله واظهرها وقد خسر من اخفاها وحقرها وصغرها بمعصية الله واصل التدسية الاخفاء
ومنه قوله تعالیٰ يدسه فی التراب فالعاصی يدس نفسه فی المعصية ويخفی مکانها ويتواریٰ
من الخلق من سوء ما يأتی به قد انقمع عند نفسه وانقمع عند الله وانقمع عند الخلق فالطاعة
والبر تکبر النفس وتعزها وتعليها حتیٰ تصير اشرف شئ واکبره وازکاه واعلاه ومع ذلک فهی اذل
شئ واحقره واصغره لله تعالیٰ وبهذا الذل حصل لها هذا العز والشرف والنمو فما صغر
النفس مثل معصية الله وما کبرها وشرفها ورفعها مثل طاعة الله

فصل

مقيد ولا اسير اسوء حالا من اسير اسره اعدى عدو له ولا سجن اضيق من سجن الهوى ولا قيد
اصعب من قيد الشهوة فكيف يسير الى الله والدار الآخرة قلب ماسور مسجون مقيد كيف
يخطو خطوة واحدة واذا تقيد القلب طرقته الآفات من كل جانب بحسب قيوده ومثل
القلب مثل الطائر كلما علا بعد عن الآفات وكلما نزل احتوشته الآفات وفي الحديث
الشيطان ذئب الانسان وكما ان الشاة التي لا حافظ لها وهي بين الذئاب سريعة العطب
فكذا العبد اذا لم يكن عليه حافظ من الله فذئبه مفترسه ولابد وانما يكون عليه حافظ من الله
بالتقوى فهي وقاية وجنة حصينة بينه وبين ذئبه كما هي وقاية بينه وبين عقوبات الدنيا والآخرة
وكلما كانت الشاة اقرب من الراعي كانت اسلم من الذئب وكلما بعدت عن الراعي
كانت اقرب الى الهلاك فاحمى ما تكون الشاة اذا قربت من الراعي وانما ياخذ الذئب
القاصي من الغنم وهي ابعد من الراعي واصل هذا كله ان القلب كلما كان ابعد
من الله كانت الآفات اليه اسرع وكلما اقرب من الله بعدت عنه الآفات والبعد
من الله مراتب بعضها اشد من بعض فالغفلة تبعد العبد عن الله وبعد المعصية اعظم
من بعد الغفلة وبعد البدعة اعظم من بعد المعصية وبعد النفاق والشرك اعظم من ذلك كله

فصل

ومن عقوباتها سقوط الجاه والمنزلة والكرامة عند الله وعند خلقه فان اكرم الخلق عند الله
اتقاهم واقربهم منه منزلة اطوعهم له وعلى قدر طاعة العبد تكون له منزلة عنده فاذا عصاه
وخالف امره سقط من عينه فاسقطه من قلوب عباده واذا لم يبق له جاه عند الخلق وهان
عليهم عاملوه على حسب ذلك فعاش بينهم اسوء عيش خامل الذكر ساقط القدر زري الحال
لا حرمة له فلا فرح له ولا سرور فان خمول الذكر وسقوط القدر والجاه معه كل غم وهم وحزن ولا سرور معه ولا فرح واين
هذا الالم من لذة المعصية لولا سكر الشهوة ومن اعظم نعم الله على العبد ان يرفع له بين العالمين ذكره ويعلي قدره ولهذا خص انبياءه
ورسله من ذلك بما ليس لغيرهم كما قال تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب
اولي الايدي والابصار انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار اي خصصناهم بخصيصة وهو الذكر
الجميل الذي يذكرون به في هذه الدار وهو لسان الصدق الذي سأله ابراهيم الخليل

من
التي
٦٠

عليه الصلوٰة والسلام حيث قال واجعل لي لسان صدق في الآخرين وقال سبحانه
وتعالى عنه وعن بنيه ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا وقال النبي صلى
الله عليه وسلم ورفعنا لك ذكرك فاتباع الرسل لهم نصيب من ذلك بحسب ميراثهم
من طاعتهم ومتابعتهم وكل من خالفهم فانه من ذلك بحسب مخالفتهم ومعصيتهم

فصل

ومن عقوباتها انها تسلب صاحبها اسماء المدح والشرف وتكسوه اسماء الذم والصغار
فتسلبه اسم المؤمن والبر والمحسن والمتقي والمطيع والمنيب والولي والورع والمصلح والعابد
والخائف والاواب والطيب والرضي ونحوها وتكسوه اسم الفاجر والعاصي والمخالف
والمسيء والمفسد والخبيث والمسخوط والزاني والسارق والقاتل والكاذب والخائن
واللوطي والغادر وقاطع الرحم وامثالها فهذه اسماء الفسوق وبئس الاسم الفسوق بعد
الايمان التي توجب غضب الديان ودخول النيران وعيش الخزي والهوان
وتلك اسماء توجب رضاء الرحمن ودخول الجنان وتوجب شرف المسمى بها على
سائر انواع الانسان فلو لم يكن في عقوبة المعصية الا استحقاق تلك الاسماء وموجباتها
لكان في العقل ناه عنها ولو لم يكن في ثواب الطاعة الا الفوز بتلك الاسماء وموجباتها
لكان في العقل امر بها ولكن لا مانع لما اعطى الله ولا معطي لما منع ولا مقرب لمن باعد
ولا مبعد لمن قرب ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء

فصل

ومن عقوباتها انها تؤثر بالخاصة في نقصان العقل فلا تجد عاقلين احدهما مطيع لله
والآخر عاص الا وعقل المطيع منهما اوفر واكمل وفكره اصح ورأيه اسد والصواب قرينه
ولهذا تجد خطاب القرآن انما هو مع اولي الالباب والعقول كقوله فاتقون يا اولي
الالباب وقوله فاتقوا الله يا اولي الالباب وقوله وما يذكر الا اولوا الالباب ونظائر
ذلك كثيرة وكيف يكون عاقلا وافر العقل من يعصي من هو في قبضته وفي داره
وهو يعلم انه يراه ويشاهده فيعصيه وهو بعينه غير متوار عنه ويستعد منه عادمه اذا

التقي

هٰذه

٦١

صيته

وليستدعي كل وقت غضبه عليه ولعنته له والعبادة من قربه وطرده عن بابه واعراضه عنه وخذلانه له والتخلية بينه وبين نفسه وعدوه وسقوطه من عينه وحرمانه روح رضاه وحبه وقرة العين بقربه والفوز بجواره والنظر الى وجهه في زمرة اوليائه الى اضعاف اضعاف ذلك من كرامة اهل الطاعة واضعاف اضعاف ذلك من عقوبة اهل المعصية فاي عقل لمن آثر لذة ساعة او يوم او دهر ثم تنقضي كانها حلم لم يكن على هذا النعيم المقيم والفوز العظيم بل هو سعادة الدنيا والآخرة ولولا العقل الذي تقوم عليه به الحجة لكان بمنزلة المجانين بل قد يكون المجانين احسن حالاً منه واسلم عاقبة فهذا من هذا الوجه واما تاثيرها في نقصان العقل العيشي فلولا الاشتراك في هذا النقصان لظهر لمطيعنا نقصان عقل عاصينا ولكن الجائحة عامة والجنون فنون ويا عجبا لو صحت العقول لعلمت ان الطريق الذي يحصل به اللذة والفرحة والسرور وطيب العيش انما هو في رضا من النعم كله في رضاه والالم والعذاب كله في سخطه وغضبه ففي رضاه قرة العيون وسرور النفوس وحيوة القلوب ولذة الارواح وطيب الحيوة ولذة العيش واطيب النعيم مما لو وزن منه مثقال ذرة بنعيم الدنيا لم تف به بل اذا حصل للقلب من ذلك اليسير نصيب لم يرض بالدنيا وما فيها عوضاً منه ومع هذا فهو يتنعم بنصيبه من الدنيا اعظم من تنعم المترفين فيها ولا يشوب تنعمه بذلك الحظ اليسير بالشوب تنعم المترفين من الهموم والغموم والاحزان والمعارضات بل قد حصل له على النعيمين وهو ينتظر نعيمين آخرين اعظم منهما وما يحصل له في خلال ذلك من الآلام فالامر كما قال سبحانه ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون فلا اله الا الله ما انقص عقل من باع الدر بالبعر والمسك بالرجيع ومرافقة الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بمرافقة الذين غضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا

فصل

ومن اعظم عقوباتها انها توجب القطيعة بين العبد وبين ربه تبارك وتعالى واذا وقعت القطيعة انقطعت عنه اسباب الخير واتصلت به اسباب الشر فاي فلاح واي رجاء واي عيش لمن انقطعت عنه اسباب الخير وقطع ما بينه وبين وليه ومولاه الذي

في قربه

حالاً

هذا

طريق تحصيل

والالم

اغنیٰ لہ عنہ طرفۃ عین ولا بدل لہ منہ ولا عوض لہ عنہ واتصلت بہ اسباب الشر ووصل
ما بینہ وبین اعداء عدوہ فتولاہ عدوہ وتخلی عنہ ولیہ فلا تعلم نفس ما فی ھٰذا الانقطاع والاتصال
من انواع الآلام وانواع العذاب قال بعض السلف رأیت العبد ملقی بین اللہ سبحانہ
وبین الشیطان فان اعرض اللہ عنہ تولاہ الشیطان وان تولاہ اللہ لم یقدر علیہ
الشیطان وقد قال تعالیٰ واذ قلنا للملائکۃ اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابلیس کان من
الجن ففسق عن امر ربہ افتتخذونہ وذریتہ اولیاء من دونی وھم لکم عدو بئس للظالمین
بدلا یقول سبحانہ لعبادہ انا اکرمت اباکم ورفعت قدرہ وفضلتہ علی غیرہ فامرت
ملائکتی کلھم ان یسجدوا لہ تکریماً وتشریفاً فاطاعونی وابی عدوی وعدوہ فعصی امری وخرج
عن طاعتی فکیف یحسن بکم بعد ھٰذا ان تتخذونہ وذریتہ اولیاء من دونی فتطیعونہ فی
معصیتی وتوالونہ فی خلاف مرضاتی وھم اعداء عدو لکم فوالیتم عدوی وقد امرتکم بمعاداتہ
ومن والی اعداء الملک کان ھو واعداؤہ عندہ سواء فان المحبۃ والطاعۃ لا تتم الا بمعاداۃ
اعداء المطاع وموالات اولیائہ واما ان توالی اعداء الملک ثم تدعی انک موال لہ فھٰذا
محال ھٰذا ولو لم یکن عدو الملک عدواً لکم فکیف اذا کان عدوکم علی الحقیقۃ والعداوۃ التی بینکم وبینہ اعظم
من العداوۃ التی بین الشاۃ وبین الذئب فکیف یلیق بالعاقل ان یوالی عدوہ وعدو
ولیہ ومولاہ الذی لا مولی لہ سواہ ونبہ سبحانہ علی قبح ھٰذہ الموالات بقولہ وھم لکم عدو
وکما نبہ علی قبحھا بقولہ تعالیٰ ففسق عن امر ربہ فتبین ان عداوتہ لربہ وعداوتہ لنا کل
منھما سبب یدعو الی معاداتہ فما ھٰذہ الموالات وما ھٰذا الاستبدال بئس للظالمین بدلا
ویشبہ ان یکون تحت ھٰذا الخطاب نوع من العتاب لطیفاً عجیباً وھو انی عادیت
ابلیس اذ لم یسجد لابیکم آدم مع ملائکتی فکانت معاداتہ لاجلکم ثم کان عاقبۃ ھٰذہ المعاداۃ
ان عقدتم بینکم وبینہ عقد المصالحۃ ؛

فصل

ومن عقوباتھا انھا تمحق برکۃ العمر وبرکۃ الرزق وبرکۃ العلم وبرکۃ العمل وبرکۃ الطاعۃ وبالجملۃ انھا تمحق برکۃ الدین
والدنیا فلا تجد اقل برکۃ فی عمرہ ودینہ ودنیاہ ممن عصی اللہ وما محقت البرکۃ من الارض

الا بمعاصی الخلق قال اللہ تعالیٰ ولو ان اهل القریٰ آمنوا واتقوا لفتحنا علیهم برکات
من السماء والارض وقال تعالیٰ وان لو استقاموا علی الطریقة لاسقیناهم ماء غدقا
لنفتنهم فیه وان العبد لیحرم الرزق بالذنب یصیبه وفی الحدیث ان روح القدس نفث
فی روعی انه لن تموت نفس حتی تستکمل رزقها فاتقوا اللہ واجملوا فی الطلب فانه لا ینال
ما عند اللہ الا بطاعته وان اللہ جعل الروح والفرح فی الرضا والیقین وجعل الهم
والحزن فی الشک والسخط وقد تقدم الاثر الذی ذکره احمد فی کتاب الزهد انا اللہ اذا
رضیت بارکت ولیس لبرکتی منتهی واذا غضبت لعنت ولعنتی تدرک السابع
من الولد ولیست سعة الرزق والعمل بکثرته ولا طول العمر بکثرة الشهور والاعوام ولکن
سعة الرزق والعمر بالبرکة فیه وقد تقدم ان عمر العبد هو مدة حیاته ولا حیوة لمن اعرض عن
اللہ واشتغل بغیره بل حیوة البهائم خیر من حیاته فان حیوة الانسان بحیوة قلبه وروحه
ولا حیوة لقلبه الا بمعرفة فاطره ومحبته وعبادته وحده والانابة الیه والطمانینة بذکره والانس
بقربه ومن فقد هذه الحیوة فقد الخیر کله ولو تعوض عنها بما تعوض فی الدنیا بل لیست الدنیا باجمعها عوضا عن هذه الحیوة
فمن کل شئ یفوت العبد عوض واذا فاته اللہ لم یعوض عنه شئ البتة وکیف یعوض الفقیر بالذات عن الغنی بالذات
والعاجز بالذات عن القادر بالذات والمیت عن الحی الذی لا یموت والمخلوق عن الخالق
ومن لا وجود له فلا شئ له من ذاته البتة عمن غناه وحیاته وکماله ووجوده ورحمته من لوازم
ذاته وکیف یعوض من لا یملک مثقال ذرة عمن له ملک السموات والارض وانما کانت
معصیة اللہ سببا لمحق برکة الرزق والاجل لان الشیطان موکل بها واصحابها فسلطانه
علیهم وحوالته علی هذا الدیوان واهله واصحابه وکل شئ یتصل به الشیطان ویقارنه
فبرکته ممحوقة ولهذا شرع ذکر اسم اللہ تعالیٰ عند الاکل والشرب واللبس والرکوب والجماع
لما فی مقارنة اسم اللہ من البرکة وذکر اسمه یطرد الشیطان فتحصل البرکة ولا معارض لها
وکل شئ لا یکون للہ فبرکته منزوعة فان الرب هو الذی یبارک وحده والبرکة کلها
منه وکلما نسب الیه مبارک فکلامه مبارک ورسوله مبارک وعبده المؤمن النافع لخلقه مبارک وبیته
الحرام مبارک وکنانته من ارضه وهی الشام ارض البرکة وصفها بالبرکة فی ست آیات

الفرح

انتهی

۶۴

تکلیف

التحمر

صولته یقاربه

من كتابه فلا يتبارك الا هو وحده ولا مبارك الا ما نسب اليه اعني الى محبته والوهيته ورضاه والا فالكون كله منسوب الى ربوبيته وخلقه وكلما باعده من نفسه من الاعيان والاقوال والاعمال فلا بركة فيه ولا خير فيه وكلما كان منه قريبا من ذلك ففيه من البركة على قدر قربه منه وضد البركة اللعنة فارض لعنها الله او شخص لعنه الله او عمل لعنه الله ابعد شيء من الخير والبركة وكل ما اتصل بذلك وارتبط به وكان منه بسبيل فلا بركة فيه البتة وقد لعن عدوه ابليس وجعله ابعد خلقه منه فكل ما كان من جهته فله من لعنة الله بقدر قربه منه واتصاله به ومن ههنا كان للمعاصي اعظم تاثير في محق بركة العمر والرزق والعلم والعمل فكل وقت عصيت الله فيه او مال عصي الله به او بدن او جاه او علم او عمل فهو على صاحبه ليس له فليس له من عمره وماله وقوته وجاهه وعلمه وعمله الا ما اطاع الله به ولهذا من الناس من يعيش في هذه الدار مائة سنة او نحوها ويكون عمره لا يبلغ عشرين سنة او نحوها كما ان منهم من يملك القناطير المقنطرة من الذهب والفضة ويكون ماله في الحقيقة لا يبلغ الف درهم او نحوها وهكذا الجاه والعلم وفي الترمذي عنه صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله عز وجل وما والاه او عالم ومتعلم وفي اثر آخر الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان لله هذا هو الذي فيه البركة خاصة والله المستعان

فصل

ومن عقوباتها انها تجعل صاحبها من السفلة بعد ان كان مهيئا لان يكون من العلية فان الله خلق خلقه قسمين علية وسفلة وجعل عليين مستقر العلية واسفل سافلين مستقر السفلة وجعل اهل طاعته الاعلين في الدنيا والآخرة واهل معصيته الاسفلين في الدنيا والآخرة كما جعل اهل طاعته اكرم خلقه عليه واهل معصيته اهون خلقه عليه وجعل العزة لهؤلاء والذلة والصغار لهؤلاء كما في مسند احمد من حديث عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال جعلت الذلة والصغار على من خالف امري وكلما عمل العبد معصية نزل الى اسفل درجة ولا يزال في نزول حتى يكون من الاسفلين وكلما عمل طاعة ارتفع بها درجة ولا يزال في ارتفاع

حتى يكون من الاعليين وقد يجتمع للعبد في ايام حياته الصعود من وجه والنزول
من وجه وايهما كان اغلب عليه كان من اهله فليس من صعد مائة درجة ونزل درجة
واحدة كمن كان بالعكس ولكن يعرض ههنا للنفوس غلط عظيم وهو ان العبد قد ينزل نزولا
بعيداً ابعد مما بين المشرق والمغرب ومما بين السماء والارض فلا يفي صعوده الف درجة
بهذا النزول الواحد كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان العبد
ليتكلم بالكلمة الواحدة ولا يلقي لها بالا يهوي بها في النار ابعد مما بين المشرق والمغرب
فاي صعود يوازن هذه النزلة والنزول امر لازم للانسان ولكن من الناس
من يكون نزوله الى غفلة فهذا متى استيقظ من غفلته عاد الى درجته او الى ارفع
منها بحسب يقظته ومنهم من يكون نزوله الى مباح لا ينوي به الاستعانة على
الطاعة فهذا اذا رجع الى الطاعة قد يعود الى درجته وقد لا يصل اليها وقد يرتفع عنها
فانه قد يعود اعلى همة مما كان وقد يكون اضعف همة وقد تعود همته كما كانت ومنهم
من يكون نزوله الى معصية اما صغيرة او كبيرة فهذا يحتاج في عوده الى درجته الى توبة
نصوح وانابة صادقة واختلف الناس هل يعود بعد التوبة الى درجته التي كان فيها
بناء على ان التوبة تمحو اثر الذنب وتجعل وجوده كعدمه فكانه لم يكن او لا يعود بناء على
ان التوبة تاثيرها في اسقاط العقوبة واما الدرجة التي فاتته فانه لا يصل اليها قالوا وتقرير
ذلك انه كان مستعدا باشتغاله بالطاعة في الزمن الذي عصى فيه لصعود آخر
وارتفاع بجملة اعماله السابقة بمنزلة كسب الرجل كل يوم بجملة ماله الذي يملكه وكلما
تضاعف المال تضاعف الربح فقد راح عليه في زمن المعصية ارتفاع وربح
بجملة اعماله فاذا استانف العمل استانف صعودا من نزول وكان قبل ذلك
صاعداً من اسفل الى اعلى وبينهما بون عظيم قالوا ومثل ذلك رجلان مرتقيان
في سلمين لا نهاية لهما وهما سواء فنزل احدهما الى اسفل ولو درجة واحدة ثم استانف
الصعود فان الذي لم ينزل يعلو عليه ولا بد وحكم شيخ الاسلام ابن تيمية بين الطائفتين حكما
مقبولا فقال التحقيق ان من التائبين من يعود الى ارفع من درجته ومنهم من يعود الى

صعوده — يوازي — شيء فقد — تمحو — على — فراغ

شل درجته ومنهم من لا يصل الى درجته ومنهم من يعود الى درجته قلت وهذا بحسب قدر
التوبة وكمالها وما احدثت المعصية للعبد من الذل والخضوع والانابة والحذر والخوف
من الله والبكاء من خشية الله وقد تقوى هذه الامور حتى يعود التائب الى ارفع من درجته
ويصير بعد التوبة خيرا منه قبل الخطيئة فهذا قد تكون الخطيئة في حقه رحمة فانها نفت عنه
داء العجب وخلصته من ثقته بنفسه واعماله ووضعت خد ضراعته وذله وانكساره على عتبة
باب سيده ومولاه وعرفته قدره واشهدته فقره وضرورته الى حفظ سيده له ومولاه والى
عفوه عنه ومغفرته له واخرجت من قلبه صولة الطاعة وكسرت انفه من ان يشمخ بها ويتكبر
بها او يرى نفسه بها خيرا من غيره واوقفته بين يدي ربه موقف الخطائين المذنبين ناكس
الرأس بين يدي ربه مستحيا خائفا منه وجلا محتقر الطاعة مستعظما المعصية عرف نفسه
بالنقص والذم وربه متفرد بالكمال والحمد والوفي كما قيل ؎ استأثر الله بالوفي وبالحمد ؛
وولي الملامة الرجلا ؛

فصل

فاي نعمة وصلت من الله اليه استكثرها على نفسه ورأى نفسه دونها لم يرها الا لها
واي نقمة او بلية وصلت اليه رأى نفسه اهلا لما هو اكبر منها ورأى مولاه قد احسن اليه
اذا لم يعاقبه على قدر جرمه ولا شطره ولا ادنى جزء منه فان ما يستحقه من العقوبة لا تحمله
الجبال الراسيات فضلا عن هذا العبد الضعيف العاجز فان الذنب وان صغر فان
مقابله العظيم الذي لا شئ اعظم منه الكبير الذي لا شئ اكبر منه الجليل الذي لا اجل منه
ولا اجمل المنعم بجميع انواع النعم دقيقها وجليلها من اقبح الامور وافظعها واشنعها فان
مقابلة العظماء والاجلاء وسادات الناس بمثل ذلك يستقبحه كل احد مؤمن وكافر
وارذل الناس واسقطهم مروة من قابلهم بالرذائل فكيف بعظيم السموات والارض وملك
السموات والارض واله اهل السموات والارض ولولا ان رحمته سبقت غضبه ومغفرته
سبقت عقوبته والا لتزلزلت الارض بمن قابله بما لا يليق مقابلته به ولولا حلمه ومغفرته
لزالت السموات والارض من معاصي العباد قال تعالى ان الله يمسك السموات والارض

قوة
احدثته
خشية
ما
اصناف
غلبت
لتدكدكت

ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليماً غفوراً فتأمل ختم هٰذه الآية
باسمين من سمائه وهما الحليم والغفور كيف تجد تحت ذٰلك انه لولا حلمه عن الجناة ومغفرته
للعصاة لما استقرت السمٰوات والارض وقد اخبر سبحانه عن كفر بعض عباده انه تكاد السمٰوات
يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا وقد اخرج الله سبحانه الابوين من الجنة
بذنب واحد ارتكباه وخالفا فيه نهيه ولعن ابليس وطرده واخرجه من ملكوت السمٰوات بذنب
واحد ارتكبه وخالف فيه امره ونحن معاشر الحمقا كما قيل ؎ نصل الذنوب الى الذنوب ونرتجي
درك الجنان لذى النعيم الخالد ولقد علمنا اخرج الابوين من ملكوتها الاعلى بذنب واحد والمقصود
ان العبد قد يكون بعد التوبة خيرا مما كان قبل الخطيئة وارفع درجة وقد تضعف الخطيئة همته
وتوهن عزمه وتمرض قلبه فلا يقوى ذو التوبة على اعادته الى الصحة الاولى فلا يعود الى درجته
وقد يزول المرض بحيث تعود الصحة كما كانت ويعود الى مثل عمله فيعود الى درجته هٰذا كله
اذا كان نزوله الى معصية فان كان نزوله الى امر يقدح في اصل ايمانه مثل الشكوك
والريب والنفاق فذاك نزول لا يرجى لصاحبه صعود الا بتجديد اسلامه من رأسه

بعض كفر

السمٰوات

نصل ترتجى
درج

صحته

فصل

ومن عقوباتها انها تجترئ على العبد ما لم تكن تجترئ عليه من اصناف المخلوقات فتجترئ عليه
الشياطين بالاذى والاغواء والوسوسة والتخويف والتحزين وانسائه ما مصلحته في ذكره ومضرته في نسيانه فتجترئ
عليه الشياطين حتى تؤزه الى معصية الله ازاً وتجترئ عليه شياطين الانس بما تقدر عليه
من الاذى في غيبته وحضوره وتجترئ عليه اهله وخدمه واولاده وجيرانه حتى الحيوان البهيم
قال بعض السلف اني لاعصي الله فاعرف ذٰلك في خلق امرأتي ودابتي وكذٰلك
تجترئ عليه اولياء الامر بالعقوبة التي ان عدلوا فيها اقاموا عليه الحدود وتجترئ عليه نفسه
فتأسد عليه وتصعب عليه فلو اراد بالخير لم تطاوعه ولم تنقد له وتسوقه الى ما فيه هلاكه شاء ام ابى
وذٰلك لان الطاعة حصن الرب تبارك وتعالى الذي من دخله كان من الآمنين فاذا
فارق الحصن اجترئ عليه قطاع الطريق وغيرهم وعلى حسب اجترائه على معاصي الله
يكون اجتراء هٰذه الآفات والنفوس عليه وليس شيء يرد عنه فان ذكر الله وطاعته والصدقة

اذاه

حدود الله

وارشاد الجاهل والامر بالمعروف والنہی عن المنکر وقایۃ تردع عن العبد بمنزلۃ القوۃ التی ترد المرض وتقاومہ فاذا سقطت القوۃ غلب وارد المرض وکان الھلاک ولابد للعبد من شیٔ یردعنہ فان موجب السیئات والحسنات یتدافع ویکون الحکم للغالب کما تقدم وکلما قوی جانب الحسنات کان الرد اقوی کما تقدم فان اللہ یدافع عن الذین آمنوا والایمان قول وعمل فبحسب قوۃ الایمان ان تکون قوۃ الدفع واللہ المستعان۔

فصل

ومن عقوباتھا انھا تخون العبد احوج مایکون الی نفسہ فان کل احد محتاج الی معرفۃ ماینفعہ ومایضرہ فی معاشہ ومعادہ واعلم الناس اعرفھم بذلک علی التفصیل واقوامھم واکیسھم من قوی علی نفسہ وارادتہ فاستعملھا فیما ینفعہ وکفھا عما یضرہ وفی ذلک تفاوت معارف الناس وھممہم ومنازلھم فاعرفھم من کان عارفا باسباب السعادۃ والشقاوۃ وارشدھم من اثر ھذہ علی ھذہ کما ان اسفھم من عکس الامر والمعاصی تخون العبد احوج ماکان الی نفسہ فی تحصیل ھذا العلم وایثار الحظ الاشرف العالی الدائم علی الحظ الخسیس الادنی المنقطع فتحجبہ الذنوب عن کمال ھذا العلم وعن الاشتغال بما ھو اولی بہ وانفع لہ فی الدارین فاذا وقع فی مکروہ واحتاج الی التخلص منہ خانہ قلبہ ونفسہ وجوارحہ وکان بمنزلۃ رجل معہ سیف قد غشیہ الحرب ولزم قرابہ بحیث لاینجذب مع صاحبہ اذا جذبہ فعرض لہ عدو یرید قتلہ فوضع یدہ علی قائم سیفہ واجتھد لیخرجہ فلم یخرج معہ فدھمہ العدو وظفر بہ کذلک القلب یصدی بالذنوب ویصیر مثخنا بالمرض فاذا احتاج الی محاربۃ العدو لم یجد معہ منہ شیئا والعبد انما یحارب ویصاول ویقدم بقلبہ والجوارح تبع للقلب فاذا لم یکن عند ملکھا قوۃ یدفع بھا فما الظن بھا وکذلک النفس فانھا تخبث بالشھوات والمعاصی وتضعف اعنی النفس المطمئنۃ وان کانت الامارۃ تقوی وتتاسد وکلما قویت ھذہ ضعفت ھذہ فبقی الحکم والتصرف للامارۃ وربما ماتت نفسہ المطمئنۃ موتا لایرجی معہ حیوۃ فھذا میت فی الدنیا میت فی البرزخ غیر حی فی الآخرۃ حیوۃ ینتفع بھا بل حیاتہ حیوۃ یدرک بھا الالم فقط والمقصود ان العبد اذا وقع فی شدۃ او کربۃ او بلیۃ خانہ قلبہ ولسانہ وجوارحہ عما ھو انفع شیٔ لہ فلا ینجذب قلبہ

فکان فلا

تلک

للتوكل على الله تعالى والانابة اليه والجمعية عليه والتضرع والتذلل والانكسار بين يديه ولم يطاوعه لسانه لذكره
وان ذكره بلسانه لم يجمع بين قلبه ولسانه فلا يحبس القلب على اللسان بحيث يؤثر فيه الذكر ولا يحبس
اللسان والقلب على المذكور بل ان ذكر او دعا ذكر بقلب غافل لاه ساه ولو اراد من جوارحه ان
تعينه بطاعة تدفع عنه لم تنقد له ولم تطاوعه وهذا كله اثر الذنوب والمعاصي كمن له جند
يدفع عنه الاعداء فاهمل جنده وضيعهم واضعفهم وقطع اخبارهم ثم اراد منهم عند هجوم العدو
عليه ان يستفرغوا وسعهم في الدفع عنه بغير قوة هذا وثم امر اخوف من ذلك وادهى
وامر وهو ان يخونه قلبه ولسانه عند الاحتضار والانتقال الى الله تعالى فربما تعذر عليه
النطق بالشهادة كما شاهد الناس كثيرا من المحتضرين اصابهم ذلك حتى قيل لبعضهم قل
لا اله الا الله فقال آه آه لا استطيع ان اقولها وقيل لآخر قل لا اله الا الله فقال شاه رخ
غلبتك ثم قضى وقيل لآخر قل لا اله الا الله فقال ؎ يا رب قائلة يوما وقد تعبت ؞
اين الطريق الى حمام منجاب ؞ ثم قضى وقيل لآخر ذلك قل لا اله الا الله فجعل يهذي بالغناء ويقول تاتنا
تنتنا فقال وما ينفعني ما تقول ولم ادع معصية الا ركبتها ثم قضى ولم يقلها وقيل لآخر ذلك فقال وما
يغني عني وما اعلم اني صليت لله تعالى صلوة ثم قضى ولم يقلها وقيل لآخر ذلك فقال هو كافر بما تقول وقضى وقيل
لآخر ذلك فقال كلما اردت ان اقولها فلساني يمسك عنها واخبرني من حضر بعض
الشحاذين عند موته فجعل يقول لله فلس لله فلس حتى قضى واخبرني بعض التجار
عن قرابة له انه احتضر وهو عنده فجعلوا يلقنونه لا اله الا الله وهو يقول هذه القطعة رخيصة
هذا مشترى جيد هذه كذا حتى قضى وسبحان الله كم شاهد الناس من هذا عبرا والذي يخفى
عليهم من احوال المحتضرين اعظم واعظم واذا كان العبد في حال حضور ذهنه وقوته
وكمال ادراكه قد تمكن منه الشيطان واستعمله بما يريده من المعاصي وقد اغفل قلبه
عن ذكر الله تعالى وعطل لسانه من ذكره وجوارحه عن طاعته فكيف الظن به عند
سقوط قواه واشتغال قلبه ونفسه بما هو فيه من الم النزع وجمع الشيطان له كل
قوته وهمته وحشد عليه بجميع ما يقدر عليه لينال منه فرصته فان ذلك آخر العمل فاقوى ما يكون
عليه شيطانه ذلك الوقت واضعف ما يكون هو في تلك الحالة فمن ترى يسلم على ذلك

يدفعون
انه
غلبتك
كيف
اعرف
بما يسامي الله
عن

فهناک یثبت اللہ الذین آمنوا بالقول الثابت فی الحیوٰة الدنیا وفی الآخرة ویضل اللہ الظالمین ویفعل اللہ ما یشاء فکیف یوفق لحسن الخاتمة من اغفل اللہ سبحانہ قلبہ عن ذکرہ واتبع ہواہ وکان امرہ فرطاً فبعید من قلب بعید من اللہ تعالیٰ غافل عنہ متعبد لھواہ مصیر لشہواتہ ولسانہ یابس من ذکرہ وجوارحہ معطلة من طاعتہ مشتغلة بمعصیتہ اللہ ان یوفق لحسن الخاتمة ولقد قطع خوف الخاتمة ظہور المتقین وکان المسیئین الظالمین قد اخذوا توقیعاً بالایمان ام لکم ایمان علینا بالغة الی یوم القیٰمة ان لکم لما تحکمون سلھم ایھم بذلک زعیم ۵ یا امنا من قبیح الفعل لصنعہ ✦ ہل اتاک توقیع ام انت تملکہ ✦ جمعت شیئین امنا واتباع ہوی ✦ ہذا احدھما فی المرأ تھلکہ ✦ والمحسنون علی درب المخاوف قد ✦ ساروا وذلک درب لست تسلکہ ✦ فرطت فی الزرع وقت البذر من سفہ ✦ فکیف عند حصاد الناس تدرکہ ✦ ہذا واعجب شیٔ منک زہدک فی ✦ دار البقاء بعیش سوف تترکہ ✦ من السفیہ اذاً باللہ انت ام الـ ✦ مغبون فی البیع غبناً سوف تدرکہ ✦

اشیر عن

الخاتمة بالحسنی فقط

فیک

۱۷

فصل

ومن عقوباتہا انہا تعمی القلب فان لم تعمہ اضعفت بصیرتہ ولابد وقد تقدم بیان انہا تضعفہ ولابد فاذا اعمی القلب وضعف فانہ من معرفة الھدیٰ وقوتہ علی تنفیذہ فی نفسہ وفی غیرہ بحیث تضعف بصیرتہ وقوتہ فان کمال الانسان مدارہ فی اصلین معرفة الحق من الباطل وایثارہ علیہ وما تفاوتت منازل الخلق عند اللہ تعالیٰ فی الدنیا والآخرة الا بقدر تفاوت منازلھم فی ہذین الامرین وہما اللذان اثنی اللہ بہما سبحانہ علی انبیائہ علیہم الصلوٰة والسلام فی قولہ تعالیٰ واذکر عبادنا ابراہیم واسحٰق ویعقوب اولی الایدی والابصار فالایدی القوة فی تنفیذ الحق والابصار البصائر فی الدین فوصفھم بکمال ادراک الحق وکمال تنفیذہ وانقسم الناس فی ہذا المقام اربعة اقسام فھؤلاء اشرف الاقسام من الخلق واکرمھم علی اللہ تعالیٰ القسم الثانی عکس ہؤلاء من لا بصیرة لہ فی الدین ولا قوة علی تنفیذ الحق وہم اکثر ہذا الخلق الذین رؤیتہم قذی للعیون وحمی الارواح وسقم القلوب یضیقون الدیار ویغلون الاسعار ولا یستفاد من صحبتہم الا العار

بالحق

والشنار القسم الثالث من له بصيرة في الهدى ومعرفة به لكنه ضعيف لا قوة على تنفيذه
ولا الدعوة اليه وهذا حال المؤمن الضعيف والمؤمن القوي خير واحب الى الله منه
القسم الرابع من له قوة وهمة وعزيمة لكنه ضعيف البصيرة في الدين لا يكاد يميز بين اولياء
الرحمن من اولياء الشيطان بل يحسب كل سوداء تمرة وكل بيضاء شحمة يحسب الورم
شحما والدواء النافع سما وليس في هؤلاء من يصلح للامامة في الدين ولا هو موضعا لها
سوى القسم الاول قال الله تعالى وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا
يوقنون فاخبر سبحانه ان بالصبر واليقين نالوا الامامة في الدين هؤلاء هم الذين استثناهم
الله سبحانه من جملة الخاسرين واقسم بالعصر الذي هو زمن سعي الخاسرين والرابحين
على ان من عداهم فهو من الخاسرين فقال تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر الا
الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر فلم يكتف منهم بمعرفة
الحق والصبر عليه حتى يوصي بعضهم بعضا ويرشده اليه ويحثه عليه فاذا كان من عدا
هؤلاء فهو من الخاسرين فمعلوم ان المعاصي والذنوب تعمي بصيرة القلب فلا يدرك
الحق كما ينبغي وتضعف قوته وعزيمته فلا يصبر عليه بل قد تتوارد على القلب حتى
ينعكس ادراكه كما ينعكس سيره فيدرك الباطل حقا والحق باطلا والمعروف منكرا
والمنكر معروفا فينتكس في سيره ويرجع عن سفره الى الله والدار الآخرة
الى سفره الى مستقر النفوس المبطلة التي رضيت بالحيوة الدنيا
واطمأنت بها وغفلت عن الله وآياته وتركت الاستعداد للقائه ولو لم يكن في
عقوبة الذنوب الا هذه وحدها لكانت كافية داعية الى تركها والبعد منها والله المستعان
وهذا كما ان الطاعة تنور القلب وتجلوه وتصقله وتقويه وتثبته حتى يصير كالمرآة المجلوة
في جلائها وصفائها فيمتلئ نورا فاذا دنى الشيطان منه اصابه من نوره ما يصيب مسترق
السمع من الشهب الثواقب فالشيطان يفرق من هذا القلب اشد من فرق
الذئب من الاسد حتى ان صاحبه ليصرع الشيطان فيخر صريعا فيجتمع عليه
الشياطين فيقول بعضهم لبعض ما شأنه فيقال اصابه انسي وبه نظرة من الانس

فيرجع

بها | ۵ فيا نظرة من قلب حرّ منور * يكاد لها الشيطان بالنور يحرق * أفيستوي هذا القلب
وقلب مظلم ارجاؤه مختلفة اهواؤه قد اتخذه الشيطان وطنه واعده مسكنه اذا تصبح بطلعته
حيوة وقال فذيت من لا يفلح في دنياه ولا في اخراه ۵ انا قرينك في الدنيا وفي الحشر بعدها
وانت | فانت قريني لي بكل مكان * فان كنت في دار الشقاء فانني * وانت جميعا في شقاء وهوان
قال الله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم
عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون حتى اذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين
واخبر | فبئس القرين ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون فاخبر سبحانه ان من عشى
انزله | عن ذكره وهو كتابه الذي انزل على رسوله صلى الله عليه وسلم وبارك فيه فاعرض عنه
وعمى عنه وعشت بصيرته عن فهمه وتدبره ومعرفة مراد الله منه قيض الله له شيطانا عقوبته
باعراضه | له في اعراضه عن كتابه فهو قرينه الذي لا يفارقه لا في الاقامة ولا في المسير ومولاه وعشيره الذي
هو بئس المولى وبئس العشير ۵ رضيعي لبان ثدي ام تقاسما * باسحم داج عوض لا يتفرق *
۷۸ | ثم اخبر سبحانه ان الشيطان ليصد قرينه ووليه عن سبيله الموصل اليه والى جنته ويحسب
قال | هذا الضال المضل المصدود انه على طريق هدى حتى اذا جاء القرينان يوم القيمة يقول
احدهما للآخر يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين كنت لي في الدنيا اضللتني
عن الهدى بعد اذ جاءني وصددتني عن الحق واغويتني حتى هلكت وبئس القرين انت
تخفيف | لي اليوم ولما كان المصاب اذا شاركه غيره في مصيبة حصل بالتأسي نوع تخفيف
وتسلية اخبر الله سبحانه ان هذا غير موجود وغير حاصل في حق المشتركين في العذاب
وان القرين لا يجد راحة ولا ادنى فرح بعذاب قرينه معه وان كانت المصائب
في الدنيا اذا عمت صارت مسلاة كما قالت الخنساء في اخيها صخر ۵ ولولا كثرة
الباكين حولي * على اخوانهم لقتلت نفسي * وما يبكون مثل اخي ولكن * اعزي النفس
عنه بالتأسي * الا يا صخر لا انساك حتى * افارق عيشتي وورود رمسي * فمنع الله
عن | سبحانه هذا القدر من الراحة على اهل النار فقال ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في
العذاب مشتركون *

فصل

ومن عقوباتها انها مدد من الانسان يمد به عدوه عليه وجيش يقويه به على حربه وذلك ان
الله سبحانه ابتلى هذا الانسان بعدو لايفارقه طرفة عين صاحبا ينام ولاينام عنه ويغفل ولايغفل
عنه يراه هو وقبيله من حيث لايراه يبذل جهده في معاداته بكل حال ولايدع امرا يكيده به
يقدر على ايصاله اليه الا اوصله ويستعين عليه ببني جنسه من شياطين الانس وغيرهم من
شياطين الجن وقد نصب له الحبائل وبغى له الغوائل ومد حوله الاشراك ونصب له
الفخاخ والشباك وقال لاعوانه دونكم عدوكم وعدو ابيكم لايفوتكم ولايكون حظه الجنة وحظكم
النار ونصيبه الرحمة ونصيبكم اللعنة وقد علمتم انما جرى علي وعليكم من الخزي واللعن والابعاد
من رحمة الله بسببه ومن اجله فابذلوا جهدكم ان يكونوا شركاءنا في هذه البلية اذ قد فاتنا شركة
صالحيهم في الجنة ولما علم سبحانه ان آدم وبنيه قد بلوا بهذا العدو وسلطوا عليهم امدهم بعساكر وجند
يلقون بها وامد عدوهم ايضا بجند وعساكر يلقاهم به واقام سوق الجهاد في هذه الدار في مدة العمر
التي هي بالاضافة الى الآخرة كنفس واحد من انفاسها واشترى من المومنين انفسهم
واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون واخبر ان ذلك وعد
مؤكد عليه في اشرف كتبه وهي التورية والانجيل والقرآن ثم اخبر انه لا اوفى بعهده منه سبحانه
ثم امرهم ان يستبشروا بهذه الصفقة التي من اراد ان يعرف قدرها فلينظر الى المشترى
من هو والى الثمن المبذول في هذه السلعة والى من جرى على يديه هذا العقد فاي فوز اعظم
من هذا واي تجارة اربح منه ثم اكد سبحانه معهم هذا الامر بقوله يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم
على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تومنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم
وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار
ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب
وبشر المومنين ولم يسلط سبحانه هذا العدو على عبده المومن الذي هو احب المخلوقات اليه الا
لان الجهاد احب شيء اليه واهله ارفع الخلق عنده درجات واقربهم اليه وسيلة فعقد سبحانه
لواء هذا الحرب لخلاصة مخلوقاته وهو القلب الذي محل معرفته ومحبته وعبوديته والاخلاص له

استعان ابنیه بغاة

الی ما

فبسببه

۷۳

بیده

والتوكل عليه والانابة اليه فولاه امر هذا الحرب وايده بجند من الملائكة لايفارقونه له معقبات
من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله يعقب بعضهم بعضاً كلما جاء جند وذهب
جاء بدل آخر يثبتونه ويأمرونه بالخير ويحضونه عليه ويعدونه بكرامة الله ويصبرونه ويقولون
انما هو صبر ساعة وقد استرحت راحة الابد ثم ايده سبحانه بجند آخر من وحيه وكلامه فارسل اليه
رسوله صلى الله عليه وسلم وانزل اليه كتابه فازداد قوة الى قوته ومدداً الى مدده وعدة
الى عدته وامده مع ذلك بالعقل وزيراً له ومدبراً وبالمعرفة مشيرة عليه ناصحة له وبالايمان
مثبتاً له ومؤيداً وناصراً وباليقين كاشفاً له عن حقيقة الامر حتى كانه يعاين ما وعد الله تعالى
اوليائه وحزبه على جهاد اعدائه فالعقل يدبر امر جيشه والمعرفة تصنع له امور الحرب واسبابها
ومواضعها اللائقة بها والايمان يثبته ويقويه ويصبره واليقين يقدم به ويحمل به الحملات
الصادقة ثم امده سبحانه القائم بهذا الحرب بالقوى الظاهرة والباطنة فجعل العين طليعته
والاذن صاحب خبره واللسان ترجمانه واليدين والرجلين اعوانه واقام ملائكته وحملة
عرشه يستغفرون له ويسئلون له ان يقيه السيئات ويدخله الجنات وتولى سبحانه
الدفع والدفاع عنه بنفسه فقال هؤلاء حزب الله وحزب الله هم المفلحون وهؤلاء جنده
وان جندنا لهم الغالبون وعلم عباده كيفية هذا الحرب والجهاد فجمعها لهم في اربع كلمات
فقال يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ولا يتم امر
هذا الجهاد الا بهذه الامور الاربعة فلا يتم الصبر الا بمصابرة العدو وهو مقاومته ومنازلته فاذا
صابر عدوه احتاج الى امر آخر وهي المرابطة وهي لزوم ثغر القلب وحراسته لئلا يدخل منه
العدو ولزوم ثغر العين والاذن واللسان والبطن واليد والرجل فهذه الثغور يدخل
منه العدو فيجوس خلال الديار ويفسد ما قدر عليه فالمرابطة لزوم هذه الثغور ولا يخلي
مكانها فيصادف العدو والثغر خالياً فيدخل منها فهؤلاء اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم خير الخلق بعد النبيين والمرسلين صلى الله عليهم وسلم اجمعين واعظم حماية
وحراسة من الشيطان الرجيم وقد اخلوا المكان الذي امروا بلزومه يوم احد فدخل منه العدو
فكان ما كان واجماع هذه الثلثة وعمودها الذي تقوم به هو تقوى الله فلا ينفع الصبر

نسخہ: ذهب بدل

انجده

تضع

نسخہ: حزبي جندي

ولا المصابرة ولا المرابطة الا بالتقوى ولا التقويم التقوى الا على ساق الصبر فانظر الآن
فيك الى التقاء الجيشين واصطدام العسكرين وكيف تداول مرة ويدال عليك اخرى
اقبل ملك الكفرة بجنوده وعساكره فوجد القلب فى حصنه جالسًا على كرسى مملكته امره
نافذ فى اعوانه وجنده قد حصنوا به يقاتلون عنه ويدافعون عن حوزته فلم يمكنهم الهجوم
عليه الا بمخامرة بعض امرائه وجنده عليه فيسأل عن اخص الجند به واقربهم منه منزلة
فقيل له هى النفس فقال لاعوانه ادخلوا عليها من مرادها وانظروا مواقع محبتها وما
محبوبها فعدوها به ومنوها اياه وانقشوا صورة المحبوب فيها فى يقظتها ومنامها فاذا اطمأنت
اليه وسكنت عنده فاطرحوا عليها كلاليب الشهوة وخطاطيفها ثم جروها بها اليكم فاذا
خامرت على القلب وصارت معكم عليه ملكتم ثغر العين والاذن واللسان والفم واليد
والرجل فرابطوا على هذه الثغور كل المرابطة فمتى دخلتم منها الى القلب فهو قتيل او اسير
او جريح مثخن بالجراحات ولا تخلوا هذه الثغور ولا تمكنوا سرية تدخل منها الى القلب
فتخرجكم منها وان غلبتم فاجتهدوا فى اضعاف السرية ووهنها حتى لا تصل الى القلب
فان وصلت اليه وصلت ضعيفة لا تغنى عنه شيئا فاذا استوليتم على هذه الثغور
فامنعوا ثغر العين ان يكون نظره اعتبارا بل اجعلوا النظر تفرجا واستحسانا وتلهيا فان
استرق نظرة عبرة فافسدوها عليه بنظر الغفلة والاستحسان والشهوة فانه اقرب اليه
واعلق بنفسه واخف عليه ودونكم ثغر العين فان منه تنالون بغيتكم فانى ما افسدت
بنى آدم بشئ مثل النظر فانى ابذر به فى القلب بذر الشهوة ثم اسقيه بماء الامنية ثم لا ازال
اعده وامنيه حتى اقوى عزيمته واقوده بزمام الشهوة الى الانخلاع من العصمة فلا تهملوا
امر هذا الثغر وافسدوه بحسب استطاعتكم وهونوا عليه امره وقولوا له مقدار نظرة تدعو
الى تسبيح الخالق والرازق البديع والتأمل والتمعن صفته وحسن هذه الصورة التى
انما خلقت ليستدل بها الناظر عليه وما خلق الله لك العينين سدى وما خلق الله
هذه الصورة ليحجبها عن النظر وان ظفرتم به قليل العلم فاسد العقل فقولوا له هذه الصورة
مظهرة من مظاهر الحق ومجلى من مجاليه فادعوه الى القول بالاتحاد فان لم يقبل

نسخة: ويدال الكث
نسخة: حفوا
نسخة: فلا تعملوا
نسخة: الصورة

فالقول بالحلول العام والخاص ولا تقنعوا منه بدون ذلك فانه يصير به من اخوان النصارى فمروه حينئذ بالعفة والصيانة والعبادة والزهد فى الدنيا واصطادوا عليه الجهال فهذا من اقرب خلفائى واكبر جندى بل انا من جنده واعوانه ❖❖

فصل

ثم امنعوا ثغر الاذن ان يدخل عليه ما ينفعه عليكم الامر فاجتهدوا ان لا تدخلوا منه الا الباطل فانه خفيف على النفس تستحليه وتستلمه وتخير واله اعذب الالفاظ واسحرها للالباب امزجوه بما تهوى النفس مزجا والقوا الكلمة فان رايتم منه اصغاء اليها فزيدوه باخواتها فكلما صادفتم منه استحسان شىء فالهجوا له بذكره واياكم ان يدخل من هذا الثغر شىء من كلام الله او كلام رسوله صلى الله عليه وسلم او كلام النصحاء فان غلبتم على ذلك ودخل شىء من ذلك فحولوا بينه وبين فهمه وتدبره والتفكر فيه والعظة به اما بادخال ضده عليه واما بتهويل ذلك وتعظيمه وان هذا امر قد حيل بين النفوس وبينه فلا سبيل لها اليه وهو حمل ثقيل عليها لا تستقل به ونحو ذلك واما بارخاصه على النفوس وان الاشتغال ينبغى ان يكون بما هو اعلى عند الناس واعز عليهم واغرب عندهم وزبونه اكثر واما الحق فهو مهجور والقائل به معرض نفسه للعدوان ولا ينبغى والربح بين الناس اولى بالايثار ونحو ذلك فيدخلون الباطل عليه فى كل قالب يقبله ويخف عليه ويخرجون له الحق فى كل قالب يكرهه ويثقل عليه واذا شئت ان تعرف ذلك فانظر الى اخوانهم من شياطين الانس كيف يخرجون الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فى قالب كثرة الفضول وتتبع عثرات الناس والتعرض من البلاء ما لا يطيق والقاء الفتن بين الناس ونحو ذلك ويخرجون اتباع السنة ووصف الرب تعالى بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم فى قالب التشبيه والتجسيم والتكييف ويسمون علو الله على خلقه واستواءه على عرشه ومباينته لمخلوقاته تحيزا ويسمون نزوله الى سماء الدنيا وقوله من يسألنى فاعطيه تحركا وانتقالا ويسمون ما وصف به نفسه من اليد والوجه اعضاء وجوارح ويسمون ما يقوم به من افعاله حوادث وما يقوم به من صفاته اعراضا ثم يتوصلون الى نفى ما وصف به نفسه بهذه الامور ويوهمون الاغمار وضعفاء البصائر ان اثبات الصفات التى نطق بها

النفوس

يليق

كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم تستلزم هذه الامور ويخرجون هذا التعطيل في
قالب التنزيه والتعظيم واكثر الناس ضعفاء العقول يقبلون الشي بلفظ ويردونه بعينه
بلفظ آخر قال الله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم
الى بعض زخرف القول غرورا فسماه زخرفا وهو القول الباطل لان صاحبه يزخرفه
ويزينه ما استطاع ويلقيه الى سمع المغرور فيغتر به والمقصود ان الشيطان قد لزم ثغر
الاذن ان يدخل فيها ما يضر العبد ويمنع ان يدخل اليها ما ينفعه وان دخلها بغير اختياره افسده عليه

فصل

ثم يقول قوموا على ثغر اللسان فانه الثغر الاعظم وهو قبالة الملك فاجروا عليه من الكلام
بالضره ولا ينفعه وامنعوه ان يجري عليه شي مما ينفعه من ذكر الله واستغفاره وتلاوة كتابه
ونصيحة عباده او التكلم بالعلم النافع ويكون لكم في هذا الثغر امران عظيمان لا تبالون
بايهما ظفرتم احدهما التكلم بالباطل فانما المتكلم بالباطل اخ من اخوانكم ومن اكبر جندكم واعوانكم
الثاني السكوت عن الحق فان الساكت عن الحق اخ لكم اخرس كما ان الاول اخ
لكم ناطق وربما كان الاخ الثاني انفع اخوانكم لكم اما سمعتم قول الناصح المتكلم بالباطل شيطان
ناطق والساكت عن الحق شيطان اخرس فالرباط الرباط على هذا الثغر ان يتكلم
بحق او يمسك عن باطل وزينوا له التكلم بالباطل بكل طريق وخوفوه من التكلم بالحق
بكل طريق واعلموا يا بني ان ثغر اللسان هو الذي اهلك منه بنو آدم واكبهم منه على
مناخرهم في النار فكم لي من قتيل واسير وجريح اخذته من هذا الثغر واوصيكم بوصية
فاحفظوها لينطق احدكم على لسان اخيه من الانس بالكلمة ويكون الآخر على لسان السامع
فينطق باستحسانها وتعظيمها والتعجب منها ويطلب من اخيه اعادتها وكونوا اعوانا على
الانس بكل طريق وادخلوا عليهم من كل باب واقعدوا لهم كل مرصد اما سمعتم قسمي الذي
اقسمت به لربهم حيث قلت فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من
بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين اما تروني
قد قعدت لابن آدم بطرقه كلها فلا يفوتني من طريق الا قعدت له من طريق غيره حتى اصبت منه

ثغران

حاجتی او بعضها وقد حذرہم ذلک رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم وقال لہم ان الشیطان
قد قعد لابن آدم بطرقہ کلها فقعد لہ بطریق الاسلام فقال لہ اتسلم وتذر دینک ودین
آبائک فخالفہ واسلم فقعد لہ بطریق الهجرة فقال اتهاجر وتذر ارضک وسمائک فخالفہ
وہاجر ثم قعد لہ بطریق الجهاد فقال اتجاہد فتقتل ویقسم المال وتنکح الزوجة فخالفہ وجاہد
فهکذا فاقعدوا لهم بکل طریق الخیر فاذا اراد احدہم ان یتصدق فاقعدوا لہ علی طریق الصدقة فقولوا لہ فی
نفسہ اتخرج المال وتبقی مثل ہذا السائل وتصیر بمنزلتہ انت ہو سواء او ما سمعتم ما القیتہ علی لسان رجل سألہ آخر ان
یتصدق علیہ فقال ہی اموالنا اذا اعطیناکموہا صرنا مثلکم واقعدوا لہ بطریق الحج فقولوا لہ الطریقة مخوفة مشقة
یتعرض سالکها لتلف النفس والمال وہکذا فاقعدوا لہ علی سائر طرق الخیر بالتنفیر منها
وذکر صعوبتها وآفاتها ثم اقعدوا علی المعاصی فحسنوہا فی عین بنی آدم وزینوہا فی قلوبهم
واجعلوا اکبر اعوانکم علی ذلک النساء فمن ابوابهن فادخلوا علیهم فنعم العون ہن لکم ثم الزموا
ثغر الیدین والرجلین فامنعوہا ان تبطش بما یضرکم او تمشی فیہ واعلموا ان اکبر اعوانکم علی
لزوم ہذہ الثغور مصالحة النفس الامارة فاعینوہا واستعینوا بها وامدوہا واستمدوا منها
وکونوا معها علی حرب النفس المطمئنة فاجتهدوا فی کسرہا وابطال قواہا ولا سبیل الی
ذلک الا بقطع موادہا عنها فاذا انقطعت موادہا وقویت مواد النفس الامارة وطاعت
لکم اعوانها فاستنزلوا القلب من حصنہ واعزلوہ عن مملکتہ وولوا مکانہ النفس فانها
لا تأمر الا بما تهوونہ وتحبونہ ولا تجیئکم بما تکرہونہ البتة مع انها لا تخالفکم فی شیء تشیرون بہ
علیها بل اذا اشرتم علیها بشیء بادرت الی فعلہ فان احسستم من القلب منازعة الی
مملکتہ واردتم الامن من ذلک فاعقدوا بینہ وبین النفس عقد النکاح فزینوہا وجملوہا
وارووہا ایاہ فی احسن صورة عروس توجد وقولوا لہ ذق حلاوة طعم ہذا الوصال والتمتع بهذہ
العروس کما ذقت طعم الحرب وباشرت مرارة الطعن والضرب ثم وازن بین لذة
ہذہ المسالمة ومرارة تلک المحاربة فدع الحرب لتضع اوزارہا فلیست بیوم وینقضی
وانما ہو حرب متصل بالموت وقواک تضعف عن الحرب الدائم واستعینوا یا بنی بجندین
عظیمین لن تغلبوا معهما احدہما جند الغفلة فاغفلوا قلوب بنی آدم عن اللہ تعالیٰ

فقال

فقعد

فقعد یقسم

القیت

ان

٧٩

ثما

والدار الآخرة بكل طريق فليس لكم شئ ابلغ من تحصيل غرضكم من ذلک فان القلب اذا غفل عن اللہ تعالے تمکنتم منہ ومن اعوانہ والثانی جندہ الشہوۃ فزینوھا فی قلوبہم وحسنوھا فی اعینہم وصولوا علیہم بہذین العسکرین فلیس لکم فی بنی آدم ابلغ منہما واستعینوا علی الغفلۃ بالشہوات وعلی الشہوات بالغفلۃ واقرنوا بین الغافلین ثم استعینوا بہما علی الذاکر ولا یغلب واحد خمسۃ فان مع الغافلین شیطانین صار واالاربعۃ وشیطان الذاکر معہم واذا رأیتم جماعۃ مجتمعین علی ما یضرکم من ذکر اللہ ومذاکرۃ امرہ ونہیہ ودینہ ولم تقدروا علی تفریقہم فاستعینوا علیہم ببنی جنسہم من الانس البطالین فقربوہم منہ وشوشوا علیہم بہم وبالجملۃ فاعدوا الامور اقرانہا وادخلوا علی کل واحد من بنی آدم من باب ارادتہ وشہوتہ فساعدوہ علیہا وکونوا لہ اعوانا علی تحصیلہا واذا کان اللہ قد امرہم بالصبر ان یصبروا لکم ویصابروکم ویرابطوا علیکم الثغور فاصبروا انتم وصابروا ورابطوا علیہم بالثغور وانتہزوا فرصکم فیہم عند الشہوۃ والغضب فلا تصطادوا بنی آدم فی اعظم من ہذین الموطنین واعلموا ان منہم من یکون سلطان الشہوۃ علیہ اغلب وسلطان غضبہ ضعیف مقہور فخذوا علیہ طریق الشہوۃ ودعوا طریق الغضب ومنہم من یکون سلطان الغضب علیہ اغلب فلا تخلوا طریق الشہوۃ علیہ ولا تعطلوا ثغرہا فان من لم یملک نفسہ عند الغضب فانہ بالحری ان لا یملکہا عند الشہوۃ فزوجوہ بین غضبہ وشہوتہ وامزجوا احدہما بالآخر وادعوہ الی الشہوۃ من باب الغضب والی الغضب من طریق الشہوۃ واعلموا انہ لیس لکم فی بنی آدم سلاح ابلغ من ہذین السلاحین وانما اخرجت ابویہم من الجنۃ بالشہوۃ وانما القیت العداوۃ بین اولادہم بالغضب فبہ قطعت ارحامہم وسفکت دمائہم وبہ قتل احد ابنی آدم اخاہ واعلموا ان الغضب جمرۃ فی قلب ابن آدم والشہوۃ نار تثور من قلبہ وانما تطفیٔ النار بالماء والصلوۃ والذکر والتکبیر وایاکم ان تمکنوا ابن آدم عند غضبہ وشہوتہ من قربان الوضوء والصلوۃ فان ذلک یطفیٔ عنہم نار الغضب والشہوۃ وقد امرہم نبیہم بذلک وقال ان الغضب جمرۃ فی قلب ابن آدم اما رأیتم من احمرار عینیہ وانتفاخ اوداجہ فمن

ان

فایاکم

۸۰

ذلك
اتبع
بجهده
تدسيتها
باكمل نفسه
يخطر

احسن بذلك فليتوضا وقال لهم انما تطفى النار بالماء وقد ارشدهم الله ان يستعينوا عليكم بالصبر والصلوة فخلوا
بينهم وبين ذلك وانسوهم اياه واستعينوا عليهم بالشهوة والغضب وابلغ اسلحتكم فيهم وانكاها الغفلة واتباع
الهوى واعظم اسلحتهم فيكم وامنع حصونهم ذكر الله ومخالفة الهوى فاذا رايتم الرجل مخالفا لهواه فاهربوا
من ظله ولا تدنوا منه والمقصود ان الذنوب والمعاصي سلاح ومدد يمد بها العبد اعداءه ويعينهم بها على نفسه فيقاتلونه
بسلاحه والجاهل يكون معهم على نفسه وهذا غاية الجهل ما يبلغ الاعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه
ومن العجائب ان العبد يسعى بنفسه في هوان نفسه وهو يزعم انه لها مكرم ويجتهد في حرمانها اعلى حظوظها واشرفها وهو
يزعم انه يسعى في حظها ويبذل جهده في تحقيرها وتصغيرها وتدسيتها وهو يزعم انه يسعى في صلاحها واعلائها ورفعها وتكبيرها
وكان بعض السلف يقول في خطبته الا رب مهين لنفسه وهو يزعم انه لها مكرم ومذل لنفسه وهو يزعم انه لها معز ومصغر
لنفسه وهو يزعم انه لها مكبر ومضيع لنفسه وهو يزعم انه مراع لحقها وكفى بالمرء جهلا ان يكون مع عدوه على نفسه يبلغ
منها بفعله ما لا يبلغه عدوه والله المستعان ❊

فصل

٨١

ومن عقوباتها انها تنسي العبد نفسه فاذا نسي نفسه اهملها وافسدها واهلكها فان قيل كيف ينسى العبد نفسه واذا
نسي نفسه فاي شيء يذكره وما معنى نسيانه نفسه قيل نعم ينسى نفسه اعظم نسيان قال تعالى ولا تكونوا كالذين نسوا الله
فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون فلما نسوا ربهم سبحانه نسيهم وانساهم انفسهم كما قال الله تعالى نسوا الله فنسيهم فعاقب
سبحانه من نسيه عقوبتين احداهما انه سبحانه نسيه والثانية انه انساه نفسه ونسيانه سبحانه للعبد اهماله وتركه وتخليه عنه واضاعته
ونسيانه فالهلاك ادنى اليه من اليد للفم واما انساؤه نفسه فهو انساؤه لحظوظها العالية
واسباب سعادتها وفلاحها واصلاحها وما يكملها ينسيه ذلك كله جميعه فلا يخطره بباله ولا يجعله
على ذكره ولا يصرف اليه همته فيرغب فيه فانه لا يمر بباله حتى يقصده ويؤثره وايضا فينسيه
عيوب نفسه ونقصها وآفاتها فلا يخطر بباله ازالتها واصلاحها وايضا فينسيه امراض نفسه
وقلبه وآلامها فلا يخطر بقلبه مداواتها ولا السعي في ازالة عللها وامراضها التي تؤول بها الى
الفساد والهلاك فهو مريض مثخن بالمرض ومرضه مترام به الى التلف ولا يشعر بمرضه ولا يخطر
بباله مداواته وهذا من اعظم العقوبة للعامة والخاصة فاي عقوبة اعظم من عقوبة من اهمل نفسه وضيعها
ونسي مصالحها وداءها ودواءها واسباب سعادتها وصلاحها وفلاحها وحياتها الابدية

فی النعیم المقیم ومن تامل هذا الموضع تبین له ان اکثر هذا الخلق قد نسوا انفسهم حقیقة وضیعوها
واضاعوا حظها من الله وباعوها رخیصة بثمن بخس بیع الغبن وانما یظهر لهم هذا عند الموت ویظهر
هذا کل الظهور یوم التغابن یوم یظهر للعبد انه غبن فی العقد الذی عقده لنفسه فی هذه الدار
والتجارة التی اتجر فیها المعاده فان کل احد یتجر فی هذه الدنیا الآخرته فالخاسرون الذین یعتقدون
انهم اہل الربح والکسب اشتروا الحیوٰة الدنیا وحظهم فیها فاذہبوا طیباتہم ولذاتہم بالآخرة وحظہم
فیہا فی حیاتہم الدنیا وحظہم فیہا ولذاتہم بالآخرة واستمتعوا بہا ورضوا بہا واطمانوا الیہا وکان سعیہم لتحصیلہا
فباعوا واشتروا واتجروا وباعوا آجلا بعاجل ونسیة بنقد وغائبا بناجز وقالوا ہذا ہو الزہرة
ویقول احدہم خذ ما تراه ودع شیئا سمعت به فکیف ابیع حاضر النقد اشاہدا فی ہذه الدار
بغائب نسیة فی دار اخری غیر ہذه وینضم الی ذلک ضعف الایمان وقوة داعی الشہوة ومحبة
العاجلة والتشبه ببنی الجنس فاکثر الخلق فی ہذه التجارة الخاسرة التی قال اللہ فی اہلہا
اولئک الذین اشتروا الحیوٰة الدنیا بالآخرة فلا یخفف عنہم العذاب ولا ہم ینصرون وقال فیہم فما
ربحت تجارتہم وما کانوا مہتدین فاذا کان یوم التغابن ظہر لہم الغبن فی ہذه التجارة فتتقطع
علیہم النفوس حسرات واما الرابحون فانہم باعوا فانیا بباق وخسیسا بنفیس وحقیرا بعظیم
وقالوا ما مقدار ہذه الدنیا من اولہا الی آخرہا حتی نبیع حظنا من اللہ تعالیٰ والدار الآخرة
بہا فکیف بما ینال العبد منہا فی ہذا الزمن القصیر الذی ہو فی الحقیقة کغفوة حلم لا نسبة
له الی دار القرار البتة قال تعالیٰ ویوم نحشرہم کان لم یلبثوا الا ساعة من النہار یتعارفون
بینہم وقال تعالیٰ یسألونک عن الساعة ایان مرساہا فیم انت من ذکراہا الیٰ ربک
منتہاہا انما انت منذر من یخشاہا کانہم یوم یرونہا لم یلبثوا الا عشیة او ضحاہا وقال تعالیٰ
کانہم یوم یرون ما یوعدون لم یلبثوا الا ساعة من نہار بلاغ وقال تعالیٰ کم لبثتم فی
الارض عدد سنین قالوا لبثنا یوما او بعض یوم فاسأل العادین قال ان لبثتم الا قلیلا
لو انکم کنتم تعلمون وقال تعالیٰ ویوم ینفخ فی الصور ونحشر المجرمین یومئذ زرقا یتخافتون
بینہم ان لبثتم الا عشرا نحن اعلم بما یقولون اذ یقول امثلہم طریقة ان لبثتم الا یوما فہذه حقیقة
ہذه الدنیا عند موافاة یوم القیٰمة فلما علموا قلة لبثہم فیہا وان لہم دارا غیر ہذه الدار ہی دار الحیوان ودار البقاء

الدار

البقاء

رأوا من أعظم الغبن بيع دار البقاء بدار الفناء فاتجروا تجارة الأكياس ولم يغتروا بتجارة السفهاء
من الناس فظهر لهم تغابن بيع تجارتهم ومقدار ما اشتروه وكل أحد في هذه الدنيا بائع مشتر
متجر وكل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم
وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة
والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك
هو الفوز العظيم فهذا أول نقد من ثمن هذه التجارة فتاجروا أيها المفلسون ويا من لا يقدر
على هذا الثمن ههنا ثمن آخر فان كنت من أهل هذه التجارة فاعط هذا الثمن
التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف
والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين يا أيها الذين آمنوا هل
أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله
بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون والمقصود أن الذنوب تنسي العبد حظه من هذه
التجارة الرابحة وتشغله بالتجارة الخاسرة وكفى بذلك عقوبة والله المستعان ؛

فصل

ومن عقوباتها أنها تزيل النعم الحاضرة وتقطع النعم الواصلة فتزيل الحاصل وتمنع الواصل
فان نعم الله ما حفظ موجودها بمثل طاعته ولا استجلب مفقودها بمثل طاعته فانما
عند الله لا ينال الا بطاعته وقد جعل الله سبحانه لكل شيء سبباً وآفة سبباً يجلبه وآفة
تبطله فجعل أسباب نعمه الجالبة لها طاعته وآفاتها المانعة منها معصيته فاذا أراد حفظ
نعمته على عبده ألهمه رعايتها بطاعته فيها واذا أراد زوالها عنه خذله حتى عصاه بها
ومن العجب علم العبد بذلك مشاهدة في نفسه وغيره وسماعاً لما غاب عنه من أخبار
من أزيلت نعم الله عنهم بمعاصيه وهو مقيم على معصية الله كأنه مستثنى من هذه الجملة
أو مخصوص من هذا العموم وكأن هذا أمر جار على الناس لا عليه وواصل الى الخلق
لا اليه فأي جهل أبلغ من هذا وأي ظلم للنفس فوق هذا فالحكم لله العلي الكبير ؛

بـ نعمته

انفع الخلق اليه

ومن عقوباتها انها تباعد عن العبد وليه وانصح الخلق له وانفعهم له ومن سعادته فی قربه
منه وهو الملك المؤكل به وتدنی منه عدوه واغش الخلق له واعظمهم ضررا له وهو الشيطان
فان العبد اذا عصى الله تباعد منه الملك بقدر تلك المعصية حتى انه يتباعد منه بالكذبة
الواحدة مسافة بعيدة وفی بعض الآثار اذا كذب العبد تباعد منه الملك ميلا من نتن
ريحه فاذا كان هذا تباعد الملك منه من كذبة واحدة فماذا يكون قدر تباعده منه مما هو
اكبر من ذلك وافحش منه وقال بعض السلف اذا ركب الذكر الذكر عجت الارض الى الله وهربت
الملائكة الى ربها وشكت اليه عظم ما رأت وقال بعض السلف اذا اصبح ابن آدم ابتدره
الملك والشيطان فان ذكر الله وكبره وحمده وهلله طرد الملك الشيطان وتولاه وان
افتتح بغير ذلك ذهب الملك عنه وتولاه الشيطان ولا يزال الملك يقرب من العبد
حتى يصير الحكم والطاعة والغلبة له فتتولاه الملائكة فی حياته وعند موته وعند بعثه
قال الله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة
ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التی كنتم توعدون نحن اولياؤكم فی الحيوة الدنيا
وفی الآخرة واذا تولاه الملك تولاه انصح الخلق له وانفعهم وابرهم له فثبته وعلمه وقوى
جنانه وايده قال تعالى اذ يوحی ربك الى الملائكة انی معكم فثبتوا الذين آمنوا ويقول
الملك عند الموت لا تخف ولا تحزن وابشر بالذی يسرك ويثبته بالقول الثابت
احوج ما يكون اليه فی الحيوة الدنيا وعند الموت وفی القبر عند المسألة فليس احد انفع
للعبد من صحبة الملك له وهو وليه فی يقظته ومنامه وحياته وعند موته وفی قبره ومونسه
فی وحشته وصاحبه فی خلوته ومحدثه فی سره ويحارب عنه عدوه ويدافع عنه ويعينه عليه
ويعده بالخير ويبشره به ويحثه على التصديق بالحق كما جاء فی الاثر الذی يروى
مرفوعا وموقوفا ان للملك بقلب ابن آدم لمة وللشيطان لمة فلمة الملك ايعاد
بالخير وتصديق بالوعد ولمة الشيطان ايعاد بالشر وتكذيب بالحق واذا اشتد قرب
الملك من العبد تكلم على لسانه والقى على لسانه القول السديد واذا ابعد منه وقرب
الشيطان من العبد تكلم على لسانه والقى على لسانه ...

مقدار بعده

۸۴

علیه قول الحق اشتد

يتكلم على لسانه الملك والرجل يتكلم على لسانه الشيطان وفي الحديث ان السكينة
تنطق على لسان عمر رضي الله عنه وكان احدہم يسمع الكلمة الصالحة من الرجل الصالح
فيقول ما القاها على لسانك الا الملك ويسمع ضدها فيقول ما القاها على
لسانك الا الشيطان فالملك يلقي في القلب الحق ويلقيه على اللسان والشيطان
يلقي الباطل في القلب ويجريه على اللسان فمن عقوبة المعاصي انها تبعد من العبد
وليه الذي سعادته في قربه ومجاورته وموالاته وتدني منه عدوه الذي شقاه وہلاكه
وفساده في قربه وموالاته حتى ان الملك لينافح عن العبد ويرد عنه اذا سفه عليه السفيه
وسبه كما اختصم بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم رجلان فجعل احدہما يسب الآخر
وہو ساكت فتكلم بكلمة يردہا على صاحبه فقام النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا
رسول الله لما رددت عليه بعض قوله قمت فقال كان الملك ينافح عنك
فلما رددت عليه جاء الشيطان فلم اكن لاجلس واذا دعا العبد المسلم في ظهر الغيب
لاخيه امن الملك على دعائه فقال ولك بمثل ذلك واذا فرغ من قراءة الفاتحة امن
على دعائه فاذا اذنب العبد الموحد المتبع سبيله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم
استغفر له حملة العرش ومن حوله واذا نام العبد المؤمن بات في شعاره ملك فملك
المؤمن يرد عنه ويحارب ويدافع عنه ويعلمه ويثبته ويشجعه فلا يليق به ان يسيء جواره ويبالغ
في اذاه وطرده عنه وابعاده فانه ضيفه وجاره واذا كان اكرام الضيف من الآدميين والاحسان
الى الجار من لزوم الايمان وموجباته فما الظن باكرام اكرم الاضياف وخير الجيران
وابرہم واذا اذى العبد الملك بانواع المعاصي والظلم والفواحش دعا عليه ربه
وقال لا جزاك الله خيرا كما يدعو له اذا اكرمه بالطاعة والاحسان قال بعض الصحابة
رضي الله عنهم ان معكم من لا يفارقكم فاستحيوا منهم واكرموہم والا ام ممن لا يستحيي
من الكريم العظيم القادر ولا يكرمه ولا يوقره وقد نبه سبحانه على ہذا المعنى بقوله وان
عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون اي استحيوا من ہؤلاء الحافظين
الكرام واكرموہم واجلوہم ان يروا منكم ما تستحيون ان يراكم عليه من ہو مثلكم والملائكة

ضدها
لسانك على
الشيطان
يلقى
من العبد
السفيه
الآخر
بظهر
١٥
وقال بمثل
على دعائه
فملك
ويبالغ
يطرده
والاحسان
ان
عليه ربه
الصحابة
يجلّه
من ہو

تتأذی مما یتأذی منہ بنو آدم وانه اذا كان ابن آدم یتأذی ممن یفجر ویعصی بین یدیه وان كان قد یعمل مثل عمله فما الظن باذی الملائكة الكرام الكاتبین والله المستعان

فصل

ومن عقوباتها انها تستجلب مواد هلاك العبد فی دنیاه وآخرته فان الذنوب هی امراض القلوب متی استحكمت قتلت ولابد وكما ان البدن لایكون صحیحا الا بغذاء یحفظ قوته واستفراغ یستفرغ المواد الفاسدة والاخلاط الردیة التی متی غلبت علیه افسدته وحمیته یمتنع بها من تناول مایؤذیه ویخشی ضرره فكذلك القلب لاتتم حیاته الا بغذاء من الایمان والاعمال الصالحة تحفظ قوته واستفراغ بالتوبة النصوح یستفرغ المواد الفاسدة والاخلاط الردیة منه وحمیته توجب له حفظ صحته ویجتنب مایضادها وهی عبارة عن ترك استعمال مایضادها والصحة والتقوی اسم یتناول هذه الامور الثلثة فما فات منها فات من التقوی بقدره واذا تبین هذا فالذنوب مضادة لهذه الامور الثلثة فانها تستجلب المواد المؤذیة وتستوجب التخلیط المضاد للحمیة وتمنع الاستفراغ بالتوبة النصوح فانظر الی بدن علیل قد تراكمت علیه الاخلاط ومواد المرض وهو لایستفرغها ولایحتمی لها كیف تكون صحته وبقاؤه ولقد احسن القائل

جسمك بالحمیة حصنته * مخافة من الم طاری * وكان اولی بك ان تحتمی * من المعاصی خشیة الباری * فمن حفظ القوة بامتثال الاوامر واستعمل الحمیة باجتناب النواهی واستفرغ التخلیط بالتوبة النصوح لم یدع للخیر مطلبا ولا من الشر مهربا والله المستعان

فصل

فان لم تزعك هذه العقوبات ولم تجد لها تاثیرا فی قلبك فاحضره العقوبات الشرعیة التی شرعها الله ورسوله علی الجرائم كما قطع السارق فی ثلثة دراهم وقطع الید والرجل علی قطع الطریق علی معصوم المال والنفس وشق الجلد بالسوط علی كلمة قذف المحصن او قطرة خمر یدخلها جوفه وقتل بالحجارة اشنع قتلة فی ایلاج الحشفة فی فرج حرام وخفف هذه العقوبة عمن لم تتم علیه نعمة الاحصان بمائة جلدة وینفی سنة عن وطنه وبلده الی بلد الغربة وفرق بین راس العبد وبدنه اذا وقع علی ذات محرم او ترك الصلوة

فانتن

یستخرج

تناول لهذه

حصنته

النار

المفروضة او تكلم بكلمة كفر وامر بقتل من وطئ ذكرا مثله وقتل المفعول به وامر بقتل من اتى
بهيمة وقتل البهيمة معه وعزم على تحريق بيوت المتخلفين عن الصلوة في الجماعة وغير
ذلك من العقوبات التي رتبها الله على الجرائم وجعلها بحكمته على حسب الدواعي
الى تلك الجرائم وحسب الوازع عنها فما كان الوازع عنها طبيعيا وليس في الطباع داعيا اليه اكتفى بالتحريم مع
التعزير ولم يرتب عليه حدا كاكل الرجيع وشرب الدم واكل الميتة وما كان في الطباع
داعيا اليه ترتب عليه من العقوبة بقدر مفسدته وبقدر داع الطبع اليه ولهذا لما كان
داع الطباع الى الزنا من اقوى الدواعي كانت من عقوبته العظمى من اشنع القتلات
واعظمها وعقوبته السهلة على انواع الجلد مع زيادة التعذيب ولما كان اللواطة فيها الامران
كان حده القتل بكل حال ولما كان داعي السرقة قويا ومفسدتها كذلك قطع فيها اليد
وتأمل حكمته في افساد العضو الذي باشر به الجناية كما افسد على قاطع الطريق يده ورجله
اللتين هما آلة قطعه ولم يفسد على القاذف لسانه الذي جناية اذ مفسدة قطعه تزيد على
مفسدة الجناية ولا يبلغها فاكتفى من ذلك بايلام جميع بدنه بالجلد فان قيل فهلا افسد على
الزاني فرجه الذي باشر به المعصية قيل لوجوه احدها ان مفسدة ذلك تزيد على مفسدة الجناية
اذ فيه قطع النسل وتعرضه للهلاك الثاني ان الفرج عضو مستور لا يحصل بقطعه مقصود
الحد من الردع والزجر لامثاله من الجناية بخلاف قطع اليد الثالث انه اذا قطع يده ابقى له
يد اخرى تعوض عنها بخلاف الفرج الرابع ان لذة الزنا عمت جميع البدن فكان الاحسن
ان تعم العقوبة جميع البدن وذلك اولى من تخصيصها ببضعة منه فعقوبات الشارع
جارت على اتم الوجوه واوفقها للعقل واقومها بالمصلحة والمقصود ان الذنوب انما
ترتب عليها العقوبات الشرعية والقدرية او يجمعها الله للعبد وقد يرفعهما عمن تاب واحسن

فصل

وعقوبات الذنوب نوعان شرعية وقدرية فاذا اقيمت الشرعية رفعت العقوبات
القدرية او خففتها ولا يكاد الرب تعالى يجمع على عبده بين العقوبتين الا اذا لم يف
احدهما برفع موجب الذنب ولم يكن في زوال دائه واذا عطلت العقوبات الشرعية استحالت قدرية

قدرها ن
تحرك ن
جزاء ن
لما يحصل بقطع ن

وربما كانت اشد من الشرعية وربما كانت دونها ولكنها تعم والشرعية تخص فان الرب
تبارك وتعالى لا يعاقب شرعاً الا من باشر الجناية او تسبب اليها واما العقوبة
القدرية فانها تقع عامة وخاصة فان المعصية اذا خفيت لم تضر الا صاحبها واذا
اعلنت ضرت الخاصة والعامة واذا رأى الناس المنكر فاشتركوا في ترك انكاره
اوشك ان يعمهم الله تعالى بعقابه وقد تقدم ان العقوبة الشرعية شرعها الله
سبحانه على قدر مفسدة الذنب وتقاضي الطبع لها وجعلها سبحانه ثلثة انواع القتل
والقطع والجلد وجعل القتل بازاء الكفر وما يليه ويقرب به وہو الزنا واللواطة فان هذا
يفسد الاديان وهذا يفسد الانساب قال الامام احمد رحمه الله لا اعلم بعد القتل
ذنبا اعظم من الزنا واحتج بحديث عبد الله بن مسعود انه قال يا رسول الله اى
الذنب اعظم قال ان تجعل لله نداً وہو خلقك قال قلت ثم اى قال ان
تقتل ولدك مخافة ان يطعم معك قال قلت ثم اى قال ان تزاني بحليلة
جارك فانزل تصديقها في كتابه والذين لا يدعون مع الله الهاً آخر ولا يقتلون
النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون الآية والنبي صلى الله عليه وسلم ذكر من
كل نوع اعلاه ليطابق جوابه سؤال السائل فانه سئل عن اعظم الذنب فاجابه
بما تضمن ذكر اعظم انواعها وما ہو اعظم كل نوع فاعظم انواع الشرك ان يجعل العبد
لله نداً واعظم انواع القتل ان يقتل ولده خشية ان يشاركه في طعامه وشرابه واعظم
انواع الزنا ان يزني بحليلة جاره فان مفسدة الزنا تتضاعف بتضاعف ما
انتهكه من الحق فالزنا بالمرأة التي لها زوج اعظم اثماً وعقوبة من التي لا زوج لها
اذ فيه انتهاك حرمة الزوج وافساد فراشه وتعليق نسب عليه لم يكن منه
وغير ذلك من انواع اذاه فهو اعظم اثماً وجرماً من الزنا بغير ذات البعل فان كان
زوجها جاراً له انضاف الى ذلك سوء الجوار واذا جاره باعلى انواع الاذى وذلك
من اعظم البوائق وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يدخل الجنة
من لا يأمن جاره بوائقه ولا بائقة اعظم من الزنا بامرأته فالزنا بمائة امرأة لا زوج لها

والزنا

التزوج

اليسر عند الله من الزنا بامرأة الجار فان كان الجار اخا له او قريبا من اقاربه انضم الى ذلك قطيعة الرحم فيتضاعف الاثم فان كان الجار غائبا في طاعة الله كالصلوة وطلب العلم والجهاد تضاعف الاثم حتى ان الزاني بامرأة الغازي في سبيل الله يوقف له يوم القيمة ويقال خذ من حسناته ما شئت قال النبي صلے الله عليه وسلم فما ظنكم اي ما ظنكم انه يترك له من حسنات قد حكم في ان يأخذ منها ما شاء على شدة الحاجة الى حسنة واحدة حيث لا يترك الاب لابنه ولا الصديق لصديقه حقا يجب عليه فان اتفق ان تكون المرأة رحما منه انضاف الى ذلك قطيعة رحمها فان اتفق ان يكون الزاني محصنا كان الاثم اعظم فان كان شيخا كان اعظم اثما وهو احد الثلثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم فان اقترن بذلك ان يكون في شهر حرام او بلد حرام او وقت معظم عند الله كاوقات الصلوٰة واوقات الاجابة تضاعف الاثم وعلى هذا فاعتبر مفاسد الذنوب وتضاعف درجاتها في الاثم والعقوبة والله المستعان

فصل

وجعل سبحانه القطع بازاء افساد الاموال الذي لا يمكن الاحتراز منه فان السارق لا يمكن الاحتراز منه لانه يأخذ الاموال في الاختفاء وينقب الدور ويتسور من غير الابواب فهو كالسنور والحية التي تدخل عليك من حيث لا تعلم فلم ترتفع مفسدة سرقته الى القتل ولا تندفع بالجلد فاحسن ما دفعت به مفسدته ابانة العضو الذي تسلط به على الجناية وجعل الجلد بازاء افساد العقول وتمزيق الاعراض بالقذف فدارت عقوباته سبحانه الشرعية على هذه الانواع الثلاثة كما دار الكفارات على ثلثة انواع العتق وهو اعلاها والاطعام والصيام ثم جعل سبحانه الذنوب ثلثة اقسام قسما فيه الحد فهذا لم يشرع فيه كفارة اكتفاء بالحد وقسما لم يترتب عليه حد فشرع فيه الكفارة كالوطے في نهار رمضان والوطي في الاحرام والظهار وقتل الخطا والحنث في اليمين وغير ذلك وقسما لم يترتب عليه حد ولا كفارة وهو نوعان احدهما ما كان الوازع عنه طبعيا كاكل العذرة وشرب البول والدم والثاني ما كانت مفسدته ادنى من مفسدة ما رتب عليه الحد كالنظرة والقبلة واللمس والمحادثة وسرقة فلس ونحو ذلك وشرع الكفارات

[Margin notes: تتضاعف / فيقال له ما شئت / التي / رفعت / يتسلط / انه سبحانه جعل / فيه]

في ثلثة انواع احدها ما كان مباح الاصل ثم عرض تحريمه فباشره في الحالة التي عرض
فيها التحريم كالوطي في الاحرام والصيام وطرده الوطي في الحيض والنفاس بخلاف الوطي
في الدبر ولهذا كان الحاق بعض الفقهاء له بالوطي في الحيض لا يصح فانه لا يباح في
وقت دون وقت فهو بمنزلة التلوط وشرب المسكر النوع الثاني ما عقد لله من نذر
او بالله من يمين او حرمه الله ثم اراد حله فشرع الله سبحانه حله بالكفارة وسماها تحلة
وليست هذه الكفارة ماحية لهتك حرمة الاسم بالحنث كما ظنه بعض الفقهاء فان
الحنث قد يكون واجبا وقد يكون مستحبا وقد يكون مباحا وانما الكفارة حل لما عقده
النوع الثالث ما تكون فيه جابرة لما فات ككفارة قتل الخطا وان لم يكن هناك
اثم وكفارة قتل الصيد الخطا وان لم يكن هناك اثم فان ذلك من باب الجوابر
والنوع الاول من باب الزواجر والنوع الوسط من باب التحلة لما منعه العقد ولا يجتمع
الحد والتعزير في معصية بل ان كان فيها حد اكتفى به والا اكتفى بالتعزير ولا يجتمع الحد والكفارة
في معصية بل كل معصية فيها حد فلا كفارة فيها وما فيه كفارة فلا حد فيه وهل يجتمع التعزير والكفارة في المعصية التي لا حد فيها
فيه وجهان وهذا كالوطي في الاحرام والصيام ووطي الحائض اذا اوجبنا فيه الكفارة فقيل يجب
فيه التعزير لما انتهك من الحرمة بركوب الجناية وقيل لا تعزير في ذلك اكتفاء بالكفارة لانها جابرة وماحية

فصل

واما العقوبات القدرية فهي نوعان نوع على القلوب والنفوس ونوع على الابدان
والاموال والتي على القلوب نوعان احدهما آلام وجودية يضرب بها القلب والثاني
قطع المواد التي بها حياته وصلاحه عنه واذا قطعت عنه حصل له اضدادها وعقوبة القلوب
اشد العقوبتين وهي اصل عقوبة الابدان وهذه العقوبة تقوى وتتزايد حتى تسري
من القلب الى البدن كما يسري الم البدن الى القلب فاذا فارقت النفس البدن
صار الحكم متعلقا بها فظهرت عقوبة القلب حينئذ وصارت علانية ظاهرة وهي المسماة بعذاب القبر
ونسبته الى البرزخ كنسبة عذاب الابدان الى هذه الدار

فصل

هنالك

٩٠

فالتي

ظهرت عيانية

والتی علی الابدان ایضاً نوعان نوع فی الدنیا ونوع فی الآخرة وشدتها ودوامها بحسب
مفاسد ما رتب علیه فی الشدة والخفة فلیس فی الدنیا والآخرة شر اصلا الا الذنوب وعقوباتها
فالشر اسم لذلک کله واصله من شر النفس وسیئات الاعمال وهما الاصلان اللذان
کان النبی صلی الله علیه وسلم یستعیذ منهما فی خطبته بقوله ونعوذ بالله من شرور انفسنا
ومن سیئات اعمالنا وسیئات الاعمال من شرور النفس فعاد الشر کله الی شر النفس فان
سیئات الاعمال من فروعه وثمراته وقد اختلف فی معنی قوله ومن سیئات اعمالنا
هل معناه السیء من اعمالنا فیکون من باب اضافة النوع الی جنسه او یکون بمعنی
من وقیل معناه من عقوباتها التی تسوء فیکون التقدیر ومن عقوبات اعمالنا التی تسوءنا
ویرجح هذا القول ان الاستعاذة تکون قد تضمنت جمیع الشر فان شرور الانفس تستلزم
الاعمال السیئة وهی تستلزم العقوبات السیئة فنبه بشرور الانفس علی ما تقتضیه من قبح
الاعمال واکتفی بذکرها منه اذ هی اصله ثم ذکر غایة الشر ومنتهاه وهو السیئات التی
تسوء العبد من عمله من العقوبات والآلام فتضمنت هذه الاستعاذة اصل الشر وفروعه وغایته ومقتضاه
ومن دعاء الملائکة للمؤمنین قولهم وقهم السیئات ومن تق السیئات یومئذ فقد رحمته
فهذا یتضمن طلب وقایتهم من سیئات الاعمال وعقوباتها التی تسوء صاحبها فانه سبحانه
متی وقاهم عمل السیء وقاهم جزاء السیء وان کان قوله ومن تق السیئات یومئذ
فقد رحمته اظهر فی عقوبات الاعمال المطلوب وقایتهم یومئذ فان قیل فقد سألوه سبحانه ان
یقیهم عذاب الجحیم وهذا هو وقایة العقوبات السیئة فدل علی ان المراد بالسیئة التی سألوا
وقایتها الاعمال السیئة ویکون الذی سأله الملائکة نظیر ما استعاذ منه النبی صلی الله علیه وسلم
ولا یرد علی هذا قوله یومئذ فان المطلوب وقایة شرور سیئات الاعمال ذلک الیوم
وهی سیئات فی نفسها قیل وقایة السیئات نوعان احدهما وقایة فعلها بالتوفیق فلا
تصدر منه والثانی وقایة جزائها بالمغفرة فلا یعاقب علیها فتضمنت الآیة سؤال الامرین
والظرف تقیید للجملة الشرطیة لا بالجملة الطلبیة وتأمل ما تضمنه هذا الخبر عن الملائکة من
مدحهم بالایمان والعمل الصالح والاحسان الی المؤمنین بالاستغفار لهم وقدموا بین یدی

النفوس

السیئات
بالسیئات
فالظرف

استغفارهم وتوسلهم الى الله سبحانه بسعة علمه وسعة رحمته فسعة علمه يتضمن علمه بذنوبهم
واسبابها وضعفهم عن العصمة واستيلاء عدوهم وانفسهم وهواهم وطباعهم وما زين لهم من الدنيا
وزينتها وعلمه بهم اذ انشاهم من الارض واذ هم اجنة في بطون امهاتهم وعلمه السابق بانهم
لابد ان يعصوه وانه يحب العفو والمغفرة وغير ذلك من سعة علمه الذي لايحيط به احد
سواه وسعة رحمته تتضمن انه لايهلك عليه احد من المؤمنين به اهل توحيده ومحبته فانه
واسع الرحمة لايخرج عن دائرة رحمته الا الاشقياء ولا اشقى ممن لم تسعه رحمته وسعت
كل شئ ثم سالوه ان يغفر للتائبين الذين اتبعوا سبيله وهو صراطه الموصل اليه الذي
هو معرفته ومحبته وطاعته فيما امر وترك مايكره فتابوا مما يكره واتبعوا السبيل الذي يحبها ثم سالوه
ان يقيهم عذاب الجحيم وان يدخلهم والمؤمنين من اصولهم وفروعهم وازواجهم جنات عدن
التي وعدهم بها وهو سبحانه وان كان لايخلف الميعاد فانه وعدهم بها باسباب من جملتها
دعاء الملائكة لهم بان يدخلهم اياها بادخلوها برحمته التي منها ان وفقهم لاعمالها واقام ملائكته
يدعون لهم بدخولها ثم اخبر سبحانه عن ملائكته انهم قالوا عقيب هذه الدعوة انك انت
العزيز الحكيم اي مصدر ذلك وسببه وغايته صادر عن كمال قدرتك وكمال علمك
فان العزة كمال القدرة والحكمة كمال العلم وبهاتين الصفتين يقضي سبحانه وتعالى
مايشاء ويامر وينهي ويثيب ويعاقب فهاتان الصفتان مصدر الخلق والامر والمقصود
ان عقوبات السيئات تتنوع الى عقوبات شرعية وعقوبات قدرية وهي اما في القلب
واما في البدن واما فيهما وعقوبات في دار البرزخ بعد الموت وعقوبات يوم عود الاجساد
في الدار الآخرة فالذنب لايخلو من عقوبة البتة ولكن لجهل العبد لايشعر بما هو فيه من
العقوبة لانه بمنزلة السكران والمخدر والنائم الذي لايشعر بالالم فاذا استيقظ وصحى احس
بالمؤلم فترتب العقوبات على الذنوب كترتب الاحراق على النار والكسر على الانكسار
والاغتراف على الماء وفساد البدن على السموم والامراض لاسباب الجالبة لها وقد
يقارن المضرة للذنب وقد تتاخر عنه اما يسيرا او امدة كما يتاخر المرض عن سببه ان يقارنه
وكثيرا ما يقع الغلط للعبد في هذا المقام ويذنب الذنب فلا يرى اثره عقيبه ولا يدري

نكتة الجنة قد خولها
٩٢
فالعزة
حشر
العقوبات بالآلام
ترتب على الاسباب

انہ یعمل وعملا علی التدریج شیئاً فشیئاً کما تعمل السموم والاشیاء الضارة حذو القذة بالقذة فان تدارک العبد نفسہ بالادویة والاستفراغ والحمیة والا فہو صائر الی الھلاک ھذا اذا کان ذنباً واحداً لم یتدارکہ بما یزیل اثرہ فکیف بالذنب علی الذنب کل یوم وکل ساعة واللہ المستعان

فصل

فاستحضر بعض العقوبات التی رتبھا اللہ سبحانہ وتعالٰی علی الذنوب وجوز وصول بعضھا الیک واجعل ذلک داعیاً للنفس الی ھجرانھا وانا اسوق الیک منھا طرفاً یکفی العاقل مع التصدیق ببعضہ فمنھا الختم علی القلوب والاسماع والغشاوة علی الابصار والاقفال علی القلوب وجعل الاکنة علیھا والرین علیھا والطبع علیھا وتقلیب الافئدة والابصار والحیلولة بین المرء وقلبہ واغفال القلب عن ذکر الرب وانساء العبد نفسہ وترک ارادة اللہ تطھیر القلب وجعل الصدر ضیقاً حرجاً کانما یصعد فی السماء وصرف القلوب عن الحق وزیادتھا مرضاً علی مرضھا وارکاسھا وانکاسھا بحیث تبقی منکوسة کما ذکر الامام احمد عن حذیفة بن الیمان رضی اللہ عنہ انہ قال القلوب اربعة فقلب اجرد فیہ سراج یزھر فذلک قلب المؤمن وقلب اغلف فذلک قلب الکافر وقلب منکوس فذلک قلب المنافق وقلب تمدہ مادتان مادة ایمان ومادة نفاق وھو لما غلب علیہ منھما ومنھا التثبط عن الطاعة والاقعاد عنھا ومنھا جعل القلب اصم لا یسمع الحق ابکم لا ینطق بہ اعمی لا یراہ فیصیر النسبة بین القلب وبین الحق الذی لا ینفعہ غیرہ کالنسبة بین اذن الاصم والاصوات وعین الاعمی والالوان ولسان الاخرس والکلام وبھذا یعلم ان الصمم والبکم والعمی للقلب بالذات والحقیقة وللجوارح بالعرض والتبعیة فانھا لا تعمی الابصار ولکن تعمی القلوب التی فی الصدور ولیس المراد نفی العمی الحسی عن البصر کیف وقد قال تعالٰی لیس علی الاعمی حرج وقال عبس وتولّٰی ان جاءہ الاعمی وانما المراد ان العمی التام علی الحقیقة عمی القلب حتّٰی ان عمی البصر بالنسبة الیہ کالاعمی حتّٰی یصح نفیہ بالنسبة الی کمالہ وقوتہ کما قال النبی صلی اللہ علیہ وسلم لیس الشدید بالصرعة ولکن الذی یملک نفسہ عند الغضب وقولہ صلی اللہ علیہ وسلم لیس المسکین بالطواف الذی تردہ اللقمة

وصول بعضھا الیک

الانسان

نکبھا

۹۲

فی

واللقتتان ولكن المسكين الذی لا یسئل الناس ولا یفطن لہ فیتصدق علیہ ونظائرہ
کثیرۃ والمقصود ان من عقوبات المعاصی جعل القلب اعمیٰ اصم ابکم ومنھا الخسف
بالقلب کما یخسف بالمکان ومافیہ فیخسف بہ الیٰ اسفل سافلین وصاحبہ لایشعر
وعلامۃ الخسف بہ انہ لایزال جوالا حول السفلیات والقاذورات والرذائل کما
ان القلب الذی رفعہ اللہ وقربہ الیہ لایزال جوالا حول البر والخیر ومعالی الامور
والاعمال والاقوال والاخلاق قال بعض السلف ان ھذہ القلوب جوالۃ فمنھا ما
یجول حول العرش ومنھا ما یجول حول الحش ومنھا مسخ القلب فیمسخ کما تمسخ الصورۃ
فیصیر القلب علےٰ قلب الحیوان الذی شابھہ فی اخلاقہ واعمالہ وطبیعتہ فمن القلوب
ما یمسخ علےٰ قلب خنزیر لشدۃ شبہ صاحبہ بہ ومنھا ما یمسخ علیٰ خلق کلب وحمار وحیۃ
اوعقرب وغیر ذٰلک وھٰذا تاویل سفیان بن عیینۃ فی قولہ تعالےٰ ومامن دابۃ فی
الارض ولاطائر یطیر بجناحیہ الاامم امثالکم قال منھم من یکون علیٰ اخلاق السباع العادیۃ
ومنھم من یکون علیٰ اخلاق الکلاب واخلاق الخنازیر واخلاق الحمیر ومنھم من یتطوس
فی ثیابہ کما یتطوس الطاؤس فی ریشہ ومنھم من یکون بلیدا کالحمار ومنھم من یؤثر علی نفسہ
کالدیک ومنھم من یألف ویؤلف کالحمام ومنھم الحقود کالجمل ومنھم الذی ھو خیر کلہ کالغنم
ومنھم اشباہ الذباب ومنھم اشباہ الثعالب التی تروغ کروغانھا وقد شبہ اللہ تعالےٰ اہل الجہل والغی
بالحمر تارۃ وبالکلب تارۃ وبالانعام تارۃ وتقوی ھٰذہ المشابھۃ باطنا حتی تظھر فی الصورۃ
الظاھرۃ ظھورا خفیا یراہ المتفرسون ویظھر فے الاعمال ظھورا یراہ کل احد ولایزال یقوی
حتی تعلو الصورۃ فتنقلب لہ الصورۃ باذن اللہ وھو المسخ التام فیقلب اللہ سبحانہ
وتعالیٰ الصورۃ الظاھرۃ علےٰ صورۃ ذٰلک الحیوان کما فعل بالیھود واشباھھم ویفعل
بقوم من ھٰذہ الامۃ ویمسخھم قردۃ وخنازیر فسبحان اللہ کم من قلب منکوس وصاحبہ
لایشعر وقلب ممسوخ وقلب مخسوف بہ وکم من مفتون بثناء الناس علیہ ومغرور
بستر اللہ علیہ ومستدرج بنعم اللہ علیہ وکل ھٰذہ عقوبات واھانۃ ویظن الجاہل انھا
کرامۃ ومنھا مکر اللہ بالماکر ومخادعتہ للمخادع واستھزاؤہ بالمستھزی وازاغتہ لقلب الزائغ

خلق الخنازیر

کما

تتشنع ھٰذا

عن الحق ومنها انكس القلب حتى يرى الباطل حقا والحق باطلا والمعروف منكرا والمنكر معروفا ويفسد ويرى انه يصلح ويصد عن سبيل الله وهو يرى انه يدعو اليها ويشترى الضلالة بالهدى وهو يرى انه على الهدى ويتبع هواه وهو يزعم انه مطيع لمولاه وكل هذا من عقوبات الذنوب الجارية على القلوب ومنها حجاب القلب عن الرب فى الدنيا والحجاب الاكبر يوم القيمة كما قال تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فمنعتهم الذنوب ان يقطعوا المسافة بينهم وبين قلوبهم فيصلوا اليها فيروا ما يصلحها ويزكيها وما يفسدها ويشقيها وان يقطعوا المسافة بين قلوبهم وبين ربهم فتصل القلوب اليه فتفوز بقربه وكرامته وتقربه عينا وتطيب به نفسا بل كانت الذنوب حجابا بينهم وبين قلوبهم وحجابا بينهم وبين ربهم وخالقهم ومنها المعيشة الضنك فى الدنيا وفى البرزخ والعذاب فى الآخرة قال تعالى ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى وفسرت المعيشة الضنك لعذاب القبر ولاريب انه من المعيشة الضنك والآية تتناول ما هو اعم منه وان كانت نكرة فى سياق الاثبات فان عمومها من حيث المعنى فانه سبحانه رتب المعيشة الضنك على الاعراض عن ذكره فالمعرض عنه له من ضنك المعيشة بحسب اعراضه وان تنعم فى الدنيا باصناف النعم نفى قلبه من الوحشة والذل والحسرات التى تقطع القلوب والامانى الباطلة والعذاب الحاضر ما فيه وانما تواريه عنه سكرات الشهوات والعشق وحب الدنيا والرياسة ان لم ينضم الى ذلك سكر الخمر فسكر هذه الامور اعظم من سكر الخمر فانه يفيق صاحبه ويصحو وسكر الهوى وحب الدنيا لا يصحو صاحبه الا اذا سكر فى عسكر الاموات فالمعيشة الضنك لازمة لمن اعرض عن ذكر الله الذى انزله على رسوله صلى الله عليه وسلم فى دنياه وفى البرزخ ويوم معاده ولا تقر العين ولا يهدى القلب ولا تطمئن النفس الا بالهها ومعبودها الذى هو حق وكل معبود سواه باطل فمن قرت عينه بالله قرت به كل عين ومن لم تقر عينه بالله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات والله تعالى انما جعل الحيوة الطيبة لمن آمن بالله وعمل صالحا كما قال تعالى من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون فضمن لاهل الايمان والعمل الصالح الجزاء فى الدنيا بالحيوة الطيبة والحسنى يوم القيمة فلهم اطيب الحياتين وهم احياء فى الدارين ونظير هذا

يتبع

٩٥

لا يفيق

قوله تعالى للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين ونظيرها
قوله تعالى وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعاً حسنا الى اجل مسمّى ويؤت كل
ذي فضل فضله ففاز المتقون المحسنون بنعيم الدنيا والآخرة وحصلوا على الحيوة الطيبة
في الدارين فان طيب النفس وسرور القلب وفرحه ولذته وابتهاجه وطمانينته وانشراحه
ونوره وسعته وعافيته من ترك الشهوات المحرمة والشبهات الباطلة هو النعيم على الحقيقة ولانسبة لنعيم البدن اليه فقد كان
بعض من ذاق هذه اللذة لو علم الملوك وابناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف وقال آخر انه يمر بالقلب اوقات
اقول فيها ان كان اهل الجنة في مثل هذا انهم لفي عيش طيب وقال الآخر ان في الدنيا جنة هي في الدنيا كالجنة في الآخرة من لم
يدخلها لم يدخل جنة الآخرة وقد اشار النبي صلى الله عليه وسلم الى هذه الجنة بقوله اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا
قالوا وما رياض الجنة قال حلق الذكر وقال ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ولا تظن ان قوله تعالى
ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم يختص بيوم المعاد فقط بل هؤلاء في نعيم في دورهم الثلثة وهؤلاء
في جحيم في دورهم الثلثة واي لذة ونعيم في الدنيا اطيب من بر القلب وسلامة الصدر
ومعرفة الرب تعالى ومحبته والعمل على موافقته وهل عيش في الحقيقة الا عيش
القلب السليم وقد اثنى الله تعالى على خليله عليه السلام بسلامة القلب فقال وان
من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم وقال حاكياً عنه انه قال يوم لا ينفع مال ولا
بنون الا من اتى الله بقلب سليم والقلب السليم هو الذي سلم من الشرك والغل
والحقد والحسد والشح والكبر وحب الدنيا والرياسة فسلم من كل آفة تبعده من الله وسلم
من كل شبهة تعارض خبره ومن كل شهوة تعارض امره وسلم من كل ارادة تزاحم مراده وسلم
من كل قاطع يقطعه عن الله فهذا القلب السليم في جنة معجلة في الدنيا وفي جنة في البرزخ
وفي جنة يوم المعاد ولا تتم له سلامة مطلقاً حتى يسلم من خمسة اشياء من شرك يناقض
التوحيد وبدعة تخالف السنة وشهوة تخالف الامر وغفلة تناقض الذكر وهوى يناقض
التجريد والاخلاص وهذه الخمسة حجب عن الله وتحت كل واحد منها انواع كثيرة
تتضمن افراداً واشخاصاً لا تنحصر ولذلك اشتدت حاجة العبد بل ضرورته الى ان يسأل الله ان يهديه
الصراط المستقيم فليس العبد احوج الى شيء منه الى هذه الدعوة وليس شيء انفع

علیه

96

قلبه

شبهة

فان الصراط المستقيم يتضمن علوما وارادة واعمالا وتروكا ظاهرة وباطنة تجري عليه
كل وقت فتفاصيل الصراط المستقيم قد يعلمها العبد وقد لا يعلمها وقد يكون ما لا يعلمه اكثر
مما يعلمه وما يعلمه قد يقدر عليه وقد لا يقدر عليه وهو من الصراط المستقيم وان عجز عنه
وما يقدر عليه قد تريده نفسه وقد لا تريده كسلا وتهاونا او لقيام مانع وغير ذلك وما
تريده قد يفعله وقد لا يفعله وما يفعله قد يقوم بشروط الاخلاص وقد لا يقوم وما يقوم فيه
بشروط الاخلاص قد يقوم فيه بكمال المتابعة وقد لا يقوم وما يقوم فيه بالمتابعة قد
يثبت عليه وقد يصرف قلبه عنه وهذا كله واقع سار في الخلق فمستقل ومستكثر وليس في
طباع العبد الهداية الى ذلك كله بل متى وكل الى طباعه حيل بينه وبين ذلك
وهذا هو الاركاس الذي اركس الله به المنافقين بذنوبهم فاعادهم الى طباعهم
وما خلقت عليه نفوسهم من الجهل والظلم والرب تبارك وتعالى على صراط مستقيم
في قضائه وقدره وامره ونهيه فيهدي من يشاء الى صراط مستقيم بفضله ورحمته
وجعل الهداية حيث تصلح ويصرف من يشاء عن صراطه المستقيم بعدله وحكمته
لعدم صلاحية المحل وذلك موجب صراطه المستقيم الذي هو عليه فهو على صراط
مستقيم ونصب لعباده من امره صراطا مستقيما دعاهم جميعا اليه حجة منه وعدلا
وهدى من يشاء منهم الى سلوكه نعمة منه وفضلا ولم يخرج بهذا العدل وهذا الفضل
عن صراطه المستقيم الذي هو عليه فاذا كان يوم القيمة نصب لخلقه صراطا مستقيما
يوصلهم الى جنته ثم صرف عنه من صرف عنه في الدنيا واقام من اقام في الدنيا
وجعل نور المؤمنين به وبرسوله وما جاء به الذي كان في قلوبهم في الدنيا نورا ظاهرا
لهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم في ظلمة الحشر وحفظ عليهم نورهم حتى يقطعوه كما حفظ عليهم
الايمان حتى لقوه واطفى نور المنافقين احوج ما كانوا اليه كما اطفأه من قلوبهم
في الدنيا واقام اعمال العصاة بجنبتي الصراط كلاليب وحسكا تخطفهم كما تخطفهم في
الدنيا عن الاستقامة عليه وجعل سيرهم وسرعتهم على قدر سيرهم وسرعتهم اليه في
الدنيا ونصب للمؤمنين حوضا يشربون منه بازاء شربهم من شرعه في الدنيا وحرم

97

القصد
لقائه

حرمته فانظر

من الشرب منه هناك من حرم من الشرب من شرعه ودينه ههنا فنظروا الى الآخرة
كانها رأى عين وتأمل حكمة الله سبحانه في الدارين تعلم حينئذ علماً يقيناً لا شك فيه
ان الدنيا مزرعة الآخرة وعنوانها وانموذجها وان منازل الناس فيها من السعادة
والشقاوة على حسب منازلهم في هذه الدار في الايمان والعمل الصالح وضدها وبالله
التوفيق فمن اعظم عقوبات الذنوب الخروج عن الصراط في الدنيا والآخرة ❊

فصل

ولما كانت الذنوب متفاوتة في درجاتها ومفاسدها تفاوتت عقوباتها في الدنيا والآخرة
بحسب تفاوتها ونحن نذكر فيها بعون الله فصلا وجيزا جامعا فنقول اصلها نوعان
ترك مأمور وفعل محظور وهما الذنبان اللذان ابتلى الله سبحانه ابوى الجن والانس بهما وكلاهما ينقسم باعتبار محاله الى
ظاهر على الجوارح وباطن في القلوب وباعتبار متعلقه الى حق الله وحق خلقه وان كان كل حق لخلقه فهو
متضمن لحقه لكن سمي حقا للخلق لانه يجب بمطالبتهم ويسقط باسقاطهم ثم هذه الذنوب تنقسم الى اربعة اقسام ملكية وشيطانية
وسبعية وبهيمية لا تخرج عن ذلك فان الذنوب الملكية ان من يتعاطا ما لا يصلح له من صفات الربوبية كالعظمة والكبرياء
والجبروت والقهر والعلو والظلم واستعباد الخلق ونحو ذلك ويدخل في هذا الشرك بالرب تعالى وهو نوعان شرك في اسمائه
وصفاته وجعل آلهة اخرى معه وشرك في معاملته وهذا الثاني قد لا يوجب دخول النار وان احبط العمل الذي اشرك فيه
مع الله غيره وهذا القسم اعظم انواع الذنوب ويدخل فيه القول على الله بلا علم في خلقه وامره فمن كان من اهل هذه
الذنوب فقد نازع الله سبحانه ربوبيته وملكه وجعل له ندا وهذا اعظم الذنوب عند الله ولا ينفع معه عمل ❊

تحقيق ٩٨

فصل

واما الشيطانية فالتشبه بالشيطان في الحسد والبغي والغش والغل والخداع والمكر والامر بمعاصي الله وتحسينها والنهي عن
طاعة الله وتهجينها والابتداع في دينه والدعوة الى البدع والضلال وهذا النوع يلي النوع الاول في المفسدة وان كانت مفسدته دونه

تنبيه

فصل

واما السبعية فذنوب العدوان والغضب وسفك الدماء والتوثب على الضعفاء
والعاجزين ويتولد منها انواع اذى النوع الانساني والجرأة على الظلم والعدوان
واما الذنوب البهيمية فمثل الشره والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج ومنها

النظر

يتولد الزنا والسرقة واكل اموال اليتامى والبخل والشح والجبن والهلع والجزع وغير ذلك وهذا القسم اكثر ذنوب الخلق لعجزهم عن الذنوب السبعية والملكية ومنه يدخلون الى سائر الاقسام فهو يجرهم اليها بزمام فيدخلون منه الى الذنوب السبعية ثم الى الشيطانية ثم الى منازعة الربوبية والشرك فى الوحدانية ومن تأمل هذا حق التامل تبين له ان الذنوب دهليز الشرك والكفر ومنازعة الله ربوبيته؛

فصل

وقد دل القرآن والسنة واجماع الصحابة والتابعين بعدهم والائمة على ان من الذنوب كبائر وصغائر قال الله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وقال تعالى والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم وفى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر وهذه الاعمال المكفرة لها ثلث درجات احدها ان تقصر عن تكفير الصغائر لضعفها وضعف الاخلاص فيها والقيام بحقوقها بمنزلة الدواء الضعيف الذى ينقص عن مقاومة الداء كمية وكيفية الثانية ان تقاوم الصغائر ولا ترتقى الى تكفير شئ من الكبائر الثالثة ان تقوى على تكفير الصغائر وتبقى فيها قوة تكفر بها بعض الكبائر فتأمل هذا فانه يزيل عنك اشكالات كثيرة وفى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الا انبئكم باكبر الكبائر قلنا بلى يا رسول الله فقال الاشراك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور وروى فى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم اجتنبوا السبع الموبقات قيل وما هن يا رسول الله قال الاشراك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق واكل مال اليتيم واكل الربوا والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات وفى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه سئل اى الذنب اكبر عند الله قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قيل ثم اى قال ان تقتل ولدك مخافة ان يطعم معك قيل ثم اى قال ان تزنى بحليلة جارك فانزل الله تعالى تصديقها والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون

اعظم تدعو

النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون الآية واختلف الناس في الكبائر هل لها
عدد يحصرها على قولين ثم الذين قالوا بحصرها اختلفوا في عددها فقال عبد الله
ابن مسعود هي اربعة وقال عبد الله بن عمر هي سبعة وقال عبد الله بن عمرو بن العاص هي تسعة وقال غيره
هي احدى عشر وقال آخر هي سبعون وقال ابو طالب المكي جمعتها من اقوال
الصحابة فوجدتها اربعة في القلب وهي الشرك بالله والاصرار على المعصية والقنوط
من رحمة الله والامن من مكر الله واربعة في اللسان وهي شهادة الزور وقذف
المحصنات واليمين الغموس والسحر وثلاثة في البطن شرب الخمر واكل مال اليتيم
واكل الربوا واثنتان في الفرج وهما الزنا واللواطة واثنتان في اليدين وهما القتل
والسرقة وواحدة في الرجلين وهي الفرار من الزحف وواحدة تتعلق بجميع الجسد وهي
عقوق الوالدين والذين لم يحصروها بالعدد منهم من قال كلما نهى الله عنه في
القرآن فهو كبيرة وما نهى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم فهو صغيرة وقالت
طائفة ما اقترن بالنهي عنه وعيد من لعن او غضب او عقوبة فهو كبيرة وما لم يقترن
به من ذلك شئ فهو صغيرة وقيل كلما رتب عليه حد في الدنيا او وعيد في الآخرة
فهو كبيرة وما لم يرتب عليه لا هذا ولا هذا فهو صغيرة وقيل كلما اتفقت الشرائع
على تحريمه فهو من الكبائر وما كان تحريمه في شريعة دون شريعة فهو صغيرة وقيل كلما
لعن الله او رسوله فاعله فهو كبيرة وقيل كلما ذكر من اول سورة النساء الى قوله
ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم والذين لم يقسموها الى كبائر وصغائر قالوا الذنوب
كلها بالنسبة الى الجرأة على الله سبحانه معصيته ومخالفة امره كبائر فالنظر الى من عصى
امره وانتهك محارمه توجب ان تكون الذنوب كلها كبائر وهي مستوية في هذه
المفسدة قالوا ويوضح هذا ان الله سبحانه لا تضره الذنوب ولا يتأثر بها فلا يكون
بعضها بالنسبة اليه اكبر من بعض فلم يبق الا مجرد معصيته ومخالفته ولا فرق في ذلك
بين ذنب وذنب قالوا ويدل عليه ان مفسدة الذنب تابعة للجرأة والتوثب
على حق الرب تبارك وتعالى ولهذا لو شرب رجل خمرا او وطئ فرجا حراما وهو

100

هي ما

لا یعتقد تحریمہ لکان قد جمع بین الجہل وبین مفسدۃ ارتکاب الحرام ولو فعل ذٰلک من
یعتقد تحریمہ لکان اتی باحدی المفسدتین وھو الذی یستحق العقوبۃ دون الاول فدل علٰے
ان مفسدۃ الذنب تابعۃ للجرأۃ والتوثب قالوا ویدل علٰی ھٰذا ان المعصیۃ تتضمن الاستھانۃ
بامر المطاع ونھیہ وانتھاک حرمتہ وھٰذا لا فرق فیہ بین ذنب وذنب قالوا فلا ینظر العبد
الٰی کبر الذنب وصغرہ فی نفسہ ولکن ینظر الٰی قدر من عصاہ وعظمتہ وانتھاک حرمتہ بالمعصیۃ
وھٰذا لا یفترق فیہ الحال بین معصیۃ ومعصیۃ فان ملکا عظیما مطاعا لو امر احد مملوکیہ ان یذہب
فی مہم لہ الٰی بلد بعید وامر آخر ان یذہب فی شغل لہ الٰی جانب الدار فعصیاہ وخالفا امرہ
لکانا فی مقتہ والسقوط من عینہ سواء قالوا ولھٰذا کانت معصیۃ من ترک الحج من مکۃ وترک
الجمعۃ وھو جار المسجد اقبح عند اللہ من معصیۃ من ترکہ من المکان البعید والواجب علٰی ھٰذا
اکثر من الواجب علٰی ھٰذا ولو کان مع رجل مائتا درہم فمنع زکاتھا ومع آخر مائتا الف درہم
فمنع زکاتہا لاستویا فی منع ما وجب علٰے کل واحد منھما ولا یبعد استواؤہما فی العقوبۃ اذا کان
کلا منھما مصر علٰی منع زکوٰۃ مالہ قلیلا کان المال او کثیرا ؎

فصل

وکشف الغطاء عن ھٰذہ المسألۃ ان یقال ان اللہ عز وجل ارسل رسلہ وانزل کتبہ وخلق
السمٰوات والارض لیعرف ویعبد ویوحد ویکون الدین کلہ لہ والطاعۃ کلہا لہ والدعوۃ لہ کما
قال تعالٰی وما خلقت الجن والانس الا لیعبدون وقال وما خلقنا السمٰوات والارض وما
بینھما الا بالحق وقال تعالٰی اللہ الذی خلق سبع سمٰوات ومن الارض مثلھن یتنزل الامر
بینھن لتعلموا ان اللہ علٰی کل شیٔ قدیر وان اللہ قد احاط بکل شیٔ علما وقال تعالٰی جعل اللہ
الکعبۃ البیت الحرام قیاما للناس والشھر الحرام والھدی والقلائد ذٰلک لتعلموا ان اللہ یعلم
ما فی السمٰوات وما فی الارض وان اللہ بکل شیٔ علیم فاخبر سبحانہ ان القصد بالخلق والامر ان
یعرف باسمائہ وصفاتہ ویعبد وحدہ لا یشرک بہ وان یقوم الناس بالقسط وھو العدل الذی
قامت بہ السمٰوات والارض کما قال تعالٰی لقد ارسلنا رسلنا بالبینات وانزلنا معھم الکتاب
والمیزان لیقوم الناس بالقسط فاخبر سبحانہ انہ ارسل رسلہ وانزل کتبہ لیقوم الناس بالقسط

مملوکیہ

۱۰۱

کشف

العدل

وهو العدل ومن اعظم القسط التوحيد بل هو رأس العدل وقوامه وان الشرك ظلم عظيم كما قال
تعالى ان الشرك لظلم عظيم فالشرك اظلم الظلم والتوحيد اعدل العدل فما كان اشد منافاة لهذا
المقصود فهو اكبر الكبائر وتفاوتها في درجاتها بحسب منافاتها له وما كان اشد موافقة لهذا المقصود
فهو اوجب الواجبات وافرض الطاعات فتأمل هذا الاصل حق التأمل واعتبر به تفاصيله تعرف
به احكم الحاكمين واعلم العالمين فيما فرضه على عباده وحرمه عليهم وتفاوت مراتب الطاعات
والمعاصي فلما كان الشرك بالله منافيا بالذات لهذا المقصود كان اكبر الكبائر على الاطلاق
وحرم الله الجنة على كل مشرك واباح دمه وماله واهله لاهل التوحيد وان يتخذوهم عبيدا لهم لما تركوا
القيام بعبوديته وابى الله سبحانه ان يقبل من مشرك عملا او يقبل فيه شفاعة او يستجيب له في
الآخرة دعوة او يقبل له فيها عثرة فان المشرك اجهل الجاهلين بالله حيث جعل له من خلقه ندا
وذلك غاية الجهل به كما انه غاية الظلم منه وان كان المشرك لم يظلم ربه وانما ظلم نفسه
وقد وقعت مسألة وهي ان المشرك انما قصده تعظيم جناب الرب تبارك وتعالى وانه لعظمته لا ينبغي
الدخول عليه الا بالوسائط والشفعاء كحال الملوك فالمشرك لم يقصد الاستهانة بجناب الربوبية
وانما قصد تعظيمه وقال انما اعبد هذه الوسائط لتقربني اليه وتدخلني عليه فهو المقصود وهذه
وسائل وشفعاء فلم كان هذا القدر موجبا لسخطه وغضبه تبارك وتعالى ومخلدا في النار

١٠٢

وموجبا لسفك دماء اصحابه واستباحة حريمهم واموالهم وترتب على هذا سؤال آخر وهو انه
هل يجوز ان يشرع الله سبحانه لعباده التقرب اليه بالشفعاء والوسائط فيكون تحريم هذا
انما استفيد من الشرع ام ذلك قبيح في الفطر والعقول يمتنع ان تأتي به شريعة بل
جاءت بتقرير ما في الفطر والعقول من قبحه الذي هو اقبح من كل قبيح وما

بين

السبب في كونه لا يغفره من دون سائر الذنوب كما قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك
به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فتأمل هذا السؤال واجمع قلبك وذهنك على جوابه
ولا تستهونه فان به يحصل الفرق بين المشركين والموحدين والعالمين بالله والجاهلين
واهل الجنة واهل النار فنقول وبالله التوفيق والتأييد ومنه نستمد المعونة والتسديد
فانه من يهدي الله فهو المهتد ومن يضلل فلا هادي له ولا مانع لما اعطى ولا معطي لما

منع الشرک شرکان شرک یتعلق بذات المعبود واسمائہ وصفاتہ وافعالہ وشرک فی عبادتہ ومعاملتہ وان کان صاحبہ یعتقد انہ سبحانہ لا شریک لہ فی ذاتہ ولا فی صفاتہ ولا فی افعالہ والشرک الاول نوعان احدہما شرک التعطیل وہو اقبح انواع الشرک کشرک فرعون اذ قال وما رب العالمین وقال تعالیٰ مخبرا عنہ انہ قال وقال فرعون یا ھامان ابن لی صرحا لعلی اطلع الی الٰہ موسیٰ وانی لاظنہ کاذبا فالشرک والتعطیل متلازمان فکل مشرک معطل وکل معطل مشرک لکن الشرک لا یستلزم اصل التعطیل بل قد یکون المشرک مقرا بالخالق سبحانہ وصفاتہ ولکن عطل حق التوحید واصل الشرک وقاعدتہ التی ترجع الیہا ہو التعطیل وہو ثلثۃ اقسام تعطیل المصنوع عن صانعہ وخالقہ وتعطیل الصانع سبحانہ عن کمالہ المقدس بتعطیل اسمائہ وصفاتہ وافعالہ وتعطیل معاملتہ عما یجب علی العبد من حقیقۃ التوحید ومن ھذا شرک طائفۃ اہل وحدۃ الوجود الذین یقولون ما ثم خالق ومخلوق ولا ھھنا شیئان بل الحق المنزہ ہو عین الخلق المشبہ ومنہ شرک الملاحدۃ القائلین بقدم العالم وابدیتہ وانہ لم یکن معدوما اصلا بل لم یزل ولا یزال والحوادث باسرہا مستندۃ عندہم الی اسباب ووسائط اقتضت ایجادہا یسمونہا العقول والنفوس ومن ھذا شرک من عطل اسماء الرب تعالیٰ واوصافہ وافعالہ من غلاۃ الجہمیۃ [illegible] قرامطۃ فلم یثبتوا لہ اسما ولا صفۃ بل جعلوا المخلوق اکمل منہ اذ کمال الذات باسمائہا وصفاتہا۔

فصل

النوع الثانی شرک من جعل معہ الٰہا آخر ولم یعطل اسماءہ وربوبیتہ وصفاتہ کشرک النصاریٰ الذی جعلوہ ثالث ثلثۃ فجعلوا المسیح الٰہا وامہ الٰہا ومن ھذا شرک المجوس القائلین باسناد حوادث الخیر الی النور وحوادث الشر الی الظلمۃ ومن ھذا شرک القدریۃ القائلین بان الحیوان ہو الذی یخلق افعال نفسہ وانہا تحدث بدون مشیئۃ اللہ وقدرتہ وارادتہ ولہذا کانوا من اشباہ المجوس ومن ھذا شرک الذی حاج ابراہیم فی ربہ اذ قال ابراہیم ربی الذی یحیی ویمیت قال انا احیی وامیت فھذا اجعل نفسہ ندا للہ یحیی ویمیت بزعمہ کما یحیی اللہ ویمیت فالزمہ ابراہیم علیہ السلام ورحمۃ اللہ وبرکاتہ ان طرد قولک ان

تقدر على الاتيان بالشمس من غير الجهة التي يأتي الله بها منها وليس هذا انتقالا كما زعم بعض اهل الجدل بل الزاما على طرد الدليل ان كان حقا ومن هذا شرك كثير ممن يشرك بالكواكب العلويات ويجعلها اربابا مدبرة لامر هذا العالم كما هو مذهب مشركي الصابئة وغيرهم ومن هذا شرك عباد الشمس وعباد النار وغيرهم ومن هؤلاء من يزعم ان معبوده هو الاله على الحقيقة ومنهم من يزعم انه اكبر الآلهة ومنهم من يزعم انه اله من جملة الآلهة وانه اذا خصه بعبادته والتبتل اليه والانقطاع اليه اقبل عليه واعتنى به ومنهم من يزعم ان معبوده الادنى يقربه الى المعبود الذي هو فوقه والفوقاني يقربه الى من هو فوقه حتى تقربه تلك الآلهة الى الله سبحانه فتارة تكثر الوسائط وتارة تقل *

فصل

واما الشرك في العبادة فهو اسهل من هذا الشرك واخف امرا فانه يصدر ممن يعتقد انه لا اله الا الله وانه لا يضر ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع الا الله وانه لا اله غيره ولا رب سواه ولكن لا يخلص لله في معاملته وعبوديته بل يعمل لحظ نفسه تارة ولطلب الدنيا تارة ولطلب الرفعة والمنزلة والجاه عند الخلق تارة فلله من عمله وسعيه نصيب ولنفسه وحظه وهواه نصيب وللشيطان نصيب وللخلق نصيب هذا حال اكثر الناس وهو الشرك الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن حبان في صحيحه الشرك في هذه الامة اخفى من دبيب النمل قالوا وكيف ننجو منه يا رسول الله قال قل اللهم اني اعوذ بك ان اشرك بك وانا اعلم واستغفرك لما لا اعلم فالرياء كله شرك قال تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا اي كما انه اله واحد لا اله سواه فكذلك ينبغي ان تكون العبادة له وحده فكما تفرد بالالهية يجب ان يفرد بالعبودية فالعمل الصالح هو الخالي من الرياء المقيد بالسنة وكان من دعاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه اللهم اجعل عملي كله صالحا واجعله لوجهك خالصا ولا تجعل لاحد فيه شيئا وهذا الشرك في العبادة يبطل ثواب العمل وقد يعاقب عليه اذا كان العمل واجبا فانه ينزله منزلة من لم يعمله فيعاقب على ترك الامر فان الله سبحانه

انما امر بعبادته خالصة قال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء فمن لم يخلص لله في عبادته لم يفعل ما امر به بل الذي اتى به شيء غير المامور به فلا يصح ولا يقبل منه ويقول الله تعالى انا اغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا اشرك معي فيه غيري فهو للذي اشرك به وانا منه بريء وهذا الشرك ينقسم الى مغفور وغير مغفور واكبر واصغر والنوع الاول ينقسم الى كبير واكبر وليس شيء منه مغفور فمنه الشرك بالله في المحبة والتعظيم بان يحب مخلوقا كما يحب الله فهذا من الشرك الذي لا يغفره الله وهو الشرك الذي قال سبحانه فيه ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا الآية وقال اصحاب هذا الشرك لآلهتهم وقد جمعتهم الجحيم تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين ومعلوم انهم ما سووهم به سبحانه في الخلق والرزق والاماتة والاحياء والملك والقدرة وانما سووهم به في الحب والتأله والخضوع لهم والتذلل وهذا غاية الجهل والظلم فكيف يسوى من خلق من التراب برب الارباب وكيف يسوى العبيد بمالك الرقاب وكيف يسوى الفقير بالذات الضعيف بالذات العاجز بالذات المحتاج بالذات الذي ليس له من ذاته الا العدم بالغني بالذات القادر بالذات الذي غناه وقدرته وملكه وجوده واحسانه وعلمه ورحمته وكماله المطلق التام من لوازم ذاته فاي ظلم اقبح من هذا واي حكم اشد جورا منه حيث عدل من لا عدل له بخلقه كما قال تعالى الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون فعدل المشرك من خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور بمن لا يملك لنفسه ولا لغيره مثقال ذرة في السموات ولا في الارض فيالك من عدل تضمن اكبر الظلم واقبحه

فصل

ويتبع هذا الشرك به سبحانه في الاقوال والافعال والارادات والنيات فالشرك في الافعال كالسجود لغيره والطواف بغير بيته وحلق الرأس عبودية وخضوعا لغيره وتقبيل الاحجار غير الحجر الاسود الذي هو يمين الله في الارض او تقبيل القبور واستلامها والسجود لها وقد لعن النبي صلى الله عليه وسلم من اتخذ قبور الانبياء والصالحين مساجد يصلي لله فيها فكيف بمن اتخذ القبور اوثانا يعبدها من دون الله وفي الصحيحين عنه انه قال لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وفي الصحيح عنه ان من شرار الناس

من تدركهم الساعة وهم احياء والذين يتخذون القبور مساجد وفي الصحيح ايضا عنه ان من
كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد الا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني انهاكم عن ذلك
وفي مسند الامام احمد رضي الله عنه وصحيح ابن حبان عنه صلى الله عليه وسلم لعن الله
زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج وقال اشتد غضب الله على قوم
اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وقال ان من كان قبلكم اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على
قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور اولئك شرار الخلق عند الله يوم القيمة فهذا حال
من سجد لله في مسجد على قبر فكيف حال من سجد للقبر بنفسه وقد قال النبي صلى الله
عليه وسلم اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد وقد حمى النبي صلى الله عليه وسلم جانب التوحيد
اعظم حماية حتى نهى عن صلوة التطوع لله سبحانه عند طلوع الشمس وعند غروبها لئلا يكون
ذريعة الى التشبه بعباد الشمس الذين يسجدون لها في هاتين الحالتين وسد الذريعة
بان منع الصلوة بعد العصر والصبح لاتصال هذين الوقتين بالوقتين اللذين يسجد
المشركون فيهما للشمس واما السجود لغير الله فقال لا ينبغي لاحد ان يسجد لاحد الا لله ولا
ينبغي في كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم للذي هو في غاية الامتناع شرعا كقوله تعالى وما ينبغي
للرحمن ان يتخذ ولدا وقوله وما علمناه الشعر وما ينبغي له وقوله وما تنزلت به الشياطين
وما ينبغي لهم وقوله عن الملائكة ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء

لسند

فصل

ومن الشرك به سبحانه الشرك به في اللفظ كالحلف بغيره كما رواه احمد وابو داود عنه
صلى الله عليه وسلم انه قال من حلف بغير الله فقد اشرك وصححه الحاكم وابن حبان
ومن ذلك قول القائل للمخلوق ما شاء الله وشئت كما ثبت عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال له رجل ما شاء الله وشئت قال اجعلتني لله ندا قل ما شاء الله وحده
وهذا مع ان الله قد اثبت للعبد مشيئة كقوله لمن شاء منكم ان يستقيم فكيف بمن
يقول انا متوكل على الله وعليك وانا في حسب الله وحسبك وما لي الا الله وانت
وهذا من الله ومنك وهذا من بركات الله وبركاتك والله لي في السماء

وانت لی فی الارض ولیقول واللہ وحیوۃ فلان او یقول نذراً للہ ولفلان او اناتائب للہ ولفلان او ارجوا اللہ وفلاناً
ونحو ذٰلک فوازن بین ہٰذہ الالفاظ وبین قول القائل ما شاء اللہ وشئت ثم انظر
ایہما افحش یتبین لک ان قائلہا اولی بجواب النبی صلی اللہ علیہ وسلم لقائل تلک
الکلمۃ وانہ اذا کان قد جعلہ نداً للہ بہا فہذا قد جعل من لا یدانی رسول اللہ صلی اللہ
علیہ وسلم فی شیء من الاشیاء بل لعلہ ان یکون من اعدائہ نداً لرب العالمین فالسجود
والعبادۃ والتوکل والانابۃ والتقویٰ والخشیۃ والتحسب والتوبۃ والنذر والحلف
والتسبیح والتکبیر والتہلیل والتحمید والاستغفار وحلق الرأس خضوعاً وتعبداً والطواف
بالبیت والدعاء کل ذٰلک محض حق اللہ لا یصلح ولا ینبغی لسواہ من ملک مقرب
ولا نبی مرسل وفی مسند الامام احمد ان رجلا اتی بہ الی النبی صلی اللہ علیہ وسلم قد اذنب
ذنبا فلما وقف بین یدیہ قال اللّٰہم انی اتوب الیک ولا اتوب الیٰ محمد فقال
قد عرف الحق لاہلہ

107

فصل

واما الشرک فی الارادات والنیات فذٰلک البحر الذی لا ساحل لہ وقل من نجوا منہ
فمن اراد بعملہ غیر وجہ اللہ ونوی شیئا غیر التقرب الیہ وطلب الجزاء منہ فقد
اشرک فی نیتہ وارادتہ والاخلاص ان یخلص للہ فی اقوالہ وافعالہ وارادتہ ونیتہ وہٰذہ ھی
الحنیفیۃ ملۃ ابراہیم التی امر اللہ بہا عبادہ کلہم ولا یقبل من احد غیرہا وھی حقیقۃ الاسلام
ومن یبتغ غیر الاسلام دینا فلن یقبل منہ وھو فی الآخرۃ من الخاسرین وھی
ملۃ ابراھیم علیہ السلام التی من رغب عنہا فہو من اسفہ السفہاء

فصل

واذا عرفت ہٰذہ المقدمۃ انفتح لک باب الجواب عن السؤال المذکور فنقول ومن اللہ
وحدہ نستمد الصواب حقیقۃ الشرک ہو التشبہ بالخالق والتشبیہ للمخلوق بہ ہٰذا ہو
التشبیہ فی الحقیقۃ لا اثبات صفات الکمال التی وصف اللہ بہا نفسہ ووصفہ
بہا رسولہ صلی اللہ علیہ وسلم فعکس من نکس اللہ قلبہ واعمیٰ عین بصیرتہ وارکسہ

التشبيه

بلبسه الامر وجعل التوحيد تشبيها والتشبيه تعظيما وطاعة فالمشرك مشبه للمخلوق بالخالق في
خصائص الالٰهية فان من خصائص الالٰهية التفرد بملك الضر والنفع والعطاء والمنع وذٰلك يوجب تعليق الدعاء
والخوف والرجاء والتوكل به وحده فمن علق ذٰلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق وجعل
من لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حيوة ولا نشورا فضلا من غيره تشبيها بمن له
الامر كله فازمة الامور كلها بيديه ومرجعها اليه فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن لا مانع لما اعطى
ولا معطي لما منع بل اذا فتح لعبده باب رحمته لم يمسكها احد وان امسكها عنه لم يرسلها اليه
احد فمن اقبح التشبيه تشبيه هٰذا العاجز الفقير بالذات بالقادر الغني بالذات ومن خصائص
الالٰهية الكمال المطلق من جميع الوجوه الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه وذٰلك يوجب
ان تكون العبادة كلها له وحده والتعظيم والاجلال والخشية والدعاء والرجاء والانابة والتوكل
والاستعانة وغاية الذل مع غاية الحب كل ذٰلك يجب عقلاً وشرعاً وفطرةً ان يكون له
وحده ويمنع عقلاً وشرعاً وفطرةً ان يكون لغيره فمن جعل شيئا من ذٰلك لغيره فقد
شبه ذٰلك الغير بمن لا شبيه له ولا ندله وذٰلك اقبح التشبيه وابطله ولشدة قبحه وتضمنه
غاية الظلم اخبر سبحانه عباده انه لا يغفره مع انه كتب على نفسه الرحمة ومن خصائص الالٰهية
العبودية التي قامت على ساقين لا قوام لها بدونهما غاية الحب مع غاية الذل هٰذا تمام
العبودية وتفاوت منازل الخلق فيها بحسب تفاوتهم في هٰذين الاصلين فمن اعطى حبه
وذله وخضوعه لغير الله فقد شبهه به في خالص حقه وهٰذا من المحال ان تأتي به شريعة
من الشرائع وقبحه مستقر في كل فطرة وعقل ولكن غيرت الشياطين فطر اكثر الخلق وعقولهم
وافسدتها عليهم واحتالتهم عنها ومضى على الفطرة الاولى من سبقت له من الله الحسنى فارسل
اليهم رسله وانزل عليهم كتبه بما يوافق فطرهم وعقولهم فازدادوا بذٰلك نورا على نور يهدي الله
لنوره من يشاء اذا عرف هٰذا فمن خصائص الالٰهية السجود فمن سجد لغيره فقد شبه المخلوق
به ومنها التوكل فمن توكل على غيره فقد شبهه به ومنها التوبة فمن تاب لغيره فقد شبهه به
ومنها الحلف باسمه تعظيماً واجلالاً فمن حلف بغيره فقد شبهه به هٰذا في جانب التشبيه واما
في جانب التشبه به فمن تعاظم وتكبر ودعا الناس الى اطرائه في المدح والتعظيم والخضوع

فضلا

الرحمة

والرجاء وتعليق القلب به خوفا ورجاء والتجاء واستعانة فقد شبهه بالله ونازعه في ربوبيته والٰهيته وهو حقيق بان يهينه غاية الهوان ويذله غاية الذل ويجعله تحت اقدام خلقه وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحدا منهما عذبته واذا كان المصور الذي يصنع الصورة بيده من اشد الناس عذابا يوم القيٰمة لتشبهه بالله في مجرد الصنعة فما الظن بالتشبه بالله في الربوبية والالٰهية كما قال النبي صلى الله عليه وسلم اشد الناس عذابا يوم القيٰمة المصورون يقال لهم احيوا ما خلقتم وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال قال الله عز وجل ومن اظلم ممن ذهب يخلق خلقا كخلقي فليخلقوا ذرة فليخلقوا شعيرة فنبه بالذرة والشعيرة على ما هو اعظم منها واكبر والمقصود ان هذا حال من تشبه به في صنعة صورة فكيف حال من تشبه به في خواص ربوبيته والٰهيته وكذلك من تشبه به في الاسم الذي لا ينبغي الا الله وحده كملك الاملاك وحاكم الحكام ونحوه وقد ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان اخنع الاسماء عند الله رجل تسمى بشاهان شاه ملك الملوك ولا ملك الا الله وفي لفظ اغيظ رجل على الله رجل يسمى بملك الاملاك فهذا مقت الله وغضبه على من تشبه به في الاسم الذي لا ينبغي الا له فهو سبحانه ملك الملوك وحده وهو حاكم الحكام وحده فهو الذي يحكم على الحكام كلهم ويقضي عليهم كلهم لا غيره ✣

فصل

اذا تبين هذا فههنا اصل عظيم يكشف سر المسألة وهو ان اعظم الذنوب عند الله اساءة الظن به فان المسيء به الظن قد ظن به خلاف كماله المقدس فظن به ما يناقض اسمائه وصفاته ولهذا توعد الله سبحانه الظانين به ظن السوء بما لم يتوعد به غيرهم كما قال تعالى عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا وقال تعالى لمن انكر صفة من صفاته وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين وقال تعالى عن خليله ابراهيم انه قال لقومه ماذا تعبدون ائفكا اٰلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين اي فما ظنكم اي يجازيكم به اذا لقيتموه وقد عبدتم غيره وماذا ظننتم به حين عبدتم معه غيره وما ظننتم باسمائه وصفاته وربوبيته من النقص حتى احوجكم ذلك الى عبودية غيره فلو ظننتم به ما هو اهله من انه بكل شيء

تعلق

الصحيحين عن النبي

۱۰۹ البغض

فههنا

ربوبيته

عليم وهو على كل شئ قدير وانه غني عن كل ما سواه وكل ما سواه فقير اليه وانه قائم بالقسط على
خلقه وانه المتفرد بتدبير خلقه لا يشرك فيه غيره والعالم بتفاصيل الامور فلا يخفى عليه خافية
من خلقه والكافي لهم وحده فلا يحتاج الى معين والرحمن بذاته فلا يحتاج في رحمته الى من
يستعطفه وهذا بخلاف الملوك وغيرهم من الرؤساء فانهم يحتاج الى من يعرفهم احوال الرعية
وحوائجهم والى من يعينهم على قضاء حوائجهم والى من يسترحمهم والى من يستعطفهم بالشفاعة
فاحتاجوا الى الوسائط ضرورة لحاجتهم وضعفهم وعجزهم وقصور علمهم فاما القادر على كل شئ
الغني عن كل شئ الرحمن الرحيم الذي وسعت رحمته كل شئ فادخال الوسائط بينه وبين
خلقه نقص بحق ربوبيته والهيته وتوحيده وظن به ظن سوء وهذا يستحيل ان يشرعه لعباده ويمتنع
في العقول والفطر وقبحه مستقر في العقول السليمة فوق كل قبيح يوضح هذا ان العابد
معظم لمعبوده متأله خاضع ذليل له والرب تعالى وحده هو الذي يستحق كمال التعظيم والاجلال
والتأله والتذلل والخضوع وهذا خالص حقه فمن اقبح الظلم ان يعطى حقه لغيره او يشرك
بينه وبينه فيه ولا سيما الذي جعل شريكه في حقه هو عبده ومملوكه كما قال تعالى ضرب لكم
مثلا من انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم الآية اي اذا كان احدكم يأنف
ان يكون مملوكه شريكه في رزقه فكيف تجعلون لي من عبيدي شركاء فيما انا به متفرد وهو
الالهية التي لا تنبغي لغيري ولا تصح لسوائي فمن زعم ذلك فما قدرني حق قدري ولا
عظمني حق عظمتي ولا افردني بما انا متفرد به وحدي دون خلقي فما قدر الله حق قدره
من عبد معه غيره كما قال تعالى يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون
من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له الى قوله لقوي عزيز فما قدر الله حق قدره
من عبد معه غيره من لا يقدر على خلق اضعف حيوان واصغره وان يسلبهم الذباب
شيئا مما عليه لم يقدروا على الاستعاذة منه قال تعالى وما قدروا الله حق قدره والارض
جميعا قبضته يوم القيامة الآية فما قدر من هذا شانه وعظمته حق قدره من اشرك معه في
عبادته من ليس له شئ من ذلك البتة بل هو اعجز شئ واضعفه فما قدر القوي العزيز
حق قدره من اشرك معه الضعيف الذليل وكذلك ما قدره حق قدره من قال انه لم يرسل الى

تنقص السوء

١١٠

شريكه

تعظيمي

خلقه رسولا ولا انزل كتابا بل نسبه الى ما لا يليق به ولا يحسن منه من اهمال خلقه وتضييعهم وتركهم سدى وخلقهم
باطلا عبثا وكذا ما قدره حق قدره من نفى حقائق اسمائه الحسنى وصفاته العلى فنفى سمعه وبصره وارادته
واختياره وعلوه فوق خلقه وكلامه وتكليمه لمن شاء من خلقه بما يريد ونفى عموم قدرته وتعلقها بافعال عباده
من طاعتهم ومعاصيهم فاخرجها عن قدرته ومشيئته وجعلهم يخلقون لانفسهم ما يشاؤن بدون مشيئة الرب
فيكون فى ملكه ما لا يشاء ويشاء ما لا يكون تعالى عن قول اشباه المجوس علوا كبيرا وكذلك ما قدره حق قدره
من قال انه يعاقب عبده على ما لا يفعله عبده ولا له عليه قدرة ولا تاثير له فيه البتة بل هو نفس فعل الرب
جل جلاله فيعاقب عبده على فعله هو سبحانه الذى جبر العبد عليه وجبره على الفعل اعظم من اكراه المخلوق
للمخلوق واذا كان من المستقر فى الفطر والعقول ان السيد لو اكره عبده على فعل او الجاه اليه ثم
عاقبه عليه لكان قبيحا فاعدل العادلين واحكم الحاكمين وارحم الراحمين كيف يجبر العبد على فعل لا يكون للعبد فيه
صنع ولا تاثير ولا هو واقع بارادته ولا فعله البتة ثم يعاقبه عليه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقول هؤلاء شر
من اشباه قول المجوس والطائفتان ما قدروا الله حق قدره وكذلك ما قدره حق قدره من لم يصنه عن نتن
ولا حش ولا مكان يرغب عن ذكره بل جعله فى كل مكان وصانه عن عرشه ان يكون مستويا عليه اليه يصعد
الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وتعرج الملائكة والروح وتنزل من عنده ويدبر الامر من السماء الى الارض
ثم يعرج اليه فصانه عن استوائه على سرير الملك ثم جعله فى كل مكان يانف الانسان بل غيره من الحيوان
ان يكون فيه وما قدر الله حق قدره من نفى حقيقة محبته ورحمته ورافته ورضاه وغضبه ومقته ولا من نفى
حقيقة حكمته التى هى الغايات المحمودة المقصودة بفعله ولا من نفى حقيقة فعله ولم يجعل له فعلا اختياريا يقوم به
بل افعاله مفعولات منفصلة عنه فنفى حقيقة مجيئه واتيانه واستوائه على عرشه وتكليمه موسى من جانب الطور ومجيئه يوم القيمة
لفصل القضاء بين عباده بنفسه الى غير ذلك من افعاله واوصاف كماله التى نفوها وزعموا انهم بنفيها قد قدروه
حق قدره وكذلك لم يقدره حق قدره من جعل له صاحبة وولدا او جعله سبحانه يحل فى جميع مخلوقاته او جعله عين
الوجود وكذلك لم يقدره حق قدره من قال انه رفع اعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم واهل بيته واعلى ذكرهم وجعل
فيهم الملك والخلافة والعز ووضع اولياء رسول الله صلى الله عليه وسلم واهل بيته واهانهم واذلهم وضرب عليهم الذلة اينما ثقفوا
وهذا يتضمن غاية القدح فى جناب الرب تعالى عن قول الرافضة علوا كبيرا وهذا القول مشتق من قول اليهود والنصارى فى رب
العالمين انه ارسل ملكا ظالما فادعى النبوة لنفسه وكذب على الله ومكث زمانا طويلا يكذب على الله كل وقت ويقول قال الله كذا وامر بكذا ونهى عن كذا

جعله
رسله
رسله الذلة كانوا

وينسخ شرائع انبيائه ورسله ويستبيح دماء اتباعهم واموالهم وحريمهم ويقول الله اباح لی ذلك
والرب تعالى يظهره ويؤيده ويعليه ويقربه ويجيب دعواته ويمكنه من يخالفه ويقيم الادلة على صدقه
ولا يعاديه احد الا ظفر به فيصدقه بقوله وفعله وتقريره ويحدث ادلة تصديقه شيئا بعد شیٔ
الى يوم القيمة ومعلوم ان هذا يتضمن اعظم القدح والطعن فی الرب سبحانه وتعالى وعلمه
وحكمته ورحمته وربوبيته تعالى الله عن قول الجاحدين علوا كبيرا فوازن بين قول هؤلاء
وقول اخوانهم من الرافضة تجد القولين كما قال الشاعر ؎ رضيعی لبان ثدی ام تقاسما باسحم داج عوض
لا نتفرق وكذلك لم يقدره حق قدره من قال انه يجوز ان يعذب اولياءه ومن لم يعصه
طرفة عين ويدخلهم دار النعيم وان كل الامرين بالنسبة اليه سواء وانما الخبر المحض جاء عنه بخلاف
ذلك فمنعناه للخبر لا لمخالفة حكمته وعدله وقد انكر سبحانه فی كتابه على من جوز عليه ذلك غاية الانكار
وجعل الحكم به من اسوء الاحكام وكذلك لم يقدره حق قدره من زعم انه لا يحيی الموتى ولا يبعث
من فی القبور ولا يجمع الخلق ليوم يجازی المحسن فيه باحسانه والمسیٔ فيه باساءته ويأخذ
للمظلوم فيه حقه من ظالمه ويكرم المتحملين المشاق فی هذه الدار من اجله وفی مرضاته بافضل
كرامته ويبين لخلقه الذی يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين وكذلك لم
يقدره حق قدره من هان عليه امره فعصاه ونهيه فارتكبه وحقه فضيعه وذكره فاهمله
وغفل قلبه عنه وكان هواه آثر عنده من طلب رضاه وطاعة المخلوق اهم عنده من طاعة الله فلله الفضلة
من قلبه وعلمه وقوله وعمله وماله وسواه المقدم فی ذلك لانه المهم عنده يستخف بنظر الله اليه واطلاعه
عليه وهو فی قبضته وناصيته بيده ويعظم نظر المخلوق اليه واطلاعه عليه بكل قلبه وجوارحه
ويستحيی من الناس ولا يستحيی من الله ويخشى الناس ولا يخشى الله ويعامل الخلق بافضل ما
عنده وما يقدر عليه وان عامل الله عامله باهون ما عنده واحقره وان قام فی خدمة من يحبه من البشر قام بالجد والاجتهاد
وبذل النصيحة وقد افرغ له قلبه وجوارحه وقدمه على كثير من مصالحه حتى اذا قام فی حق ربه ان ساعد القدر قام قياما
لا يرضاه مخلوق من مخلوق مثله وبذل له من ماله ما يستحيی ان يواجه به مخلوقا مثله فهل قدر الله حق قدره من
هذا وصفه وهل قدره حق قدره من شارك بينه وبين عدوه فی محض حقه من الاجلال والتعظيم والطاعة والذل والخضوع
والخوف والرجاء فلو جعل له من اقرب الخلق اليه شريكا فی ذلك لكان ذلك جراءة وتوثبا على محض حقه واستهانة

يعزه خالفه

تخالفا

حكمه

خلقه

١١٢

طاعته

فيستحيی يستحيی

اخفه الله

فرغ

يستحيی

وتشريكا بينه وبين غيره فيما لا ينبغي ولا يصلح الا له سبحانه فكيف وانما اشرك به ابغض الخلق
اليه واهونهم عليه وامقتهم عنده هو عدوه على الحقيقة فانه ما عبد من دون الله الا الشيطان كما قال تعالى
الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وان اعبدوني هذا
صراط مستقيم ولما عبد المشركون الملائكة بزعمهم وقعت عبادتهم للشيطان وهم
يظنون انهم يعبدون الملائكة كما قال تعالى ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة اهؤلاء
اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن
اكثرهم بهم مؤمنون فالشيطان يدعو المشركين الى عبادته ويوهمهم انه ملك وكذلك
عباد الشمس والقمر والكواكب يزعمون انهم يعبدون روحانيات هذه الكواكب
وهي التي تخاطبهم وتقضي لهم الحوائج ولهذا اذا طلعت الشمس قارنها الشيطان
فيسجد لها الكفار فيقع سجودهم له وكذلك عند غروبها وكذلك من عبد المسيح وامه
لم يعبدهما وانما عبد الشيطان فانه يزعم انه يعبد من امره بعبادته وعبادة امه
ورضيها لهم وامرهم بها وهذا هو الشيطان الرجيم لعنة الله عليه لا عبد الله ورسوله
صلى الله عليه وسلم فيدل هذا كله على قوله تعالى الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا
تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وان اعبدوني هذا صراط مستقيم فما عبد احد من بني آدم غير الله كائنا من كان
الا وقعت عبادته للشيطان فيستمتع العابد بالمعبود في حصول اغراضه ويستمتع المعبود
بالعابد في تعظيمه واشراكه مع الله الذي هو غاية رضا الشيطان ولهذا قال تعالى
ويوم نحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس اي من اغوائهم واضلالهم وقال
اولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا قال
النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم فهذه اشارة لطيفة الى
السر الذي لاجله كان الشرك اكبر الكبائر عند الله وانه لا يغفره بغير التوبة منه وانه يوجب
الخلود في النار وانه ليس تحريمه وقبحه بمجرد النهي عنه بل يستحيل على الله سبحانه ان يشرع
لعباده الها غيره كما يستحيل عليه ما يناقض اوصاف كماله ونعوت جلاله وكيف يظن
بالمنفرد بالربوبية والالهية والعظمة والاجلال ان يأذن في مشاركته في ذلك

بينه وبين

۱۱۳

ما

غرضه

العذاب

يناقض

او يرضى به تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا

فصل

فلما كان الشرك اكبر شئ منافاة للامر الذي خلق الله له الخلق وامر لاجله بالامر الذي كان من اكبر الكبائر عند الله وكذلك الكبر وتوابعه كما تقدم فان الله سبحانه خلق الخلق وانزل الكتب لتكون الطاعة له وحده والشرك والكبر ينافيان ذلك ولذلك حرم الله الجنة على اهل الشرك والكبر ولا يدخلها من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر

فصل

ويلي ذلك في الكبر المفسدة القول على الله بلا علم في اسمائه وصفاته وافعاله ووصفه بضد ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم فهذا اشد شئ منافاة ومناقضة لكمال من له الخلق والامر وقدح في نفس الربوبية وخصائص الرب فان صدر ذلك عن علم فهو عناد اقبح من الشرك واعظم اثما عند الله فان المشرك المقر بصفات الرب خير من المعطل الجاحد لصفات كماله كما ان من اقر بالملك للملك ولم يجحد ملكه ولا الصفات التي استحق بها الملك لكن جعل معه شريكا في بعض الامور يقربه اليه خير ممن جحد صفات الملك وما يكون به الملك ملكا هذا امر مستقر في سائر الفطر والعقول فاين القدح في صفات الكمال والجحد لها من عبادة واسطة بين المعبود الحق وبين العابد يتقرب اليه بعبادة تلك الواسطة اعظاما له واجلالا فداء التعطيل هذا الداء العضال الذي لا دواء له ولهذا حكى الله عن امام المعطلة فرعون انه انكر على موسى ما اخبره به من ان ربه فوق السموات فقال يا هامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى واني لاظنه كاذبا واحتج الشيخ ابو الحسن الاشعري في كتبه على المعطلة بهذه الآية وقد ذكرنا لفظه في غير هذا الكتاب وهو كتاب اجتماع الجيوش الاسلامية على حرب المعطلة والجهمية في اثبات العلو والقول على الله بلا علم والشرك متلازمان ولما كانت هذه البدع المضلة جهلا بصفات الله وتكذيبا بما اخبر به عن نفسه واخبر به عنه رسوله صلى الله عليه وسلم عنادا وجهلا كانت من اكبر الكبائر ان قصرت عن الكفر وكانت احب

الى ابليس من كبار الذنوب كما قال بعض السلف البدعة احب الى ابليس من المعصية
لان المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها وقال ابليس لعنه الله اهلكت بنى آدم
بالذنوب واهلكونى بلا آله الا الله والاستغفار فلما رأيت ذلك بثثت فيهم الاهواء فهم
يذنبون ولا يتوبون لانهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ومعلوم ان المذنب انما ضرره على نفسه
وان المبتدع ضرره على النوع وفتنة المبتدع فى اصل الدين وفتنة المذنب فى الشهوة
والمبتدع قد قعد للناس على صراط الله المستقيم يصدهم عنه والمذنب ليس كذلك والمبتدع قادح
فى اوصاف الرب وكماله والمذنب ليس كذلك والمبتدع مناقض لما جاء به الرسول صلى
الله عليه وسلم والعاصى ليس كذلك والمبتدع يقطع على الناس طريق الآخرة والعاصى بطئ السير بسبب ذنوبه

فصل

ثم لما كان الظلم والعدوان منافيان للعدل الذى قامت به السموات والارض وارسل
الله سبحانه رسله صلى الله عليهم وسلم وانزل كتبه ليقوم الناس بالقسط كان اى الظلم من اكبر الكبائر
عند الله وكانت درجته فى العظمة بحسب مفسدته فى نفسه وكان قتل الانسان ولده
الطفل الصغير الذى لا ذنب له وقد جبل الله سبحانه القلوب على محبته ورحمته وعطفها عليه
وخص الوالدين من ذلك بمزية ظاهرة وقتله خشية ان يشاركه فى مطعمه ومشربه وماله من
اقبح الظلم واشده وكذلك قتله ابويه اللذين كانا سبب وجوده وكذلك قتله ذا رحمه
وتتفاوت درجات القتل بحسب قبحه واستحقاق من قتله السعى فى ابقائه ونصيحته
ولهذا كان اشد الناس عذابا يوم القيمة من قتل نبيا او قتله نبى ويليه من قتل اماما عادلا
او عالما يأمر الناس بالقسط ويدعوهم الى الله سبحانه وينصحهم فى دينهم وقد جعل الله سبحانه
جزاء قتل النفس المؤمنة عمدا الخلود فى النار وغضب الجبار ولعنته واعداد العذاب
العظيم له هذا موجب قتل المؤمن عمدا ما لم يمنع منه مانع ولا خلاف ان الاسلام الواقع بعد القتل طوعا
واختيارا مانعا من نفوذ ذلك الجزاء وهل تمنع توبة المسلم منه بعد وقوعه فيه قولان للسلف
والخلف وهما روايتان عن احمد والذين قالوا لا تمنع التوبة من نفوذه رأوا انه حق لآدمى
لم يستوفه فى دار الدنيا وخرج منها بظلامته فلا بد ان يستوفى له فى دار العدل قالوا وما استوفاه

انما ضرره

به

ولده

الطفل

فقتله

ذا

لعنته

وما

الوارث فاما استوفى محض حقه الذي خيره الله بين استيفائه والعفو عنه وما ينفع المقتول من
استيفاء وارثه واي استدراك لظلامته حصل له باستيفاء وارثه وهذا اصح القولين في المسألة ان حق المقتول لا يسقط باستيفاء
الوارث وهما وجهان لاصحاب الشافعي واحمد وغيرهما ورأت طائفة انه يسقط بالتوبة واستيفاء الوارث فان التوبة تهدم ما قبلها والذنب
الذي قد جناه قد اقيم عليه حده قالوا واذا كانت التوبة تمحو اثر الكفر والسحر وهما اعظم اثما من القتل فكيف تقصر عن محو اثر
القتل وقد قبل الله توبة الكفار الذين قتلوا اولياءهم وجعلهم من خيار عباده ودعا الذين احرقوا اولياءه وفتنوهم عن دينهم ودعاهم الى
التوبة وقال تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا وهذا في
حق القاتل وهي تتناول الكفر فما دونه قالوا وكيف يتوب العبد من الذنب ويعاقب عليه بعد
التوبة هذا معلوم انتفاؤه في شرع الله وجزائه قالوا وتوبة هذا المذنب تسليم نفسه ولا
يمكن تسليمها الى المقتول فاقام الشارع وليه مقامه وجعل تسليم
النفس اليه كتسليمها الى المقتول بمنزلة تسليم المال الذي عليه لوارثه فانه يقوم مقام تسليمه للوارث
والتحقيق في المسألة ان القتل يتعلق به ثلثة حقوق حق لله وحق للمظلوم المقتول
وحق للولي فاذا اسلم القاتل نفسه طوعا واختيارا الى الولي ندما على ما فعل وخوفا من الله
وتوبة نصوحا فيسقط حق الله بالتوبة وحق الولي بالاستيفاء او الصلح او العفو وبقي حق المقتول يعوضه
الله عنه يوم القيامة عن عبده التائب المحسن ويصلح بينه وبينه فلا يبطل حق هذا ولا تبطل توبة
هذا واما مسألة المال فقد اختلف فيها فقالت طائفة اذا ادى ما عليه من المال الى
الوارث فقد برئ من عهدته في الآخرة كما برئ منها في الدنيا وقالت طائفة بل
المطالبة لمن ظلمه واخذه باقية عليه يوم القيامة وهو لم يستدرك ظلامته باخذ وارثه له فانه
منعه من انتفاعه به في طول حياته ومات ولم ينتفع به فهذا ظلم لم يستدركه وانما ينتفع به
غيره باداركه وبنوا هذا على انه لو انتقل من واحد الى واحد وتعدد الورثة كانت المطالبة
للجميع لانه حق كان يجب عليه دفعه الى كل واحد منهم عند كونه هو الوارث وهذا قول
طائفة من اصحاب مالك واحمد وفصل شيخنا رحمه الله بين الطائفتين فقال ان تمكن الموروث
من اخذ ماله والمطالبة به فلم يأخذه حتى مات صارت المطالبة به للوارث في الآخرة كما هي
له كذلك في الدنيا وان لم يتمكن من طلبه واخذه بل حال بينه وبينه ظلما وعدوانا فالطلب له

بما
ماهو لا تمحو
اولياءهم
فمنه
التائب وما
للموروث
ثلثة

يسقط
يذهب
باخذه
عن وهذا
باستدراكه على انه لو انه
الموروث

في الآخرة وهذا التفصيل من احسن ما يقال فان المال اذا استهلكه الظالم على الوارث
وتعذر اخذه منه صار بمنزلة عبده الذي قتله قاتل وداره الذي احرقها غيره وطعامه وشرابه
الذي اكله وشربه غيره ومثل هذا انما تلف على الموروث لا على الوارث فحق المطالبة لمن
تلف على ملكه فينبغي ان يقال فاذا كان المال عقارا او ارضا او اعيانا قائمة باقية
بعد الموت فهي ملك للوارث يجب على الغاصب دفعها اليه كل وقت واذا لم تدفع
اليه اعيان ماله استحق المطالبة بها عند الله تعالى كما يستحق المطالبة بها في الدنيا وهذا سؤال
قوي لا مخلص منه الا بان يقال المطالبة لهما جميعا كما لو غصب مالا مشتركا بين جماعة
استحق كل منهم المطالبة بحقه منه وكما لو استولى على وقف مترتب على بطون فابطل حق
البطون كلهم منه كانت المطالبة يوم القيامة لجميعهم ولم يكن لبعضهم اولى بها من بعض والله اعلم

فصل

ولما كانت مفسدة القتل هذه المفسدة قال الله تعالى من اجل ذلك كتبنا على بني
اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا
ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا وقد اشكل فهم هذا على كثير من الناس وقالوا معلوم
ان اثم قاتل مائة اعظم اثما عند الله من اثم قاتل نفس واحدة وانما اتوا من ظنهم ان التشبيه
في مقدار الاثم والعقوبة واللفظ لم يدل على هذا ولا يلزم من تشبيه الشيء بالشيء اخذه بجميع احكامه قد قال تعالى
كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها وقال تعالى كانهم يوم يرون ما يوعدون
لم يلبثوا الا ساعة من نهار وذلك لا يوجب ان لبثهم في الدنيا انما كان هذا المقدار
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى العشاء في جماعة فكانما قام نصف الليل ومن
صلى الفجر في جماعة فكانما قام الليل كله اي مع العشاء كما جاء في لفظ آخر مصرحا به وقوله من صام رمضان ثم اتبعه
ستا من شوال فكانما صام الدهر وقوله صلى الله عليه وسلم من قرأ قل هو الله احد
فكانما قرأ ثلث القرآن ومعلوم ان ثواب فاعل هذه الاشياء لم يبلغ ثواب المشبه به
فيكون قدرهما سواء ولو كان قدر الثواب سواء لم يكن لمصلي الفجر والعشاء في جماعة في
قيام الليل منفعة غير التعب والنصب وما اوتي احد بعد الايمان افضل من الفهم

عن اللہ وعن رسولہ صلی اللہ علیہ وسلم وذلک فضل اللہ یؤتیہ من یشاء فان قیل ففی ای شیء وقع
التشبیہ بین قاتل نفس واحدة وبین قاتل الناس جمیعا قیل فی وجوہ متعددة احدہا ان کل واحد منہما عاص
للہ ورسولہ صلی اللہ علیہ وسلم مخالف لامرہ متعرض لعقوبتہ وکل منہما قد باء بغضب
من اللہ ولعنتہ واستحقاق الخلود فی نار جہنم واعد لہم عذابا عظیما وان تفاوتت درجات
العذاب فلیس اثم من قتل نبیا او اماما عادلا او عالما یامر الناس بالقسط کاثم من قتل
من لامزیة لہ من احاد الناس الثانی انہما سواء فی استحقاق ازہاق النفس الثالث
انہما سواء فی الجرأة علی سفک الدم الحرام فان من قتل نفسا بغیر استحقاق بل
لمجرد الفساد فی الارض والاخذ مالہ فانہ یجتری علی قتل کل من ظفر بہ وامکنہ قتلہ فہو معاد
للنوع الانسانی ومنہا انہ یسمی قاتلا او فاسقا او ظالما او عاصیا بقتلہ
واحدا کما یسمی کذلک بقتلہ الناس جمیعا ومنہا ان اللہ سبحانہ جعل المؤمنین فی
توادہم وتراحمہم وتعاطفہم وتواصلہم کالجسد الواحد اذا اشتکی منہ عضو تداعی لہ سائر الجسد
بالحمی والسہر فاذا اتلف القاتل عضوا من ذلک الجسد فکانما اتلف سائر الجسد والم
جمیع اعضائہ فمن آذی مؤمنا واحدا فقد آذی جمیع المؤمنین وفی اذی جمیع المؤمنین
اذی جمیع الناس کلہم فان اللہ انما یدافع عن الناس بالمؤمنین الذین بینہم فایذاء الحقیر
ایذاء المحقر وقد قال النبی صلی اللہ علیہ وسلم لاتقتل نفس ظلما الا کان علی ابن آدم الاول کفل
منہا لانہ اول من سن القتل ولم یجیٔ الوعید فی اول زان ولا اول سارق ولا اول شارب
مسکر وان کان اول المشرکین قد یکون اولی بذلک من اول قاتل لانہ اول من
سن الشرک ولہذا رای النبی صلی اللہ علیہ وسلم عمرو بن لحی الخزاعی یعذب اعظم
العذاب فی النار لانہ اول من غیر دین ابراہیم علیہ السلام وقد قال تعالی ولاتکونوا
اول کافر بہ ای فیقتدی بکم من بعدکم فیکون اثم کفرہ علیکم وکذلک حکم من سن سنة
سیئة فاتبع علیہا وفی جامع الترمذی عن ابن عباس رضی اللہ عنہما عن النبی صلی اللہ
علیہ وسلم قال یجیٔ المقتول بالقاتل یوم القیمة ناصیتہ وراسہ بیدہ واوداجہ تشخب
دما یقول یارب سل ہذا فیما قتلنی فذکروا لابن عباس التوبة فتلی ہذہ الآیة

درجات
علی
لمجرد
فکانما
النفس
من ومنہا
باعظم

ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها ثم قال ما نسخت هذه الآية ولا بدلت
وأنى له التوبة قال الترمذي هذا حديث حسن وفي صحيح البخاري عن سمرة بن جندب قال أول ما ينتن
من الانسان بطنه فمن استطاع منكم ان لا يأكل الا طيبا فليفعل ومن استطاع ان لا
يحول بينه وبين الجنة ملأ كف من دم اهراقه فليفعل وفي جامع الترمذي عن نافع
قال نظر عبد الله بن عمر يوما الى الكعبة فقال ما اعظمك واعظم حرمتك والمؤمن عند الله
اعظم حرمة منك قال الترمذي هذا حديث حسن وفي صحيح البخاري ايضا عن ابن عمر قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دما
حراما وذكر البخاري ايضا عن ابن عمر قال من ورطات الامور التي لا مخرج لمن اوقع
نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله وفي الصحيحين عن ابي هريرة يرفعه سباب المؤمن فسوق
وقتاله كفر وفيهما ايضا عنه صلى الله عليه وسلم لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وفي صحيح البخاري عنه صلى الله
عليه وسلم من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة اربعين عاما هذه عقوبة قاتل عدو الله اذا كان
معاهدا في عهده وامانه فكيف بعقوبة قاتل عبده المؤمن واذا كانت امرأة قد دخلت
النار في هرة حبستها حتى ماتت جوعا وعطشا فرآها النبي صلى الله عليه وسلم في النار
والهرة تخدشها في وجهها وصدرها فكيف عقوبة من حبس مؤمنا حتى مات بغير جرم
وفي بعض السنن عنه صلى الله عليه وسلم لزوال الدنيا اهون على الله من قتل
مؤمن بغير حق

فصل

ولما كانت مفسدة الزنا من اعظم المفاسد وهي منافية لمصلحة نظام العالم في حفظ الانساب
وحماية الفروج وصيانة المحرمات وتوقي ما يوقع اعظم العداوة والبغضاء بين الناس
من افساد كل منهم امرأة صاحبه وبنته واخته وامه وفي ذلك خراب العالم
كانت تلي مفسدة القتل في الكبر ولهذا قرنها الله سبحانه بها في كتابه ورسوله
صلى الله عليه وسلم في سنته كما تقدم قال الامام احمد ولا اعلم بعد قتل النفس شيئا اعظم
من الزنا وقد اكد سبحانه حرمته بقوله والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون

صحيحه
المسلم
عقوبة
الفساد من
المحرمات

النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون الآية فقرن الزنا بالشرك وقتل النفس
وجعل جزاء ذلك الخلود في النار في العذاب المضاعف المهين مالم يرفع العبد موجب
ذلك بالتوبة والايمان والعمل الصالح وقد قال تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء
سبيلا فاخبر عن فحشه في نفسه وهو القبيح الذي قد تناهى قبحه حتى استقر فحشه في العقول
حتى عند كثير من الحيوانات كما ذكر البخاري في صحيحه عن عمرو بن ميمون الاودي قال
رأيت في الجاهلية قردا زنى بقردة فاجتمع القرود عليهما فرجموهما حتى ماتا ثم اخبر عن
غايته بانه ساء سبيلا فانه سبيل هلكة وبوار وافتقار في الدنيا وسبيل عذاب في الآخرة
وخزي ونكال ولما كان نكاح ازواج الآباء من اقبحه خصه بمزيد ذم فقال انه كان
فاحشة ومقتا وساء سبيلا وعلق سبحانه فلاح العبد على حفظ فرجه منه فلا سبيل له الى الفلاح بدونه فقال قد افلح المؤمنون
الذين هم في صلاتهم خاشعون الى قوله فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون
وهذا يتضمن ثلثة امور من لم يحفظ فرجه لم يكن من المفلحين وانه من الملومين ومن
العادين ففاته الفلاح واستحق اسم العدوان ووقع في اللوم فمقاساة الم الشهوة
ومعاناتها ايسر من بعض ذلك ونظير هذا انه ذم الانسان وانه خلق هلوعا لا يصبر على
شر ولا خير بل اذا مسه الخير منع وبخل واذا مسه الشر جزع الا من استثناه بعد
ذلك من الناجين من خلقه فذكر منهم الذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم
او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون
وامر الله تعالى نبيه ان يأمر المؤمنين بغض ابصارهم وحفظ فروجهم وان يعلمهم انه
مشاهد لاعمالهم مطلع عليها يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ولما كان مبدأ ذلك
من قبل البصر جعل الامر بغضه مقدما على حفظ الفرج فان الحوادث مبدأها
من النظر كما ان معظم النار مبدأها من مستصغر الشرر ثم تكون نظرة ثم تكون خطرة
ثم خطوة ثم خطيئة ولهذا قيل من حفظ هذه الاربعة احرز دينه اللحظات والخطرات
واللفظات والخطوات فينبغي للعبد ان يكون بواب نفسه على هذه الابواب
الاربعة ويلازم الرباط على ثغورها فمنها يدخل عليه العدو فيجوس خلال الديار ويتبر ما

الحيوان

علوا تنبيها

فصل

واكثر ما تدخل المعاصي على العبد من هذه الابواب الاربعة فنذكر في كل واحد منها فصلا يليق به فاما اللحظات فهي رائد الشهوة ورسولها وحفظها اصل حفظ الفرج فمن اطلق نظره اورده موارد الهلاك وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم يا علي لا تتبع النظرة النظرة فانما لك الاولى وليست لك الثانية وفي المسند عنه صلى الله عليه وسلم النظرة سهم مسموم من سهام ابليس فمن غض بصره عن محاسن امرأة اورثه الله في قلبه حلاوة العبادة الى يوم القيامة هذا معنى الحديث وقال غضوا ابصاركم واحفظوا فروجكم وقال اياكم والجلوس على الطرقات قالوا يا رسول الله مجالسنا ما لنا بد منها قال فان كنتم لا بد فاعلين فاعطوا الطريق حقه قالوا وما حقه قال غض البصر وكف الاذى ورد السلام والنظر اصل عامة الحوادث التي تصيب الانسان فان النظرة تولد خطرة ثم تولد الخطرة فكرة ثم تولد الفكرة شهوة ثم تولد الشهوة ارادة ثم تقوى فتصير عزيمة جازمة فيقع الفعل ولا بد ما لم يمنع منه مانع وفي هذا قيل الصبر على غض البصر ايسر من الصبر على الم ما بعده ولهذا قال الشاعر

كل الحوادث مبداها من النظر ✤ ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة بلغت في قلب صاحبها ✤ كمبلغ السهم بين القوس والوتر
والعبد ما دام ذا طرف يقلبه ✤ في اعين العين موقوف على الخطر
يسر مقلته ما ضر مهجته ✤ لا مرحبا بسرور عاد بالضرر

ومن آفاته انه يورث الحسرات والزفرات والحرقات فيرى العبد ما ليس قادرا عليه ولا صابرا عنه وهذا من اعظم العذاب ان ترى ما لا صبر لك عنه ولا عن بعضه ولا قدرة لك عليه قال الشاعر

وكنت متى ارسلت طرفك رائدا ✤ لقلبك يوما اتعبتك المناظر
رأيت الذي لا كله انت قادر ✤ عليه ولا عن بعضه انت صابر

وهذا البيت يحتاج الى شرح ومراده انك ترى ما لا تصبر عن شيء منه ولا تقدر عليه فان قوله لا كله انت قادر عليه نفي لقدرته عن الكل الذي لا ينتفي الا بنفي القدرة عن كل واحد واحد وكم من مرسل لحظاته فما اقلعت الا وهو يتشحط بينهن قتيلا كما قيل

يا ناظرا ما اقلعت لحظاته ✤ حتى تشحط بينهن قتيلا

ولي من ابيات

مل السلامة فاغتدت لحظاته ✤ وقفا على طلل يظن جميلا
ما زال يتبع اثره لحظاته ✤ حتى تشحط بينهن قتيلا

ومن العجب ان لحظة الناظر

الحواشي:
نسخہ: الشهوات بنظره
نسخہ: الآخرة
نسخہ: يلقاه
نسخہ: في
نسخہ: النظر
نسخہ: من
نسخہ: آفات النظر
نسخہ: على بعضه
نسخہ: انت
نسخہ: على شيء منه على الفتى
نسخہ: فرد فرد فمن ارسل
نسخہ: يراه / نسخہ: زفراته

سهم لا یصل الی المنظور الیہ حتی یتبور بکا ناس قلب الناظر ولی من قصیدة ؎
یا رامیا بسهام اللحظ مجتهدا ✤ انت القتیل بما ترمی فلا تصب ✤ و باعث الطرف یرتاد
الشفاء له ✤ احبس رسولک لا یأتیک بالعطب ✤ واعجب من ذلک ان النظرة تجرح
القلب جرحا فیتبعها جرح علی جرح ثم لا یمنعه الم الجراحة من استدعا تکرارها ولی ایضاً
فی هذا المعنی ؎ ما زلت تتبع نظرة فی نظرة ✤ فی اثر کل ملیحة و ملیح ✤ وتظن ذاک دواء
جرحک وهو فی التحقیق تجریح علی تجریح ✤ فذبحت طرفک باللحاظ و بالبکا ✤
فالقلب منک ذبیح ای ذبیح ✤ وقد قیل ان حبس اللحظات الیسر من دوام الحسرات ✤

فصل

واما الخطرات فشانها اصعب فانها مبدأ الخیر والشر ومنها تتولد الارادات والهم والعزائم
فمن راعی خطراته ملک زمام نفسه وقهر هواه ومن غلبته خطراته فهواه و نفسه له اغلب
ومن استهان بالخطرات قادته قهرا الی الهلکات ولا تزال الخطرات تتردد علی القلب
حتی تصیر منی باطلة کسراب بقیعة یحسبه الظمآن ماء حتی اذا جاءه لم یجده شیئا و وجد الله
عنده فوفاه حسابه والله سریع الحساب واحسن الناس همة وادنعهم نفسا من رضی من الحقائق بالامانی الکاذبة
واستجلبها لنفسه وتحلی بها هی لعمر الله رؤس من اموال المفلسین ومتاجر الباطلین وهی قوة النفس الفارغة التی قد
قنعت من الوصل بصورة الخیال ومن الحقائق بکواذب الآمال کما قال الشاعر ؎ امانی من سعدی رواء علی الظما ✤ سقتنا
بها سعدی علی ظما بردا ✤ منی ان تکن حقا تکن احسن المنی ✤ والا فقد عشنا بها زمنا رغدا ✤ وهی اضر شیء علی الانسان
وتتولد من العجز والکسل وتولد التفریط والاضاعة والحسرة والندامة والتمنی لما فاته مباشرة الحقیقة بجسمه
تحت صورتها فی قلبه وعانقها وضمها الیه لقنع بوصال صورة وهمیة خالیة صورها
فکره وذلک لا یجدی علیه شیئا وانما مثله مثل الجائع والظمآن یصور فی وهمه
صورة الطعام والشراب وهو یأکل ویشرب والسکون الی ذلک واستجلابه یدل
علی خساسة النفس ووضاعتها وانما شرف النفس و زکاتها وطهارتها وعلوها
بان تنفی عنها کل خطرة لا حقیقة لها ولا ترضی ان یخطرها ببالہ و یانف لنفسه
منها ثم الخطرات بعد اقسام تدور علی اربعة اصول خطرات یستجلب بها العبد منافع

من سهام

اثر

تعلیک

نسخہ قسرا ۱۲۲

نسخہ قوت

المتقدم فی سطر ... المفلسین ... تقدیم بخاتہ

دنياه وخطرات يستدفع بها مضار دنياه وخطرات يستجلب بها مصالح آخرته وخطرات يستدفع بها مضار آخرته فليحصر العبد خطراته وافكاره وهمومه في هذه الاقسام الاربعة فاذا انحصرت له فيها فما امكن اجتماعه منها لم يتركه لغيره واذا تزاحمت عليه الخطرات كتزاحم متعلقاتها قدم الاهم فالاهم الذي يخشى فوته واخر الذي ليس باهم ولا يخاف فوته بقي قسمان آخران احدهما مهم لا يفوت والثاني غير مهم ولكنه يفوت ففي كل منهما ما يدعو الى تقديمه فهنا يقع التردد والحيرة فيه فان قدم الاهم خشي فوات ما دونه وان قدم ما دونه فاته الاشتغال به عن المهم وذلك بان يعرض له امران لا يمكن الجمع بينهما ولا يحصل احدهما الا بتفويت الآخر فهو موضع استعمال العقل والفقه والمعرفة ومن ههنا ارتفع من ارتفع وانجح من انجح وخاب من خاب فاكثر من ترى ممن يعظم عقله ومعرفته يؤثر غير المهم الذي لا يفوت على المهم الذي يفوت ولا تجد احدا يسلم من ذلك ولكن مستقل ومستكثر والتحكيم في هذا الباب للقاعدة الكبرى التي يكون عليها مدار الشرع والقدر واليها يرجع الخلق والامر وهي ايثار اكبر المصلحتين واعلاهما وان فاتت المصلحة التي هي دونها والدخول في ادنى المفسدتين لدفع ما هو اكبر منها فتفوت مصلحة لتحصيل ما هو اكبر منها ويرتكب مفسدة لدفع ما هو اعظم منها فخطرات العاقل وفكره لا يتجاوز ذلك وبذلك جاءت الشرائع ومصالح الدنيا والآخرة لا تقوم الا على ذلك واعلى الفكر واجلها وانفعها ما كان لله والدار الآخرة فما كان لله فهو انواع النوع الاول الفكرة في آياته المنزلة وتعقلها وفهمها وفهم مراده منها ولذلك انزلها الله تعالى لا لمجرد تلاوتها بل التلاوة وسيلة قال بعض السلف انزل القرآن ليعمل به فاتخذوا تلاوته عملا الثاني الفكرة في آياته المشهودة والاعتبار بها والاستدلال بها على اسمائه وصفاته وحكمته واحسانه وبره وجوده وقد حث الله سبحانه عباده على التفكر في آياته وتدبرها وتعقلها وذم الغافل عن ذلك الثالث الفكرة في آلائه واحسانه وانعامه على خلقه باصناف النعم وسعة مغفرته ورحمته وحلمه وهذه الانواع الثلاثة تستخرج من القلب معرفة الله ومحبته وخوفه ورجاءه ودوام

المهم

فهذا

١٣٣

ليحصل

احدها

خص
نجح
انفعها

الفكرة فی ذٰلک مع الذکر یصبغ القلب فی المعرفة والمحبة صبغة تامة الرابع الفكرة فی عیوب النفس وآفاتها وفی عیوب العمل وهٰذه الفكرة عظیمة النفع وهٰذا باب لکل خیر وتأثیرها فی کسر النفس الامارة بالسوء ومتی کسرت عاشت النفس المطمئنة وانتعشت وصار الحکم لها فحی القلب ودارت کلمته فی مملکته وبث امراءه وجنوده فی مصالحه الخامس الفكرة فی واجب الوقت ووظیفته وجمع الهم کله علیه فالعارف ابن وقته فان اضاعه ضاعت علیه مصالحه کلها فجمیع المصالح انما تنشأ من الوقت وان ضیعه لم یستدرکه ابدا قال الشافعی رضی اللّٰه عنه صحبت الصوفیة فلم استفد منهم سوی حرفین احدهما قولهم الوقت سیف فان قطعته والا قطعک ونفسک ان اشغلتها بالحق والا اشتغلتک بالباطل فوقت الانسان هو عمره فی الحقیقة وهو مادة حیاته الابدیة فی النعیم المقیم ومادة المعیشة الضنک فی العذاب الالیم وهو یمر اسرع من مر السحاب فما کان من وقته للّٰه وباللّٰه فهو حیاته وعمره وغیر ذٰلک لیس محسوبا من حیاته وان عاش فیه عیش البهائم فاذا قطع وقته فی الغفلة والشهوة والامانی الباطلة وکان خیر ما قطعه بالنوم والبطالة فموت هٰذا خیر له من حیاته واذا کان العبد وهو فی الصلوٰة لیس له من صلاته الا ما عقل منها فلیس له من عمره الا ما کان فیه باللّٰه وله وما عدا هٰذه الاقسام من الخطرات والفكر فاما وساوس شیطانیة واما امانی باطلة وخدع کاذبة بمنزلة خواطر المصابین فی عقولهم من السکاری والمحشوشین والموسوسین ولسان حال هٰؤلاء تقول عند انکشاف الحقائق ؎ ان کان منزلتی فی الحب عندکم ٭ ما قد لقیت فقد ضیعت ایامی ٭ امنیة ظفرت روحی بها زمنا ٭ والیوم احسبها اضغاث احلامی ٭ واعلم ان ورود الخاطر لا یضر وانما یضر استدعاؤه ومحادثته فالخاطر کالمار علی الطریق فان لم تستدعه وترکه مر وانصرف عنک وان استدعیته سحرک بحدیثه وخدعه وغروره وهو اخف شیء علی النفس الفارغة الباطلة واثقل شیء علی القلب والنفس الشریفة السماویة المطمئنة وقد رکب اللّٰه سبحانه فی الانسان نفسان نفسا امارة ونفسا مطمئنة وهما متعادیتان فکلما خف علی هٰذه

حتی ضاع الوقت
لم تقطعه قطعک
وجوہ الآخری

۱۲۴

ان رأیت نفسی تجلی

تقل على ہذه وکلما التفت به ہذه تألمت بہ الاخری فلیس على النفس الامارة اشق
من العمل لله وایثار رضاه على ھواھا ولیس لھا انفع منه وکذا لیس على النفس المطمئنة
اشق من العمل لغیر الله واجابة داعی الھوی ولیس علیھا شیٔ اضر منه والملک مع ہذه
عن یمین القلب والشیطان مع تلک عن میسرة القلب والحروب مستمرة لاتضع اوزارھا
الاان تستوفی اجلھا من الدنیا والباطل کله یتحیز مع الشیطان والامارة والحق کله
یتحیز مع الملک والمطمئنة والحرب دول وسجال والنصر مع الصبر من صبر وصابر ورابط
واتقی الله فله العافیة فی الدنیا والآخرة وقد حکم الله تعالى حکما لایبدل ابدا ان
العاقبة للتقوی والعاقبة للمتقین فالقلب لوح فارغ والخواطر نقوش تنقش فیه
فکیف یلیق بالعاقل ان یکون نقوش لوحه مابین کذب وغرور وخدع وامانی
باطلة وسراب لاحقیقة له فای حکمة وعلم وھدی ینتقش مع ھذه النقوش واذا
اراد ان ینقش ذالک فی لوح قلبه کان بمنزلة کتابة العلم النافع فی محل مشغول
بکتابة مالامنفعة فیه فان لم یفرغ القلب من الخواطر الردیة لم یستقر فیه الخواطر
النافعة فانھا لاتستقر الافی محل فارغ کما قیل ؎ اتانی ھواھا قبل ان اعرف الھوی
فصادف قلبا فارغا فتمکنا ٭ ولھذا کثیر من ارباب السلوک بنوا سلوکھم على حفظ الخواطر
وان لایمکنوا خاطرا یدخل قلوبھم حتی تصیر القلوب فارغة قابلة للکشف وظھور حقائق
العلویات فیھا وھؤلاء حفظوا شیئا وغابت عنھم اشیاء فانھم اخلوا القلوب من ان
یطرقھا خاطر فبقیت فارغة لاشیٔ فیھا فصادفھا الشیطان خالیة فبذر فیھا الباطل
فی قوالب وھمھم انھا اعلى الاشیاء واشرفھا وعوضھم بھا عن الخواطر التی ہی مادة العلم
والھدی واذا خلی القلب عن ھذه الخواطر جاء الشیطان فوجد المحل خالیا فشغله بما
یناسب حال صاحبه حیث لم یستطع ان یشغله بالخواطر السفلیة فکیف بالعلویة
فشغله بارادة التجرید والفراغ من الارادة التی لاصلاح للعبد ولافلاح الابان تکون
ھی المستولیة على قلبه وھی ارادة مراد الله الدینی الامری الذی یحبه ویرضاه وشغل
القلب واھتمامه بمعرفته على التفصیل به والقیام به وتنفیذه فی الخلق والتطرق الی

الثدت
یمنة یسرة
خالیا ابتار

ذلک والتوصل الیہ بالدخول فی الخلق لتنقیذہ فیر طلہم الشیطان عن ذلک بان
دعاہم الی ترکہ وتعطیلہ من باب الزہد فی خواطر الدنیا و اسبابہا واوہمہم ان لکمالہم
فی ذلک التجرید والفراغ وھیہات ھیہات انما الکمال فی امتلاء القلب والسر
من الخواطر والارادات والفکر فی تحصیل مرضی الرب تعالی من العبد ومن الناس والفکر
فی طرق ذلک والتوصل الیہ فاکمل الناس اکثرہم خواطر وفکرا وارادات لذلک کما ان انقص الناس
اکثرہم خواطر وفکرا وارادات لحظوظہ وہواہ این کانت واللہ المستعان وھذا عمر بن
الخطاب رضی اللہ عنہ کانت تزاحم علیہ الخواطر فی مرضات الرب تعالیٰ فربما استعملہا
فی صلاتہ فکان یجہز جیشہ وہو فی صلاتہ فیکون قد جمع بین الصلوۃ والجہاد وھذا من
باب تداخل العبادات فی العبادۃ الواحدۃ وہو من باب عزیز شریف لا یعرفہ
الا صادق حاذق الطلب متضلع من العلم عالی الہمۃ بحیث یدخل فی عبادۃ یظفر فیہا بعبادا
شتی وذلک فضل اللہ یؤتیہ من یشاء۔

فصل

واما اللفظات فحفظہا بان لا یخرج لفظۃ ضائعۃ بل لا یتکلم الا فیما یرجو فیہ الربح والزیادۃ
فی دینہ فاذا اراد ان یتکلم بالکلمۃ نظر ھل فیہا ربح او فائدۃ ام لا فان لم یکن فیہا ربح
امسک عنہا وان کان فیہا ربح نظر ھل تفوتہ بہا کلمۃ ھی اربح منہا فلا یضیعہا بہذہ
واذا اردت ان تستدل علی ما فی القلب فاستدل علیہ بحرکۃ اللسان فانہ
یطلعک علی ما فی القلب شاء صاحبہ ام ابی قال یحیی بن معاذ القلوب کالقدور
تغلی بما فیہا والسنتہا مغارفہا فانظر الرجل حین یتکلم فان لسانہ یغترف لک مما فی
قلبہ حلو وحامض وعذب واجاج وغیر ذلک ویبین لک طعم قلبہ اغتراف لسانہ
ای کما تطعم بلسانک طعم ما فی القدور من الطعام فتدرک العلم بحقیقتہ کذلک تطعم ما
فی قلب الرجل من لسانہ فتذوق ما فی قلبہ من لسانہ کما تذوق ما فی القدر بلسانک وفی حدیث انس المرفوع
لا یستقیم ایمان عبد حتی یستقیم قلبہ ولا یستقیم قلبہ حتی یستقیم لسانہ وسئل النبی
صلے اللہ علیہ وسلم عن اکثر ما یدخل الناس النار فقال الفم والفرج قال الترمذی حدیث

اکثرہم
اکثرہم
مرضی
عسکرہ الصلوۃ نسخہ
یدخل نسخہ

واحدۃ

حسن صحیح وقد سأل معاذ النبی صلی اللہ علیہ وسلم عن العمل الذی یدخلہ الجنۃ ویباعدہ
من النار فاخبرہ صلی اللہ علیہ وسلم برأسہ وعمودہ وذروۃ سنامہ ثم قال الا اخبرکم
بملاک ذلک کلہ قال بلی یا رسول اللہ فاخذ بلسان نفسہ ثم قال کف علیک
ھذا فقال وانا لمواخذون بما نتکلم بہ فقال ثکلتک امک یا معاذ وھل یکب الناس
فی النار علی وجوھھم او علی مناخرھم الا حصائد السنتھم قال الترمذی حدیث حسن صحیح
ومن العجب ان الانسان یھون علیہ التحفظ والاحتراز من اکل الحرام والظلم والزنا
والسرقۃ وشرب الخمر ومن النظر المحرم وغیر ذلک ویصعب علیہ التحفظ من حرکۃ السانہ
حتی یری الرجل یشار الیہ بالدین والزھد والعبادۃ وھو یتکلم بالکلمۃ من سخط اللہ لا یلقی
لھا بالا یزل بالکلمۃ الواحدۃ منھا ابعد مما بین المشرق والمغرب وکم تری من رجل
متورع عن الفواحش والظلم ولسانہ تغری فی اعراض الاحیاء والاموات ولا یبالی
ما یقول واذا اردت ان تعرف ذلک فانظر الی ما رواہ مسلم فی صحیحہ من حدیث
جندب بن عبد اللہ قال قال رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم قال رجل واللہ لا یغفر
اللہ لفلان فقال اللہ عزوجل من ذا الذی یتالی علی انی لا اغفر لفلان قد غفرت لہ
واحبطت عملک فھذا العابد الذی قد عبد اللہ ما شاء ان یعبدہ احبطت ھذہ الکلمۃ
الواحدۃ عملہ کلہ وفی حدیث ابی ھریرۃ نحو ذلک ثم قال ابو ھریرۃ تکلم بکلمۃ اوبقت دنیاہ
وآخرتہ وفی الصحیحین من حدیث ابی ھریرۃ عن النبی صلی اللہ علیہ وسلم ان العبد
لیتکلم بالکلمۃ من رضوان اللہ لا یلقی لھا بالا یرفعہ اللہ بھا درجات وان العبد
لیتکلم بالکلمۃ من سخط اللہ لا یلقی لھا بالا یھوی بھا فی نار جھنم وعند مسلم ان العبد
لیتکلم بالکلمۃ ما یتبین ما فیھا یزل بھا فی النار ابعد مما بین المغرب والمشرق وعند الترمذی
عن النبی صلی اللہ علیہ وسلم من حدیث بلال بن الحارث المزنی ان احدکم لیتکلم
بالکلمۃ من رضوان اللہ ما یظن ان تبلغ ما بلغت فیکتب اللہ لہ بھا رضوانہ الی یوم
یلقاہ وان احدکم لیتکلم بالکلمۃ من سخط اللہ ما یظن ان تبلغ ما بلغت فیکتب اللہ لہ
بھا سخطہ الی یوم یلقاہ فکان علقمۃ یقول کم من کلام قد منعنیہ حدیث بلال بن الحارث

نسخہ: بالکلمات
نسخہ: بالا

نسخہ: بالا
نسخہ: بالا
نسخہ: یھوی
نسخہ: حدیث

وفی جامع الترمذی ایضا من حدیث انس قال توفی رجل من الصحابة فقال رجل ابشر بالجنة
فقال رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم اولا تدری لعله تکلم فیما لا یعنیه او بخل بما لا ینقصه قال
حدیث حسن وفی لفظ ان غلاما استشهد یوم احد فوجد علی بطنه صخرة مربوطة من الجوع
فمسحت امه التراب عن وجهه وقالت هنیئا لک یا بنی الجنة فقال رسول اللہ صلی اللہ
علیه وسلم وما یدریک لعله کان یتکلم فیما لا یعنیه ویمنع ما لا یضره وفی الصحیحین من حدیث
ابی هریرة یرفعه من کان یؤمن باللہ والیوم الآخر فلیقل خیرا او لیصمت وفی لفظ لمسلم
من کان یؤمن باللہ والیوم الآخر فاذا شهد امرا فلیتکلم بخیر او لیسکت وذکر الترمذی باسناد
صحیح عنه صلی اللہ علیه وسلم من حسن اسلام المرء ترکه ما لا یعنیه وعن سفیان بن عبد اللہ
الثقفی قال قلت یا رسول اللہ قل لی فی الاسلام قولا لا اسأل عنه احدا بعدک قال
قل آمنت باللہ ثم استقم قال قلت یا رسول اللہ ما اخوف ما تخاف علی فاخذ بلسان
نفسه ثم قال هذا حدیث صحیح وعن ام حبیبة زوج النبی صلی اللہ علیه وسلم عن النبی صلی اللہ علیه وسلم قال کل کلام
ابن آدم علیه لا له الا امر بمعروف او نهی عن منکر او ذکر اللہ عز وجل قال الترمذی حدیث
حسن وفی حدیث آخر اذا اصبح العبد فان الاعضاء کلها تکفر اللسان تقول اتق اللہ
فانما نحن بک فاذا استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا وقد کان بعض السلف
یحاسب احدهم نفسه فی قوله یوم حار ویوم بارد ولقد رؤی بعض الاکابر من اهل العلم فی النوم
بعد موته فسئل عن حاله فقال انا موقوف علی کلمة قلتها قلت ما احوج الناس الی
غیث فقیل لی وما یدریک انا اعلم بمصلحة عبادی وقال بعض الصحابة لجاریة له یوما هاتی
لی السفرة نعبث بها ثم قال استغفر اللہ ما اتکلم بکلمة الا وانا اخطمها وازمها الا هذه الکلمة خرجت
منی بغیر خطام ولا زمام او کما قال وایسر حرکات الجوارح حرکة اللسان وهی اضرها
علی العبد واختلف السلف والخلف هل یکتب جمیع ما یلفظ به او الخیر والشر فقط علی قولین
اظهرهما الاول وقال بعض السلف کل کلام ابن آدم علیه لا له الا ما کان من ذکر اللہ
وما والاه وکان الصدیق رضی اللہ عنه یمسک بلسانه ویقول هذا اوردنی الموارد والکلام
اسیرک فاذا خرج من فیک صرت اسیره واللہ عند لسان کل قائل وما یلفظ من

فلعله

من

فلیقل خیرا

۱۳۸

ثانی

لجاریته

لسانه

قوله الا لديه رقيب عتيد وفي اللسان آفتان عظيمتان ان خلص العبد من احديهما
لم يخلص من الاخرى آفة الكلام وآفة السكوت وقد يكون كل منهما اعظم اثما من الاخرى
في وقتها فالساكت عن الحق شيطان اخرس عاص لله مراء مداهن اذا لم يخف على
نفسه والمتكلم بالباطل شيطان ناطق عاص لله واكثر الخلق منحرف في كلامه وسكوته فهم
بين هذين النوعين واهل الوسط وهم اهل الصراط المستقيم كفوا السنتهم عن الباطل
واطلقوها فيما يعود عليهم نفعه في الآخرة فلا يرى احدهم انه يتكلم بكلمة تذهب عليه ضائعة
بلا منفعة فضلا ان تضره في آخرته وان العبد ليأتي يوم القيمة بحسنات امثال الجبال
فيجد لسانه قد هدمها عليه كلها ويأتي بسيئات امثال الجبال فيجد لسانه قد هدمها من كثرة ذكر
الله عز وجل وما اتصل به

كامثال

فصل

واما الخطوات فحفظها بان لا ينقل قدمه الا فيما يرجو ثوابه عند الله تعالى فان لم يكن
في خطاه مزيد ثواب فالقعود عنها خير له ويمكنه ان يستخرج من كل مباح يخطو اليه
قربة يتقرب بها وينويها لله فيقع خطاه قربة وتنقلب عاداته عبادة ومباحاته طاعات ولما كانت العثرة
عثرتين عثرة الرجل وعثرة اللسان جاءت احديهما قرينة الاخرى في قوله تعالى وعباد
الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما فوصفهم بالاستقامة
في لفظاتهم وخطواتهم كما جمع بين اللحظات والخطرات في قوله تعالى يعلم خائنة الاعين
وما تخفي الصدور

فصل

وهذا كله ذكرناه مقدمة بين يدي تحريم الفواحش ووجوب حفظ الفرج وقد قال صلى
الله عليه وسلم اكثر ما يدخل الناس النار الفم والفرج وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه
وسلم لا يحل دم امرء مسلم الا باحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك
لدينه المفارق للجماعة وهذا الحديث في اقتران الزنا بالكفر وقتل النفس نظير الآية التي في
الفرقان ونظير حديث ابن مسعود وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاكثر وقوعا ثم بالذي يليه فالزنا اكثر وقوعا

بالشرك
القرآن

من قتل النفس وقتل النفس اكثر وقوعا من الردة نعوذ بالله منها وايضا فانه انتقال
من الاكبر الى ما هو اكبر منه مفسدة ومفسدة الزنا مناقضة لصلاح العالم فان المرأة اذا
زنت ادخلت العار على اهلها وزوجها واقاربها ونكست رؤسهم بين الناس وان
حملت من الزنا فان قتلت ولدها جمعت بين الزنا والقتل وان حملته الزوج
ادخلت على اهلها واهله اجنبيا ليس منهم فورثهم وليس منهم ورآهم وخلا بهم وانتسب
اليهم وليس منهم الى غير ذلك من مفاسد زناها واما زنا الرجل فانه يوجب اختلاط
الانساب ايضا وافساد المرأة المصونة وتعريضها للتلف والفساد ففي هذه الكبيرة خراب
الدنيا والدين وان عمرت القبور في البرزخ والنار في الآخرة فكم في الزنا من استحلال
محرمات وفوات حقوق ووقوع مظالم ومن خاصيته انه يوجب الفقر ويقصر العمر
ويكسو صاحبه سواد الوجه وثوب المقت بين الناس ومن خاصيته ايضا انه يشتت
القلب ويمرضه ان لم يمته ويجلب الهم والحزن والخوف ويباعد صاحبه من الملك
ويقربه من الشيطان فليس بعد مفسدة القتل اعظم من مفسدته ولهذا شرع فيه
القتل على اشنع الوجوه وافحشها واصعبها ولو بلغ العبد ان امرأته او حرمته قتلت كان
اسهل عليه من ان يبلغه انها زنت وقال سعد بن عبادة رضي الله عنه لو رأيت
رجلا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اتعجبون من غيرة سعد والله لانا اغير منه والله اغير مني ومن اجل غيرة الله
حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن متفق عليه وفي الصحيحين ايضا عنه صلى الله
عليه وسلم ان الله يغار وان المؤمن يغار وغيرة الله ان يأتي العبد ما حرم عليه
وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم لا احد اغير من الله من اجل ذلك حرم الفواحش
ما ظهر منها وما بطن ولا احد احب اليه العذر من الله من اجل ذلك ارسل الرسل
مبشرين ومنذرين ولا احد احب اليه المدح من الله من اجل ذلك اثنى على
نفسه وفي الصحيحين في خطبته صلى الله عليه وسلم في صلوة الكسوف انه قال يا امة محمد
والله انه لا احد اغير من الله ان يزني عبده او تزني امته يا امة محمد والله لو تعلمون ما اعلم

يقرب منه

لأجل المرسلين

لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ثم رفع يديه فقال اللهم هل بلغت وفي ذكر هذه الكبيرة بخصوصها
عقيب صلوة الكسوف سر بديع لمن تامله وظهور الزنا من امارات خراب العالم وهو
من اشراط الساعة كما في الصحيحين عن انس بن مالك انه قال لاحدثكم حديثا لايحدثكموه
احد بعدي سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم يقول من اشراط الساعة ان يرفع
العلم ويظهر الجهل ويشرب الخمر ويظهر الزنا ويقل الرجال ويكثر النساء حتى يكون لخمسين
امرأة القيم الواحد وقد جرت سنة الله سبحانه في خلقه انه عند ظهور الزنا يغضب الله سبحانه وتعالى
ويشتد غضبه فلابد ان يؤثر غضبه في الارض عقوبة قال عبد الله بن مسعود ما ظهر الربوا
والزنا في قرية الا اذن الله باهلاكها ورأى بعض احبار بني اسرائيل ابنا له يغامز امرأة
فقال مهلا يا بني فصرع الاب عن سريره فانقطع نخاعه واسقطت امرأته وقيل له
هكذا غضبك لي لايكون في جنسك خير ابدا وخص سبحانه حد الزنا من بين سائر الحدود
بثلث خصائص احدها القتل فيه على اشنع القتلات وحيث خففه فجمع فيه بين العقوبة
على البدن بالجلد وعلى القلب بتغريبه عن وطنه سنة الثاني انه نهى عباده ان تأخذهم
بالزناة رأفة في دينه بحيث تمنعهم من اقامة الحد عليهم فانه سبحانه من رأفته بهم ورحمته
بهم شرع هذه العقوبة فهو ارحم بكم منكم بهم ولم تمنعه رحمته من امره بهذه العقوبة فلا يمنعكم انتم
ما يقوم بقلوبكم من الرأفة من اقامة امره وهذا وان كان عاما في سائر الحدود ولكن ذكر
في حد الزنا خاصة لشدة الحاجة الى ذكره فان الناس لايجدون في قلوبهم من الغلظة والقسوة
على الزاني ما يجدونه على السارق والقاذف وشارب الخمر فقلوبهم ترحم الزاني اكثر
مما ترحم غيره من ارباب الجرائم والوقائع والواقع شاهد بذلك فنهوا ان تأخذهم هذه الرأفة
وتحملهم على تعطيل حد الله عز وجل وسبب هذه الرحمة ان هذا ذنب يقع من الاشراف
والاوساط والاراذل وفي النفوس اقوى الدواعي اليه والمشارك فيه كثير واكثر اسبابه
العشق والقلوب مجبولة على رحمة العاشق وكثير من الناس يعد مساعدته طاعة وقربة
وان كانت الصورة المعشوقة محرمة عليه ولا يستنكر هذا الامر فانه مستقر عند ما شاء الله
من اشباه الانعام ولقد حكى لنا من ذلك شئ كثير اكثره عن ناقصي العقول والاديان

وقال
غضبت باشنع

حدود هذه
الارذال
فهو

كالخدام ولا

كالخدم والنساء وايضا فان هذا ذنب غالب ما يقع مع التراضي من الجانبين فلا
يقع فيه من العدوان والظلم والاغتصاب ما تنفر النفوس منه وفيها شهوة غالبة له فتصور
ذلک لنفسها فتقوم بها رحمة تمنع اقامة الحد وهذا كله من ضعف الايمان وكمال الايمان
ان تقوم به قوة يقيم بها امر الله ورحمة يرحم بها المحدود فيكون موافقا لربه سبحانه في
امره ورحمته الثالث انه سبحانه امر ان يكون حدهما بمشهد من المؤمنين فلا يكون في خلوة
حيث لا يراهما احد وذلک ابلغ في مصلحة الحد وحكمة الزجر وحد الزاني المحصن مشتق من عقوبة
الله تعالى لقوم لوط بالقذف بالحجارة وذلک لاشتراک الزنا واللواط في الفحش وفي
كل منهما فساد يناقض حكمة الله في خلقه وامره فان في اللواط من المفاسد ما يفوت الحصر
والتعداد ولان يقتل المفعول به خير له من ان يؤتى فانه يفسد فسادا لا يرجى له بعده صلاح
ابدا ويذهب خيره كله وتمص الارض ماء الحياء من وجهه فلا يستحيي بعد ذلک لا من الله
ولا من خلقه وتعمل في قلبه وروحه نطفة الفاعل ما يعمل السم في البدن وقد اختلف الناس
هل يدخل الجنة مفعول به على قولين سمعت شيخ الاسلام رحمه الله يحكيهما والذين قالوا
لا يدخل الجنة احتجوا بامور منها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة ولد زنا فاذا
كان هذا حال ولد الزنا مع انه لا ذنب له في ذلک ولكنه مظنة كل شر وخبث وهو جدير
ان لا يجيء منه خير ابدا لانه مخلوق من نطفة خبيثة واذا كان الجسد الذي تربى على الحرام
النار اولى به فكيف بالجسد المخلوق من النطفة الحرام قالوا والمفعول به شر من ولد الزنا
واخزى واخبث اونتح وهو جدير ان لا يوفق للخير وان يحال بينه وبينه وكلما عمل خيرا قيض الله له
ما يفسده عقوبة له وقل ان ترى من كان كذلک في صغره الا وهو في كبره اشر مما كان
ولا يوفق لعمل صالح ولا علم نافع ولا توبة نصوحا والتحقيق في هذه المسألة ان يقال
ان تاب المبتلى بهذا البلاء واناب ورزق توبة نصوحا وعملا صالحا وكان في كبره
خيرا منه في صغره وبدل سيئاته بحسنات وغسل عار ذلک عنه بانواع الطاعات
والقربات وغض بصره وحفظ فرجه عن المحرمات وصدق الله في معاملته فهذا
مغفور له وهو من اهل الجنة فان الله يغفر الذنوب جميعا واذا كانت التوبة تمحو

١٣٢

او تمح

كل ذنب حتى الشرك بالله وقتل انبيائه واوليائه والسحر والكفر وغير ذلك فلا تقصر عن محو هذا الذنب وقد استقرت حكمة الله به عدلا وفضلا ان التائب من الذنب كمن لا ذنب له وقد ضمن الله سبحانه لمن تاب من الشرك وقتل النفس والزنا انه يبدل سيئاته حسنات وهذا حكم عام لكل تائب من كل ذنب وقد قال تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم فلا يخرج من هذا العموم ذنب واحد ولكن هذا في حق التائبين خاصة واما مفعول به كان في كبره شرا مما كان في صغره لم يوفق لتوبة نصوحا ولا لعمل صالح ولا استدرك ما فات ولا احيى ما مات ولا بدل السيئات بالحسنات فهذا بعيد ان يوفق عند الممات لخاتمة يدخل بها الجنة عقوبة له على عمله فان الله سبحانه وتعالى يعاقب على السيئة بسيئة اخرى وتتضاعف عقوبة السيئات بعضها ببعض كما يثيب على الحسنة بحسنة اخرى فقضا الحسنات واذا نظرت الى حال كثير من المحتضرين وجدتهم يحال بينهم وبين حسن الخاتمة عقوبة لهم على اعمالهم السيئة قال الحافظ ابو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الاشبيلي رحمه الله واعلم ان لسوء الخاتمة اعاذنا الله منها اسباب لها طرق وابواب اعظمها الانكباب على الدنيا وطلبها والحرص عليها والاعراض عن الاخرى والاقدام والجرأة على معاصي الله عز وجل وربما غلب على الانسان ضرب من الخطيئة ونوع من المعصية وجانب من الاعراض ونصيب من الجرأة والاقدام فملك قلبه وسبى عقله واطفأ نوره وارسل عليه حجبه فلم تنفع فيه تذكرة ولا نجعت فيه موعظة فربما جاءه الموت على ذلك فسمع النداء من مكان بعيد فلم يتبين له المراد ولا علم ما اراد وان كرر عليه الداعي واعاد قال ويروى ان بعض رجال الناصر نزل به الموت فجعل ابنه يقول له قل لا اله الا الله فقال الناصر مولاي فاعاد عليه القول فقال مثل ذلك ثم اصابته غشية فلما افاق قال الناصر مولاي وكان هذا دأبه كلما قيل له قل لا اله الا الله قال الناصر مولاي ثم قال لابنه يا فلان الناصر انما يعرفك بسيفك والقتل القتل ثم مات على ذلك قال عبد الحق رحمه الله وقيل لآخر ممن اعرفه قل لا اله الا الله فجعل يقول الدار الفلانية

١٣٣

المعاصي

اصلحوا فيها كذا والبستان الفلانى افعلوا فيه كذا قال وفيما اذن لى ابو طاهر السلمى ان حدث
به عنه ان رجلا نزل به الموت فقيل له قل لا اله الا الله فجعل يقول بالفارسية ده يازده
تفسيره عشرة باحدى عشر وقيل لآخر قل لا اله الا الله فجعل يقول ع اين الطريق الى حمام منجاب
قال وهذا الكلام له قصة وذلك ان رجلا كان واقفا بازار داره وكان بابها يشبه باب
هذا الحمام فمرت به جارية لها منظر فقالت اين الطريق الى حمام منجاب فقال
هذا حمام منجاب فدخلت الدار ودخل وراءها فلما رأت نفسها فى داره وعلمت انه قد
خدعها اظهرت له البشر والفرح باجتماعها معه وقالت خدعها منها له وتحيلا لتتخلص مما
اوقعها فيه وخوفا من فعل الفاحشة يصلح ان يكون معنا ما يطيب به عيشنا وتقر به عيوننا
فقال لها الساعة آتيك بكل ما تريدين وتشتهين وخرج وتركها فى الدار ولم يغلقها فاخذ
ما يصلح ورجع فوجدها قد خرجت وذهبت ولم تخنه فى شئ فهام الرجل واكثر الذكر لها
وجعل يمشى فى الطرق والازقة ويقول ؎ يا رب قائلة يوما وقد تعبت ٭ اين الطريق
الى حمام منجاب ٭ فبينا هو يوما يقول ذلك واذا بجارية اجابته من طاق قرنان ؎ هلا
جعلت سريعا اذ ظفرت بها ٭ حرزا على الدار او قفلا على الباب ٭ فازداد هيمانه واشتد
هيجانه ولم يزل كذلك حتى كان هذا البيت آخر كلامه من الدنيا قال ويروى ان رجلا
عشق شخصا فاشتد كلفه به وتمكن حبه من قلبه حتى وقع لما به ولزم الفراش بسببه وتمنع
ذلك الشخص عليه واشتد نفاره عنه فلم تزل الوسائط يمشون بينهما حتى وعده بان يعوده
فاخبر بذلك البائس ففرح واشتد سروره وانجلى غمه وجعل ينتظر للميعاد الذى ضربه
له فبينا هو كذلك اذ جاءه الساعى بينهما فقال انه وصل معى الى بعض الطريق ورجع فرغبت
اليه وكلمته فقال انه ذكرنى وبرح بى ولا ادخل مداخل الريب ولا اعرض نفسى لمواقع
التهم فعاودته فابى وانصرف فلما سمع البائس ذلك اسقط فى يده وعاد الى اشد
مما كان به وبدت عليه علائم الموت فجعل يقول فى تلك الحال ؎ اسلم يا راحة العليل ٭
ويا شفاء المدنف النحيل ٭ رضاك اشهى الى فؤادى ٭ من رحمة الخالق الجليل ٭ فقلت
له يا فلان اتق الله قال قد كان فقمت عنه فما جاوزت باب داره حتى سمعت صيحة

شبه
بغده
كيف
١٤٣
حرسا
على ذلك
علق
لمواضع
به

الموت فعياذا بالله من سوء العاقبة وشوم الخاتمة ولقد بكى سفيان الثوري ليلة الى الصباح فلما اصبح قيل له اكل هذا خوفا من الذنوب فاخذ تبنة من الارض وقال الذنوب اهون من هذا وانما ابكي خوفا من الخاتمة وهذا من اعظم الفقه ان يخاف الرجل ان تخذله ذنوبه عند الموت فتحول بينه وبين الخاتمة الحسنى وقد ذكر الامام احمد عن ابي الدرداء انه لما احتضر جعل يغمى عليه ثم يفيق ويقرأ ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون فمن هذا خاف السلف من الذنوب ان تكون حجابا بينهم وبين الخاتمة الحسنى قال واعلم ان سوء الخاتمة اعاذنا الله تعالى منها لا تكون لمن استقام ظاهره وصلح باطنه ما سمع بهذا ولا علم به ولله الحمد وانما تكون لمن له فساد في العقيدة او اصرار على الكبيرة واقدام على العظائم فربما غلب ذلك عليه حتى نزل به الموت قبل التوبة فيأخذه قبل اصلاح الطوية ويصطلم قبل الانابة فيظفر به الشيطان عند تلك الصدمة ويختطفه عند تلك الدهشة والعياذ بالله قال ويروى انه كان بمصر رجل يلزم المسجد للاذان والصلوة فيه وعليه بهاء الطاعة وانوار العبادة فرقى يوما المنارة على عادته للاذان وكان تحت المنارة دار لنصراني فاطلع فيها فرأى ابنة صاحب الدار فافتتن بها فترك الاذان ونزل اليها ودخل الدار عليها فقالت له ما شأنك وما تريد قال اريدك قالت لماذا قال قد سلبت لبي واخذت بجامع قلبي قالت لا اجيبك الى ريبة ابدا قال اتزوجك قالت انت مسلم وانا نصرانية وابي لا يزوجني منك قال لها اتنصر قالت ان فعلت افعل فتنصر الرجل ليتزوجها واقام معهم في الدار فلما كان في اثناء ذلك اليوم رقى الى سطح كان في الدار فسقط منه فمات فلم يظفر بها وفاته دينه ✽

فصل

ولما كانت مفسدة اللواط من اعظم المفاسد كانت عقوبته في الدنيا والآخرة من اعظم العقوبات وقد اختلف الناس هل هو اغلظ عقوبة من الزنا او الزنا اغلظ عقوبة منه او عقوبتهما سواء على ثلثة اقوال فذهب ابو بكر الصديق وعلي بن

نسخة من خوف الخاتمة

تخذله

بالحسنى

الكبائر

ينزل

١٣٥ مسجدا

نا الا الصح

ابی طالب وخالد بن الولید وعبد الله بن الزبیر وعبد الله بن عباس وخالد بن زید
وعبد الله بن معمر والزهری وربیعة بن ابی عبد الرحمن ومالک واسحق بن راهویه والامام
احمد فی اصح الروایتین عنه والشافعی فی احد قولیه الی ان عقوبته اغلظ من عقوبة الزنا
وعقوبته القتل علی کل حال محصنا کان او غیر محصن وذهب عطاء بن ابی رباح
والحسن البصری وسعید بن المسیب وابراهیم النخعی وقتادة والاوزاعی والشافعی فی
ظاهر مذهبه والامام احمد فی الروایة الثانیة عنه وابو یوسف ومحمد الی ان عقوبته عقوبة
الزانی سواء وذهب الحاکم والامام ابو حنیفة الی ان عقوبته دون عقوبة الزانی وهی التعزیر
قالوا لانه معصیة من المعاصی لم یقدر الله ولا رسوله صلی الله علیه وسلم فیه حدا مقدرا
فکان فیه التعزیر کاکل المیتة والدم ولحم الخنزیر قالوا ولانه وطی فی محل لا تشتهیه الطباع
بل رکبها الله تعالی علی النفرة منه حتی الحیوان البهیم فلم یکن فیه حد کوطی الحمار وغیره قالوا
ولانه لا یسمی زانیا لغة ولا شرعا ولا عرفا فلا یدخل فی النصوص من الدلالة علی حد الزانیین
قالوا ولانا رأینا قواعد الشریعة ان المعصیة اذا کان الوازع عنها طبعیا اکتفی بذلک
الوازع عن الحد واذا کان فی الطباع تقاضیها جعل فیها الحد بحسب اقتضاء الطبائع
لها ولهذا جعل الحد فی الزنا والسرقة وشرب المسکر دون اکل المیتة والدم ولحم الخنزیر
قالوا وطرد هذا انه لا حد فی وطی البهیمة ولا المیتة وقد جبل الله تعالی الطبائع علی النفرة
من وطی الرجل الرجل اشد نفرة کما جبلها علی النفرة من استدعاء الرجل من یطأه بخلاف
الزنا فان الداعی فیه من الجانبین قالوا ولان احد النوعین اذا استمتع بشکله لم یجب علیه
الحد کما لو تساحقت المرأتان واستمتعت کل واحدة منهما بالاخری قال اصحاب القول
الاول وهم جمهور الامة وحکاه غیر واحد اجماعا للصحابة لیس فی المعاصی مفسدة اعظم من
مفسدة اللواط وهی تلی مفسدة الکفر وربما کانت اعظم من مفسدة القتل کما سنبینه ان
شاء الله تعالی قالوا ولم یبتل الله تعالی بهذه الکبیرة قبل قوم لوط احدا من العالمین
وعاقبهم عقوبة لم یعاقب بها امة غیرهم وجمع علیهم انواعا من العقوبات من الاهلاک
وقلب دیارهم علیهم والخسف بهم ورجمهم بالحجارة من السماء وطمس اعینهم وعذبهم وجعل

عذابهم مستمرا فنكل بهم نكالا لم ينكله امة سواهم وذلك لعظم مفسدة هذه الجريمة التي تكاد
الارض تميد من جوانبها اذا عملت عليها وتهرب الملائكة الى اقطار السموات والارض
اذا شاهدوها خشية نزول العذاب على اهلها فيصيبهم معهم وتعج الارض الى ربها تبارك
وتعالى وتكاد الجبال تزول عن اماكنها وقتل المفعول به خير له من وطئه فانه اذا وطئه
الرجل قتله قتلا لا ترجى الحيوة معه بخلاف قتله فانه مظلوم شهيد وربما ينتفع به في
آخرته قالوا والدليل على هذا ان الله سبحانه جعل حد القاتل الى خيرة الولي
ان شاء قتل وان شاء عفى وحتم قتل اللوطي حدا كما اجمع عليه اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ودلت عليه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيحة
الصريحة التي لا معارض لها بل عليها عمل اصحابه وخلفائه الراشدين رضي الله عنهم
اجمعين وقد ثبت عن خالد بن الوليد انه وجد في بعض نواحي العرب رجلا ينكح
كما تنكح المرأة فكتب الى ابي بكر الصديق رضي الله عنه فاستشار ابوبكر الصديق الصحابة
رضي الله عنهم فكان علي بن ابي طالب اشدهم قولا فيه فقال ما فعل هذا الا امة
من الامم واحدة وقد علمتم ما فعل الله بها ارى ان يحرق بالنار فكتب ابوبكر الى خالد فحرقه وقال
عبد الله بن عباس ان ينظر اعلا ما في القرية فيرمي اللوطي منها منكسا ثم يتبع بالحجارة
واخذ ابن عباس هذا الحد من عقوبة الله للوطية قوم لوط وابن عباس هو الذي روى عن
النبي صلى الله عليه وسلم من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به
رواه اهل السنن وصححه ابن حبان وغيره واحتج الامام احمد بهذا الحديث واسناده
على شرط البخاري قالوا وثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لعن الله من عمل
عمل قوم لوط لعن الله من عمل عمل قوم لوط لعن الله من عمل عمل قوم لوط ولم يجئ
عنه لعنة الزاني ثلث مرات في حديث واحد وقد لعن جماعة من اهل الكبائر فلم
يتجاوز بهم في اللعن مرة واحدة وكرر لعن اللوطية فاكده ثلث مرات واطبق اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتله لم يختلف منهم فيه رجلان وانما اختلفت اقوالهم
في صفة قتله فظن بعض الناس ان ذلك اختلاف منهم في قتله فحكاها مسألة نزاع

يرجى

ثبت في الاحاديث

الصحابة

نواحي

١٣٧ انما فعل

اللعنة فائدة

بين الصحابة وهي بينهم مسألة اجماع لامسألة نزاع قالوا ومن تأمل قوله سبحانه ولا تقربوا
الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا وقوله في اللواط أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من
احد من العالمين تبين له تفاوت ما بينهما فانه سبحانه نكر الفاحشة في الزنا اي هو فاحشة
من الفواحش وعرفها في اللواط وذلك يفيد انه جامع لمعاني اسم الفاحشة كما تقول
زيد الرجل ونعم الرجل زيد اي أتأتون الخصلة التي استقر فحشها عند كل احد فهي لظهور
فحشها وكماله غنية عن ذكرها بحيث لا ينصرف الاسم الى غيرها وهذا نظير قول فرعون
لموسى وفعلت فعلتك التي فعلت اي الفعلة الشنعاء الظاهرة المعلومة لكل احد
ثم اكد سبحانه شأن فحشها بانها لم يعملها احد من العالمين قبلهم فقال ما سبقكم بها من
احد من العالمين ثم زاد في التأكيد بان صرح بما تشمئز منه القلوب وتنبو عنه الاسماع
وتنفر منه اشد النفور وهو اتيان الرجل رجلا مثله ينكحه كما ينكح الانثى فقال انكم لتأتون
الرجال ثم نبه على استغنائهم عن ذلك وان الحامل لهم عليه ليس الا مجرد الشهوة لا الحاجة
التي لاجلها مال الذكر الى الانثى من قضاء الوطر ولذة الاستمتاع وحصول المودة والرحمة
التي تنسى المرأة لها ابويها وتذكر بعلها وحصول النسل الذي هو حفظ هذا النوع الذي
هو اشرف المخلوقات وتحصين المرأة وقضاء الوطر وحصول علاقة المصاهرة التي هي
اخت النسب وقيام الرجال على النساء وخروج احب الخلق الى الله من جماعهن
كالانبياء والاولياء والمؤمنين ومكاثرة النبي صلى الله عليه وسلم الانبياء بامته الى غير ذلك
من مصالح النكاح والمفسدة التي في اللواط تقاوم ذلك كله وتربي عليه بما لا يمكن
حصره وفساده ولا يعلم تفصيله الا الله عز وجل ثم اكد سبحانه قبح ذلك بان اللوطية عكسوا
فطرة الله التي فطر الله عليها الرجال وقلبوا الطبيعة التي ركبها الله في الذكور وهي شهوة
النساء دون الذكور فقلبوا الامر وعكسوا الفطرة والطبيعة فاتوا الرجال شهوة من دون
النساء ولهذا قلب الله سبحانه عليهم ديارهم فجعل عاليها سافلها وكذلك قلبوهم ونكسوا
في العذاب على رؤسهم ثم اكد سبحانه قبح ذلك بان حكم عليهم بالاسراف وهو مجاوزة
الحد فقال بل انتم قوم مسرفون فتأمل هل جاء مثل ذلك او قريبا منه في الزنا واكد

وهي

نفرة الطباع

۱۴۸

وطرها

سبحانه ذلك عليهم لقوله ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث ثم اكد سبحانه عليهم
الذم بوصفين في غاية القبح فقال انهم كانوا قوم سوء فاسقين وسماهم مفسدين في قول
نبيهم فقال رب انصرني على القوم المفسدين وسماهم ظالمين في قول الملائكة لابراهيم عليه السلام
انا مهلكوا اهل هذه القرية ان اهلها كانوا ظالمين فتأمل من عوقب بمثل هذه العقوبات ومن
ذمه الله بمثل هذه الذمات ولما جادل فيهم خليله ابراهيم الملائكة وقد اخبروه
باهلاكهم فقيل له يا ابراهيم اعرض عن هذا انه قد جاء امر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود وتناهى
خبث اللوطية وفرط تمردهم على الله حيث جاؤا نبيهم لوطا لما سمعوا بانه قد طرقه اضياف هم من
احسن البشر صورا فاقبل اللوطية اليهم يهرعون فلما رآهم قال لهم يا قوم هؤلاء بناتي هن
اطهر لكم ففدا اضيافه ببناته يزوجهم بهن خوفا على نفسه وعلى اضيافه من العار الشديد
فقال يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي اليس منكم رجل رشيد
فردوا عليه ولكن رد جبار عنيد لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد فنفث
نبي الله نفثة مصدور وخرجت من قلب مكروب عميد فقال لو ان لي بكم قوة او
آوي الى ركن شديد فكشف له رسل الله عن حقيقة الحال واعلموه انه ممن ليس يوصل
اليهم ولا اليه بسببهم فلا تخف منهم ولا تعبأ بهم وهون عليك فقالوا يا لوط انا رسل ربك
لن يصلوا اليك وبشروه بما جاؤا به من الوعد له ولقومه من الوعيد المصيب فقالوا فاسر
باهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم احد الا امرأتك انه مصيبها ما اصابهم ان موعدهم
الصبح اليس الصبح بقريب فاستبطأ نبي الله عليه السلام موعدهم وقال اريد اعجل من هذا فقالت الملائكة
اليس الصبح بقريب فوالله ما كان بين هلاك اعداء الله ونجاة نبيه واوليائه الا ما بين السحر وطلوع الفجر واذا
بديارهم قد قلعت من اصولها ورفعت نحو السماء حتى سمعت الملائكة نباح الكلاب ونهيق
الحمير فبرز المرسوم الذي لا يرد من عند الرب الجليل على يدي عبده ورسوله جبرائيل بان
يقلبها عليهم كما اخبر به في محكم التنزيل فقال من قائل فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها
وامطرنا عليها حجارة من سجيل فجعلهم آية للعالمين وموعظة للمتقين ونكالا وسلفا لمن شاركهم في
اعمالهم من المجرمين وجعل ديارهم بطريق السالكين ان في ذلك لآيات للمتوسمين وانها

ن خليل الله

ن اقتلعت

لبسبيل مقيم ان في ذلك لآية للمؤمنين اخذهم على غرة وهم نائمون وجاءهم بأسه
وهم في سكرتهم يعمهون فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون تقلبت تلك اللذات آلاماً فاصبحوا
بها يعذبون ۝ مآرب كانت في الحيوة لاهلها ۞ عذاباً فصارت في الممات عذاباً ۞ ذهبت
اللذات واعقبت الحسرات وانقضت الشهوات واورثت الشقوات تمتعوا قليلاً وعذبوا
طويلاً رتعوا مرتعاً وخيماً فاعقبهم عذاباً اليماً اسكرتهم خمرة تلك الشهوات فما استفاقوا منها الا
في ديار المعذبين وارقدتهم تلك الغفلة فما استيقظوا منها الا وهم في منازل الهالكين فندموا
والله اشد الندامة حين لا ينفع الندم وبكوا على ما اسلفوه بدل الدموع بالدم فلو رأيت الاعلى
والاسفل من هذه الطائفة والنار تخرج من منافذ وجوههم وابدانهم وهم بين اطباق الجحيم
وهم يشربون بدل لذات الشراب كؤس الحميم فيقال لهم وهم على وجوههم يسحبون ذوقوا ما كنتم
تكسبون اصلوها فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون ولقد قرّب الله
سبحانه مسافة العذاب بين هذه الامة وبين اخوانهم في العمل فقال مخوفاً لهم اعظم الوعيد
وما هي من الظالمين ببعيد ۝ فيا ناكح الذكران تهنيكم البشرى ۞ فيوم معاد الناس ان لكم اجرا ۞
كلوا واشربوا وازنوا ولوطوا واكثروا ۞ فان لكم زفاً الى ناره الكبرى ۞ فاخوانكم قد مهدوا الدار قبلكم ۞
وقالوا الينا عجلوا لكم البشرى ۞ وها نحن اسلاف لكم في انتظاركم ۞ سيجمعنا الجبار في ناره الكبرى ۞
ولا تحسبوا ان الذين نكحتموا ۞ يغيبون عنكم بل ترونهم جهرى ۞ ويلعن كلا منهم لخليله ۞ ويشقى
به المحزون في الكرة الاخرى ۞ يعذب كل منهم بشريكه ۞ كما اشتركا في لذة توجب الوزرى ۞

شهوة الشقوة

لذيذ

قرب

بالجنة الحمرى

بنكم بخليله

فصل

في الاجوبة عما احتج به من جعل عقوبة هذه الفاحشة دون عقوبة الزنا اما قولهم انها
معصية لم يجعل الله فيها حداً معيناً فجوابه من وجوه احدها ان المبلغ عن الله جعل حد
صاحبها القتل حتماً وما شرعه رسوله صلى الله عليه وسلم فانما شرعه عن الله فان اردتم
ان حدها غير معلوم بالشرع فهو باطل وان اردتم انه غير ثابت بنص الكتاب لم يلزم
من ذلك انتفاء حكمه لثبوته بالسنة الثاني ان هذا ينتقض عليكم بالرجم فانه انما ثبت
بالسنة فان قلتم بل ثبت بالقرآن نسخ لفظه وبقي حكمه قلنا فينتقض عليكم بحد شارب

الحد الثالث ان نفي دليل معين لا يلزم نفي مطلق الدليل ولا نفي المدلول فكيف وقد قدمنا ان الدليل الذي نفيتموه غير منتفي واما قولكم انه وطئ لا تشتهيه الطباع بل ركب الله الطباع على النفرة منه فهو كوطئ الميتة والبهيمة فجوابه من وجوه احدها انه قياس فاسد الاعتبار مردود بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجماع الصحابة كما تقدم بيانه الثاني ان قياس وطئ الامرد الجميل الذي تربى فتنته على كل فتنة على وطئ اتان او امرأة ميتة من افسد القياس وهل تعقل ذلك احد قط باتان او بقرة او ميتة او يسبي ذلك قلب عاشق او اسر قلبه او استولى على فكره ونفسه فليس في القياس افسد من هذا الثالث ان هذا منتقض بوطئ الام والبنت والاخت فان النفرة الطبيعية عنه كاملة مع ان الحد فيه من اغلظ الحدود في احد القولين وهو القتل بكل حال محصنا كان او غير محصن وهذه احدى الروايتين عن الامام احمد وهو قول اسحٰق بن راهويه وجماعة من اهل الحديث وقد روى ابو داؤد من حديث البراء بن عازب قال لقيت عمي ومعه الراية فقلت له الى اين تريد قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رجل نكح امرأة ابيه من بعده ان اضرب عنقه واخذ ماله قال الترمذي هذا حديث حسن قال الجوزجاني عم البراء اسمه الحارث بن عمرو وفي سنن ابي داؤد وابن ماجة من حديث ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من وقع على ذات محرم فاقتلوه ورفع الى الحجاج رجلا اغتصب اخته على نفسها فقال احبسوه واسألوا من هٰهنا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوا عبد الله بن مطرف فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من تخطى حرم المؤمنين فخطوا وسطه بالسيف وفيه دليل على القتل بالتوسيط وهذا دليل مستقل في المسألة وهو ان من لا يباح وطئه بحال فحد واطيه القتل دليله من وقع على امه وابنته وكذلك يقال في وطئ ذوات المحارم من وطئ من لا يباح وطئه بحال كان حده القتل كاللوطي والتحقيق ان يستدل على المسألتين بالنص والقياس يشهد بصحة كل منهما وقد اتفق المسلمون على ان من زنا بذات محرم فعليه الحد وانما اختلفوا في صفة الحد هل هو القتل بكل حال او حده حد الزاني على قولين فذهب الشافعي ومالك واحمد في

الصحابة

تعقل

عقل

وانٰ عنده عله

141

احمد روایتیہ ان حدہ حد الزانی وذهب احمد واسحٰق وجماعة من اهل الحدیث الی ان حده القتل بکل حال وکذلک اتفقوا کلهم علی انه لو اصابها باسم النکاح عالما بالتحریم انه یحد الا ابا حنیفة وحده فانه رأی ذلک شبهة مسقطة للحد والمنازعون یقولون اذا اصابها باسم النکاح فقد زاد الجریمة غلظا وشدة فانه ارتکب محذورین عظیمین محذور العقد ومحذور الوطی فکیف تخفف عنه العقوبة بضم محذور العقد الی محذور الزنا واما وطی المیتة ففیه قولان للفقهاء وهما فی مذهب احمد وغیره احدهما انه یجب به الحد وهو قول الاوزاعی فان فعله اعظم جرما واکثر ذنبا لانه انضم الی هتک فاحشة حرمة المیتة

فصل

واما وطی البهیمة فللفقهاء فیه ثلثة اقوال احدها انه یؤدب ولا حد علیه وهذا قول مالک وابی حنیفة والشافعی فی احد قولیه وهو قول اسحٰق والقول الثانی ان حکمه حکم الزانی یجلد ان کان بکرا ویرجم ان کان محصنا وهذا قول الحسن والقول الثالث ان حکمه حکم اللوطی نص علیه احمد ویخرج علی الروایتین فی حده هل هو القتل حتما او هو کالزانی والذین قالوا حده القتل احتجوا بما رواه ابوداود من حدیث ابن عباس عن النبی صلی الله علیه وسلم من اتی البهیمة فاقتلوه واقتلوها معه قالوا ولانه وطی لا یباح بحال فکان فیه القتل کحد اللوطی ومن لم یر علیه الحد قالوا لم یصح فیه الحدیث ولو صح لقلنا به ولم یحل لنا مخالفته قال اسمٰعیل بن سعید الشالنجی سألت احمد عن الذی یأتی البهیمة فوقف عنده ولم یثبت حدیث عمرو بن ابی عمرو فی ذلک وقال الطحاوی الحدیث ضعیف وایضا فروایة ابن عباس وقد افتی بانه لا حد علیه قال ابوداود وهذا یضعف الحدیث ولا ریب ان الزاجر الطبعی عن اتیان البهیمة اقوی من الزاجر الطبعی عن التلوط ولیس الامران فی طباع الناس سواء فالحاق احدهما بالآخر من افسد القیاس

فصل

واما قیاس من وطی الرجل لمثله علی سحاق المرأتین فمن افسد القیاس اذ لا ایلاج هناک وانما نظیر مباشرة الرجل الرجل من غیر ایلاج علی انه قد جاء فی بعض الاحادیث المرفوعة

منازعوه
بہوت
۱۴۲
بہیمة
کحد
اتی
عنده
تدالک
الاثار

اذا اتت المرأة المرأة فهما زانيتان ولكن لا يجب الحد بذلك لعدم الايلاج وان اطلق
عليهما اسم الزنا العام كزنا العين واليد والرجل والفم واذا ثبت هذا فاجمع المسلمون على ان
حكم التلوط مع المملوك كحكمه مع غيره ومن ظن ان تلوط الانسان مع مملوكه جائز واحتج على ذلك
بقوله تعالى الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فقاس ذلك على امته المملوكة فهو كافر يستتاب كما
يستتاب المرتد فان تاب والا قتل وضرب عنقه وتلوط الانسان بمملوكه كتلوطه بمملوك غيره في الاثم والحكم ❊

فصل

فان قيل مع هذا كله فهل من دواء لهذا الداء العضال ورقية لهذا السحر القتال وما
الاحتيال لدفع هذا الخيال وهل من طريق قاصد الى التوفيق وهل يمكن السكران
بخمرة الهوى ان يفيق وهل يملك العاشق قلبه والعشق قد وصل الى سويدائه وهل
للطبيب بعد ذلك حيلة في برئه من سويدائه لان لامه لائم التذ بملامه لذكره لمحبوبه وان
عذله عاذل اغراه عذله وسار به في طريق مطلوبه ينادى عليه شاهد حاله بلسان مقاله
وقف الهوى بي حيث انت فليس لي ❊ متاخر عنه ولا متقدم ❊ واهنتني
فاهنت نفسي جاهدا ❊ ما من يهون عليك ممن يكرم ❊ اشبهت اعدائي فصرت احبهم ❊
اذ كان حظي منك حظي منهم ❊ اجد الملامة في هواك لذيذة ❊ حبا لذكرك فليلمني اللوم ❊
ولعل هذا هو المقصود بالسؤال الاول الذي وقع عليه الاستفتاء عليه والداء الذي طلب
له الدواء قيل نعم الجواب من اصله وما انزل الله سبحانه من داء الا وانزل له دواء علمه
من علمه وجهله من جهله والكلام في دواء هذا الداء من طريقين احدهما حسم مادته قبل حصولها
والثاني قلعها بعد نزولها وكلاهما يسير على من يسره الله عليه ومتعذر على من لم يعنه فان
ازمة الامور بيديه فاما الطريق المانع من حصوله فامران احدهما غض البصر كما تقدم فان
النظرة سهم مسموم من سهام ابليس ومن اطلق لحظاته دامت حسراته وفي غض البصر عدة منافع احدها انه
امتثال لامر الله الذي هو غاية سعادة العبد في معاشه ومعاده وليس للعبد في دنياه وآخرته انفع من امتثال
اوامر ربه تبارك وتعالى وما سعد من سعد في الدنيا والآخرة الا بامتثال اوامره وما شقي من شقي في الدنيا والآخرة
الا بتضييع اوامره الثاني انه يمنع من وصول اثر السهم المسموم الذي لعل فيه هلاكه الى قلبه

ذلك
سويدائه ذكراً
راس شفاء
على من يسره الله
واما حصول هذا الداء
فليس
اوامر ربه
يمتنع

الثالث انه يورث القلب انسا بالله وجمعية على الله فان اطلاق البصر يفرق القلب ويشتته ويبعده من الله وليس على العبد شئ اضر من اطلاق البصر فانه يوقع الوحشة بين العبد وبين ربه الرابع انه يقوى القلب ويفرحه كما ان اطلاق البصر يضعفه ويحزنه الخامس انه يكسب القلب نورا كما ان اطلاقه يكسبه ظلمة ولهذا ذكر سبحانه آية النور عقيب الامر بغض البصر فقال قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ثم قال اثر ذلك الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكوة فيها مصباح اى مثل نوره فى قلب عبده المؤمن الذى امتثل اوامره واجتنب نواهيه واذا استنار القلب اقبلت وفود الخيرات اليه من كل جانب كما انه اذا اظلم اقبلت سحائب البلاء والشر عليه من كل مكان فما شئت من بدعة وضلالة واتباع هوى واجتناب هدى واعراض عن اسباب السعادة واشتغال باسباب الشقاوة فان ذلك انما يكشفه له النور الذى فى القلب فاذا فقد ذلك النور بقى صاحبه كالاعمى الذى يجوس فى حنادس الظلام السادس انه يورث الفراسة الصادقة التى يميز بها بين المحق والمبطل والصادق والكاذب وكان شاه بن شجاع الكرمانى يقول من عمر ظاهره باتباع السنة وباطنه بدوام المراقبة وغض بصره عن المحارم وكف نفسه عن الشهوات واعتاد اكل الحلال لم تخطئ له فراسته وكان شجاع هذا لا تخطئ له فراسته والله سبحانه يجزى العبد على عمله بما هو من جنس عمله ومن ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه فاذا غض بصره عن محارم الله عوضه الله بان يطلق نور بصيرته عوضا عن حبس بصره لله ويفتح له باب العلم والايمان والمعرفة والفراسة الصادقة المصيبة التى انما تنال ببصيرة القلب وضد هذا ما وصف الله به اللوطية من العمه الذى هو ضد البصيرة فقال تعالى لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون فوصفهم بالسكرة التى هى فساد العقل والعمه الذى هو فساد البصر فالتعلق بالصور يوجب فساد العقل وعمه البصيرة يسكر القلب كما قال القائل

سكران سكر هوى وسكر مدامة ⁂ ومتى افاقة من به سكران

وقال الآخر

قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم ⁂ العشق اعظم مما بالمجانين
العشق لا يستفيق الدهر صاحبه ⁂ وانما يصرع المجنون فى الحين

السابع انه يورث القلب ثباتا

القلب

يلبس يلبسه

ناحية

فان الظلمات

يوشا ١٤٧

المغتذى بالحلال

حبسه

بتن

وشجاعة وقوة ويجمع الله له بين سلطان البصيرة والحجة وسلطان القدرة والقوة كما في الاثر
الذي يخالف هواه يفرق الشيطان من ظله وضد هذا تجده في المتبع هواه من ذل النفس
ووضاعتها ومهانتها وخستها وحقارتها وما جعل الله سبحانه فيمن عصاه كما قال الحسن
انهم وان طقطقت بهم البغال وهملجت بهم البراذين فان المعصية لا تفارق رقابهم ابى الله
الا ان يذل من عصاه وقد جعل الله سبحانه العز قرين طاعته والذل قرين معصيته فقال
تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وقال تعالى ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون
ان كنتم مؤمنين والايمان قول وعمل ظاهر وباطن وقال تعالى من كان يريد العزة فلله
العزة جميعا اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه اي من كان يريد العزة فليطلبها
بطاعة الله وذكره من الكلم الطيب والعمل الصالح وفي دعاء القنوت انه لا يذل من
واليت ولا يعز من عاديت ومن اطاع الله فقد والاه فيما اطاعه فيه وله من العز بحسب
طاعته ومن عصاه فقد عاداه فيما عصاه فيه وله من الذل بحسب معصيته الثامن انه ليسد على الشيطان
مدخله من القلب فانه يدخل مع النظرة وينفذ معها الى القلب اسرع من نفوذ الهوى
في المكان الخالي فيمثل له صورة المنظور اليه ويزينها ويجعلها صنما يعكف عليه القلب ثم يعده
ويمنيه ويوقد على القلب نار الشهوة ويلقي عليه حطب المعاصي التي لم يكن يتوصل اليها
بدون تلك الصورة فيكون القلب في اللهب فمن ذلك اللهب تلك الانفاس
التي يجد فيها وهج النار وتلك الزفرات والحرقات فان القلب قد احاطت به النيران
بكل جانب فهو في وسطها كالشاة في وسط التنور ولهذا كانت عقوبة اصحاب الشهوات
بالصور المحرمة ان جعل لهم في البرزخ تنور من نار واودعت ارواحهم فيه الى حشر اجسادهم
كما اراها الله نبيه صلى الله عليه وسلم في المنام في الحديث المتفق على صحته التاسع انه
يفرغ القلب للفكرة في مصالحه والاشتغال بها واطلاق البصر يشتت عليه ذلك
ويحول عليه بينه وبينها فتنفرط عليه اموره ويقع في اتباع هواه وفي الغفلة عن ذكر ربه قال
تعالى لا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا واطلاق النظر يوجب
هذه الامور الثلثة بحسبه التاسع ان بين العين والقلب منفذا وطريقا يوجب الفعال

فيجمع
يفر
النعال
۱۴۵
ثعبه
فيصير
اراه لنبيه
مصالحه ليفقده
ذكر
البصر
اشتغال

احدهما عن الآخر وان يصلح بصلاحه ويفسد بفساده فاذا فسد القلب فسد النظر واذا فسد النظر فسد القلب
وكذلك في جانب الصلاح فاذا خربت العين وفسدت خرب القلب وفسد وصار كالمزبلة التي
هي محل النجاسات والقاذورات والاوساخ فلا يصلح لسكنى معرفة الله ومحبته والانابة
اليه والانس به والسرور بقربه فيه وانما يسكن فيه اضداد ذلك فهذه اشارة الى بعض
فوائد غض البصر تطلعك على ما وراءها ✦

فصل

الثاني اشتغال القلب بما يصده عن ذلك ويحول بينه وبين الوقوع فيه وهو اما
خوف مقلق او حب مزعج فمتى خلا القلب من خوف ما فواته اضر عليه من حصول
هذا المحبوب او خوف ما حصوله اضر عليه من فوات هذا المحبوب او محبة ما هو انفع له وخير له
من هذا المحبوب لم يجد بداً فواته اضر عليه من فوات هذا المحبوب لم يجد بداً من عشق الصور وشرح هذا ان النفس
لا تترك محبوباً الا لمحبوب اعلى منه او خشية مكروه حصوله اضر عليه من فوات هذا المحبوب وهذا يحتاج صاحبه
الى امرين ان فقدا او احدهما لم ينتفع بنفسه احدهما بصيرة صحيحة يفرق بها بين درجات
المحبوب والمكروه فيؤثر اعلى المحبوبين على ادناهما ويحتمل ادنى المكروهين ليتخلص من
اعلاهما وهذا خاصة العقل ولا يعد عاقلاً من كان بضد ذلك بل قد تكون البهائم احسن
حالاً منه الثاني قوة عزم وصبر يتمكن بها من هذا الفعل والترك فكثيراً ما يعرف الرجل
قدر التفاوت ولكن يأبى له ضعف نفسه وهمته وعزيمته على ايثار الانفع من خسته وحرصه وضعف نفسه وخسة همته ومثل هذا لا
ينتفع بنفسه ولا ينتفع به غيره فقد منع الله سبحانه امامة الدين الا من اهل الصبر واليقين فقال تعالى
وبقوله يهتدي المهتدون وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون
وهذا هو الذي ينتفع بعلمه وينتفع به غيره من الناس وضد ذلك لا ينتفع بعلمه ولا ينتفع
به غيره ومن الناس من ينتفع بعلمه في نفسه ولا ينتفع به غيره فالاول يمشي في نوره
ويمشي الناس في نوره والثاني قد طفئ نوره فهو يمشي في الظلمات ومن تبعه
والثالث يمشي في نوره وحده ✦

فصل

اذا عرفت هذه المقدمة فلا يمكن ان يجتمع في القلب حب المحبوب الاعلى وعشق الصور
ابدا بل هما ضدان لا يجتمعان بل لا بد ان يخرج احدهما صاحبه فمن كانت قوة حبه كلها للمحبوب
الاعلى الذي محبة ما سواه باطلة وعذاب على صاحبها صرفه ذلك عن محبة ما سواه وان
احبه لم يحبه الا لاجله او لكونه وسيلة له الى محبته او قاطعا له عما يضاد محبته وينقصها والمحبة
الصادقة تقتضي توحيد المحبوب وان لا يشرك بينه وبين غيره في محبته واذا كان المحبوب
من الخلق يأنف ويغار ان يشرك في محبته غيره ويمقته لذلك ويبعده ولا يحظيه بقربه
ويعده كاذبا في دعوى محبته مع انه ليس اهلا لصرف قوة المحبة اليه فكيف بالحبيب الاعلى
الذي لا تنبغي المحبة الا له وحده وكل محبة لغيره فهي عذاب على صاحبها ووبال ولهذا لا يغفر
سبحانه ان يشرك به في هذه المحبة ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فمحبة الصور تفوت محبة
ما هو انفع للعبد منها بل يفوت محبة ما ليس له صلاح ولا نعيم ولا حيوة نافعة الا بمحبته وحده
فليختر احدى المحبتين فانهما لا يجتمعان في القلب ولا يرتفعان منه بل من اعرض عن محبة الله
وذكره والشوق الى لقائه ابتلاه بمحبة غيره فيعذب بها في الدنيا وفي البرزخ وفي الآخرة
اما بمحبة الاوثان او بمحبة الصلبان او بمحبة النيران او بمحبة المردان او بمحبة النسوان او بمحبة الاثمان
او بمحبة العشراء والخلان او بمحبة ما هو دون ذلك مما هو في غاية الحقارة والهوان فالانسان
عبد محبوبه كائنا ما كان كما قيل ؎ انت القتيل بكل من احببته * فاختر لنفسك
في الهوى من تصطفي * فمن لم يكن الهه مالكه ومولاه كان الهه هواه قال تعالى
افرأيت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره
غشاوة فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون *

فصل

وخاصية التعبد الحب مع الخضوع والذل للمحبوب فمن احب شيئا وخضع له فقد تعبد
قلبه له بل التعبد آخر مراتب الحب ويقال له التتيم ايضا فان اول مراتبه العلاقة وسميت
علاقة لتعلق الحب بالمحبوب قال الشاعر ؎ وعلقت ليلى وهي ذات تمائم * ولم يبد
للاتراب من ثديها حجم * وقال الآخر ؎ اعلاقة ام الوليد بعد ما * افنان رأسك كالثغام المخلس

[illegible] الصبابة وسميت بذلك لانصباب القلب الى المحبوب قال الشاعر ؎
يشكى المحبون الصبابة ليتني ✤ تحملت مايلقون من بينهم وحدي ✤ فكانت لقلبي لذة الحب كلها
فلم يلقها قبلي محب ولا بعدي ✤ ثم الغرام وهو لزوم الحب للقلب لزوما لاينفك عنه ومنه
سمي الغريم غريما لملازمته صاحبه ومنه قوله تعالى ان عذابها كان غراما وقد اولع المتاخرون
باستعمال هذا اللفظ في الحب وقل ان تجده في اشعار العرب ثم العشق وهو افراط
المحبة ولهذا لايوصف به الرب تبارك وتعالى ولا يطلق في حقه ثم الشوق وهو سفر القلب
الى المحبوب احث السفر وقد جاء اطلاقها في حق الرب تعالى كما في مسند الامام احمد من
حديث عمار بن ياسر انه صلى صلوة فاوجز فيها فقيل له في ذلك فقال اما اني دعوت
فيها بدعوات كان النبي صلے الله عليه وسلم يدعو بهن اللهم اني اسئلك بعلمك
الغيب وقدرتك علے الخلق احيني اذا كانت الحيوة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة
خيرا لي اللهم اني اسئلك خشيتك في الغيب والشهادة واسئلك كلمة الحق في الرضاء
والغضب واسئلك القصد في الفقر والغنى واسئلك نعيما لاينفد واسئلك قرة عين لاتنقطع
واسئلك الرضا بعد القضاء واسئلك برد العيش بعد الموت واسئلك لذة النظر الى وجهك
الكريم واسئلك الشوق الى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الايمان
واجعلنا هداة مهتدين وفي اثر آخر طال شوق الابرار الى وجهك وانا الى لقائهم
اشد شوقا وهذا هو المعنى الذي عبر عنه صلے الله عليه وسلم بقوله من احب لقاء الله
احب الله لقاءه وقال بعض اهل البصائر في قوله تعالى من كان يرجو لقاء الله
فان اجل الله لآت لما علم الله سبحانه شدة شوق اوليائه الى لقائه وان قلوبهم لا
تهدى دون لقائه ضرب لهم اجلا وموعدا للقائه تسكن نفوسهم به فاطيب العيش واللذة على الاطلاق
عيش المشتاقين المستانسين فحياتهم هي الحيوة الطيبة في الحقيقة ولا حيوة للعبد
اطيب ولا انعم ولا اهنا منها فهي الحيوة الطيبة المذكورة في قوله تعالى من عمل صالحا
من ذكر او انثى وهو مومن فلنحيينه حيوة طيبة وليس المراد منها الحيوة المشتركة بين
المومنين والكفار والابرار والفجار من طيب الماكل والمشرب والملبس والمنكح بل ربما

الغرام
لقائی
المحبین

واذا عدا الاعداء على اوليائه فی ذلك اضعافا مضاعفة وقد ضمن الله سبحانه لكل من عمل صالحا
ان يحييه حيوة طيبة فهو صادق الوعد الذی لايخلف وعده وای حيوة اطيب من حيوة
من اجتمعت همومه كلها وصارت هی واحدة فی مرضات الله ولم يستشعب قلبه بل
اقبل على الله واجتمعت ارادته والكاره التی كانت منقسمة بكل وادمنها شعبة على الله
فصار ذكر محبوبه الاعلی وحبه والشوق الی لقائه والانس لقربه وهو المستولی عليه وعليه تدور
همومه وارادته وقصوده بل خطرات قلبه فان سكت سكت بالله وان نطق نطق بالله
وان سمع فيه يسمع وان البصر فيه يبصر وبه يبطش وبه يمشی وبه يتحرك وبه يسكن وبه يحيی
وبه يموت وبه يبعث كما فی صحيح البخاری عنه صلی الله عليه وسلم فيما يروی عن ربه
تبارك وتعالی انه قال ما تقرب الیّ عبدی بمثل اداء ما افترضت عليه ولايزال عبدی
يتقرب الیّ بالنوافل حتی احبه فاذا احببته كنت سمعه الذی يسمع به وبصره الذی يبصر
ويده التی يبطش بها ورجله التی يمشی بها فبی يسمع وبی يبصر وبی يبطش وبی يمشی ولئن
سئلنی لاعطينه ولئن استعاذ بی لاعيذنه وما ترددت فی شیٔ انا فاعله ترددی عن قبض
روح عبدی المؤمن من يكره الموت واكره مساءته ولابد له منه فتضمن هذا الحديث الشريف
الالهی الذی حرام على غليظ الطبع كثيف القلب فهم معناه والمراد به حصر اسباب المحبة فی امرين
اداء فرائضه والتقرب اليه بالنوافل واخبر سبحانه ان اداء فرائضه احب ما تقرب
اليه المتقربون ثم بعدها النوافل وان المحب لايزال يكثر من النوافل حتی يصير محبوبا
لله فاذا صار محبوبا لله اوجبت محبة الله له محبة منه اخری فوق المحبة الاولی فشغلت
هذه المحبة قلبه عن الفكرة والاهتمام بغير محبوبه وملكت عليه روحه ولم يبق فيه سعة لغير
محبوبه البتة فصار ذكر محبوبه وحبه مثله الاعلی مالكا لزمام قلبه مستوليا على روحه استيلاء
المحبوب على محبه الصادق فی محبته التی قد اجتمعت قوی حبه كلها له ولاريب ان هذا
المحب ان سمع سمع لمحبوبه وان ابصر ابصر به وان بطش بطش به وان مشی مشی به
فهو فی قلبه ومعه ومؤنسه وصاحبه فالباء ههنا باء المصاحبة وهی مصاحبة لانظير لها ولا تدرك
بمجرد الاخبار عنها والعلم بها فالمسألة حالية لا علمية محضة واذا كان المخلوق يجد هذا فی

بالاقبال

فی

١٤٩ قبض

نفس

المحبوب

محبة المخلوق التي لم يخلق لها ولم يفطر عليها كما قال بعض المحبين ؎ خيالك في عيني
وذكراك في فمي ✤ ومثواك في قلبي فاين تغيب ✤ وقال الآخر ؎ وتطلبهم عيني وهم
في سوادها ✤ ويشتاقهم قلبي وهم بين اضلعي ✤ ومن عجب اني احن اليهم ✤ فاسئل عنهم من
لقيت وهم معي ✤ وهذا الطف من قول الآخر ؎ ان قلت غبت فقلبي لا يصدقني
اذ انت فيه مكان السر لم تغب ✤ او قلت ما غبت قال الطرف ذا كذب ✤ فقد
تحيرت بين الصدق والكذب ✤ فليس شيء ادنى من المحب لمحبوبه وربما تمكنت المحبة
حتى يصير في المحبة ادنى اليه من نفسه بحيث ينسى نفسه ولا ينساه كما قيل ؎
اريد لانسى ذكره فكانما ✤ تمثل لي ليلي بكل سبيل ✤ وقال الآخر ؎ يراد من القلب نسيانكم ✤
وتابى الطباع على الناقل ✤ وخص في الحديث السمع والبصر واليد والرجل بالذكر
فان هذه الآلات آلات الادراك وآلات الفعل والسمع والبصر يوردان على القلب
الارادة والكراهة ويجلبان اليه الحب والبغض فتستعمل اليد والرجل فاذا كان سمع
العبد بالله وبصره به كان محفوظاً في آلات ادراكه فكان محفوظاً في حبه وبغضه فحفظ في
بطشه ومشيه وتامل كيف اكتفى بذكر السمع والبصر واليد والرجل عن اللسان فانه اذا
كان ادراك السمع الذي يحصل باختياره تارة وبغير اختياره تارة وكذلك البصر قد
يقع بغير الاختيار فجاءة وكذلك حركة اليد والرجل التي لا بد للعبد منها فكيف بحركة اللسان
التي لا يقع الا بقصد واختيار وقد يستغني العبد عنها الا حيث امر بها وايضاً فانفعال
اللسان عن القلب اتم من انفعال سائر الجوارح فانه ترجمانه ورسوله وتامل
كيف حقق تعالى كون العبد به عند سمعه وبصره الذي يبصر به وبطشه ومشيه بقوله كنت
سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها تحقيقاً
لكونه مع عبده وكون عبده في ادراكاته بسمعه وبصره وحركته بيديه ورجليه وتامل
كيف قال بي يسمع وبي يبصر وبي يبطش ولم يقل فلي يسمع ولي يبصر ولي يبطش
وربما يظن الظان ان اللام اولى بهذا الموضع اذ هي ادل على الغاية ووقوع هذه
الامور لله وذلك اخص من وقوعها به وهذا من الوهم والغلط اذ ليست الباء هٰهنا

واستأل

فمن محبوبه

150

لمجرد الاستعانة فان حركات الابرار والفجار وادراكاتهم انما هي بمعونة الله لهم وان الباء
ههنا للمصاحبة انما يسمع ويبصر ويبطش ويمشي وانا صاحبه ومعه كقوله في الحديث الآخر
انا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه وهذه المعية هي المعية الخاصة المذكورة في
قوله تعالى ان الله معنا وقول النبي صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما
وقوله تعالى وان الله لمع المحسنين وقوله ان الله مع الذين اتقوا والذين هم
محسنون وقوله واصبروا ان الله مع الصابرين وقوله كلا ان معي ربي سيهدين
وقوله تعالى لموسى وهارون انني معكما اسمع وارى فهذه الباء مفيدة لمعنى هذه المعية
دون اللام ولا يتأتى للعبد الاخلاص والصبر والتوكل ونزوله في منازل العبودية الا
بهذه الباء وهذه المعية فمتى كان العبد بالله هانت عليه المشاق وانقلبت المخاوف
في حقه امانا فبالله يهون كل صعب ويسهل كل عسير ويقرب كل بعيد وبالله تزول
الاحزان والهموم والغموم فلا هم مع الله ولا غم مع الله ولا حزن مع الله وحيث
يفوت العبد معنى هذه الباء فيصير قلبه حينئذ كالحوت اذا فارق الماء يثب وينقلب
حتى يعود اليه ولما حصلت هذه الموافقة مع العبد لربه تعالى في محابه حصلت موافقة
الرب لعبده في حوائجه ومطالبه فقال ولئن سألني لاعطينه ولئن استعاذ بي لاعيذنه
اي كما وافقني في مرادي بامتثال اوامري والتقرب الي بمحابي فانا اوافقه في رغبته
ورهبته فيما يسألني ان افعل به ويستعيذني ان يناله مكروه وقوي هذه الموافقة من الجانبين حتى
اقتضى تردد الرب سبحانه في اماتة عبده لانه يكره الموت والرب تعالى يكره ما يكره عبده
ويكره مساءته فمن هذه الجهة تقتضي ان لا يميته ولكن مصلحته في اماتته فانه ما اماته الا
ليحييه وما امرضه الا ليصحه ولا افقره الا ليغنيه وما منعه الا ليعطيه ولم يخرج من الجنة
في صلب ابيه الا ليعيده اليها على احسن احواله ولم يقل لآدم اخرج منها الا ليعيده
اليها فهذا هو الحبيب على الحقيقة لا سواه بل لو كان في كل منبت شعرة للعبد محبة تامة
لله لكان بعض ما يستحقه على عبده ﴿ نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ✤
ما الحب الا للحبيب الاول ✤ كم منزل في الارض يألفه الفتى ✤ وحنينه ابدا لاول منزل ✤

لمعنی

فصل

ثم التتيم وهو آخر مراتب الحب وهو تعبد المحب لمحبوبه يقال تيمه الحب اذا عبده ومنه تيم الله
اى عبد الله وحقيقة التعبد الذل والخضوع للمحبوب ومنه قولهم طريق معبد اى مذلل قد ذللته
الاقدام فالعبد هو الذى ذلله الحب والخضوع لمحبوبه ولهذا كانت اشرف احوال العبد
ومقاماته فى العبودية فلا منزل له اشرف منها وقد ذكر الله سبحانه اكرم الخلق عليه واحبهم اليه
وهو رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بالعبودية فى اشرف مقاماته وهى مقام الدعوة اليه ومقام التحدى
بالنبوة ومقام الاسرى فقال سبحانه وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا وقال وان
كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وقال سبحان الذى اسرى بعبده ليلا
من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وفى حديث الشفاعة اذهبوا الى محمد صلى الله عليه وسلم
عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فقال مقام الشفاعة بكمال عبوديته وكمال مغفرة
الله له والله سبحانه خلق الخلق لعبادته وحده لا شريك له التى هى اكمل انواع المحبة مع اكمل انواع الخضوع
والذل وهذا هو حقيقة الاسلام وملة ابراهيم التى من رغب عنها فقد سفه نفسه قال تعالى ومن يرغب عن
ملة ابراهيم الا من سفه نفسه الآية ولهذا كان اعظم الذنوب عند الله الشرك والله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء واصل الشرك بالله الاشراك مع الله فى المحبة كما قال تعالى ومن الناس من يتخذ
من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا اشد حبا لله واخبر سبحانه ان من الناس من يشرك
به فيتخذ الانداد من دونه يحبهم كحب الله واخبر ان الذين آمنوا اشد حبا لله من اصحاب الانداد لاندادهم
وقيل بل المعنى انهم اشد حبا لله من اصحاب الانداد لله فانهم وان احبوا الله لكن لما اشركوا بينه وبين
اندادهم فى المحبة ضعفت محبتهم لله والموحدون لله لما خلصت محبتهم له كانت اشد من محبة اولئك
والعدل برب العالمين والتسوية بينه وبين الانداد هو فى هذه المحبة ولما كان مراد الله من خلقه هو
خلوص هذه المحبة له انكر على من اتخذ من دونه وليا او شفيعا غاية الانكار وجمع ذلك تارة وافرد احدهما عن الآخر تارة بالانكار
فقال تعالى ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه وقال تعالى الله الذى
خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولى
ولا شفيع افلا تتذكرون وقال تعالى وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم

كمال
١٥٢

من دونه ولی ولا شفیع لعلهم یتقون وقال فی الافراد ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل
اولو کانوا لا یملکون شیئا ولا یعقلون قل لله الشفاعة جمیعا وقال تعالی من ورائهم جهنم
ولا یغنی عنهم ما کسبوا شیئا ولا ما اتخذوا من دون الله اولیاء ولهم عذاب عظیم فاذا والی العبد
ربه وحده واقام له اولیاء من شفعاء وعقد الموالات بینه وبین عباده المؤمنین فصاروا
اولیاءه فی الله بخلاف من اتخذ مخلوقا اولیاء من دون الله فهذا لون وذاک لون والشفاعة
الشرکیة الباطلة لون والشفاعة الحق الثابتة التی انما تنال بالتوحید لون وهذا موضع فرقان
بین اهل التوحید واهل الشرک بالله والله یهدی من یشاء الی صراط مستقیم والمقصود ان
حقیقة العبودیة وموجباته لا تحصل مع الاشراک بالله فی المحبة بخلاف المحبة لله فانها من
لوازم العبودیة وموجباتها فان محبة الرسول صلی الله علیه وسلم بل تقدیمه فی الحب علی
الانفس وعلی الآباء والابناء لا یتم الایمان الا بها اذ محبته من محبة الله وکذلک کل حب فی الله
ولله کما فی الصحیحین عنه صلی الله علیه وسلم انه قال ثلث من کن فیه وجد بهن حلاوة الایمان
وفی لفظ فی الصحیح لا یجد عبد طعم الایمان الا من کان فی قلبه ثلث خصال ان یکون الله
ورسوله احب الیه مما سواهما وان یحب المرء لا یحبه الا لله وان یکره ان یرجع الی الکفر بعد
اذ انقذه الله منه کما یکره ان یقذف فی النار وفی الحدیث الذی فی السنن من احب لله
وابغض لله واعطی لله ومنع لله فقد استکمل الایمان وفی حدیث آخر ما تحاب رجلان
فی الله الا کان افضلهما اشدهما حبا لصاحبه فان هذه المحبة من لوازم محبة الله وموجباتها
وکلما کانت اقوی کان اصلها کذلک

فصل

وههنا اربعة انواع من الحب یجب التفریق بینها وانما ضل من ضل بعدم التمییز بینها احدها محبة الله ولا
تکفی وحدها فی النجاة من الله من عذابه والفوز بثوابه فان المشرکین وعباد الصلیب والیهود وغیرهم یحبون الله الثانی
محبة ما یحب الله وهذه هی التی تدخله فی الاسلام وتخرجه من الکفر واحب الناس الی الله
اقومهم بهذه المحبة واشدهم فیها الثالث الحب لله وفیه وهی من لوازم محبة ما یحب الله
ولا یستقیم محبة ما یحب الله الا بالحب فیه وله الرابع المحبة مع الله وهی المحبة الشرکیة وکل

من احب شيئاً مع الله لا لله ولا من اجله ولا فيه فقد اتخذه نداً من دون الله وهذه محبة المشركين ويبقى قسم خامس ليس مما نحن فيه وهي المحبة الطبيعية وهي ميل الانسان الى مايلائم طبعه كمحبة العطشان للماء والجائع للطعام ومحبة النوم والزوجة والولد فتلك لا تذم الا ان الهت عن ذكر الله وشغلته عن محبته كما قال تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله وقال تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ❁

انواع

فصل

ثم الخلة وهي تتضمن كمال المحبة ونهايتها بحيث لا يبقى في القلب لمحبة سعة لغير محبوبه وهي منصب لا يقبل المشاركة بوجه ما وهذا المنصب خاصة للخليلين صلوات الله وسلامه عليهما ابراهيم ومحمد كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا من اهل الارض خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله وفي حديث آخر اني ابرأ الى كل خليل من خلته ولما سأل ابراهيم عليه السلام الولد فاعطيه فتعلق حبه بقلبه فاخذ منه شعبة غار الحبيب على خليله ان يكون في قلبه موضع لغيره فامر بذبحه وكان الامر في المنام ليكون تنفيذ المأمور به اعظم ابتلاء وامتحانا ولم يكن المقصود ذبح الولد ولكن المقصود ذبحه من قلبه ليخلص القلب للرب فلما بادر الخليل عليه الصلوٰة والسلام الى الامتثال وقدم محبة الله على محبة ولده حصل المقصود فرفع الذبح وفدي بذبح عظيم فان الرب تعالى ما امر بشيئ ثم ابطله رأساً بل لابد ان يبقى بعضه او بدله كما ابقى شريعة الفداء وكما ابقى استحباب الصدقة عند المناجات وكما ابقى الخمس الصلوات بعد رفع الخمسين وابقى ثوابها وقال لا يبدل القول لدي هي خمس في الفعل وخمسون في الاجر ❁

تسلب المحبة قلب

١٥٩

والتعلق

رتبة

بين يدي

فصل

واما ظنه لبعض الظانين ان المحبة اكمل من الخلة وان ابراهيم خليل الله ومحمد صلى الله عليه وسلم حبيب الله فمن جهله فان المحبة عامة والخلة خاصة والخلة نهاية المحبة وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان الله اتخذ ابراهيم خليلا ونفى ان يكون له خليل غير ربه مع اخباره بحبه لعائشة ولابيها ولعمر بن الخطاب وغيرهم وايضاً فان الله

سبحانه يحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب الصابرين ويحب المحسنين ويحب
المتقين ويحب المقسطين وخلته خاصة بالخليلين عليهما الصلوة والسلام والشاب التائب
حبيب الله وانما هذا عن قلة العلم والفهم عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

فصل

وقد تقدم ان العبد لا يترك ما يحب ويهواه الا لما يحبه ويهواه ولكن يترك اضعفهما محبة لاقواهما
محبة كما انه يفعل ما يكره لحصول ما محبته اقوى عنده من كراهة ما يفعله والخلاص من مكروه
كراهته عنده اقوى من كراهة ما يفعله وتقدم ان خاصية العقل ايثار اعلى المحبوبين على
ادناهما والتيسير المكروهين على اقواهما وتقدم ان هذا كمال قوة الحب والبغض ولم يتم
له هذا الا بامرين قوة الادراك وشجاعة القلب فان التخلف عن ذلك والعمل بخلافه
يكون اما لضعف الادراك بحيث انه لم يدرك مراتب المحبوب والمكروه على ما هي
عليه واما لضعف في النفس وعجز في القلب لا يطاوعه على ايثار الاصلح مع علمه بانه الاصلح فاذا صح ادراكه وقويت نفسه وتشجع
القلب على ايثار المحبوب الاعلى والمكروه الادنى فقد وفق لاسباب السعادة فمن الناس من يكون سلطان شهوته اقوى
من سلطان عقله وايمانه فيقهر الغالب الضعيف ومنهم من يكون سلطان ايمانه
وعقله اقوى من سلطان شهوته واذا كان كثير من المرضى يحميه الطبيب عما يضره فتابى
عليه نفسه وشهوته الا تناوله ويقدم شهوته على عقله وتسميه الاطباء عديم المروة فهكذا
اكثر مرضى القلب يؤثرون ما يزيد مرضهم لقوة شهوتهم له فاصل الشر من ضعف الادراك
وضعف النفس ودناءتها واصل الخير من كمال الادراك وقوة النفس وشرفها وشجاعتها
فالحب والارادة اصل كل فعل ومبداه والبغض والكراهة اصل كل ترك ومبداه
وهاتان القوتان في القلب اصل سعادته وشقاوته ووجود الفعل الاختياري لا
يكون الا بوجود سببه من الحب والارادة واما عدم الفعل فتارة يكون لعدم مقتضيه
وسببه وتارة يكون لوجود البغض والكراهة المانعة منه وهذا متعلق الامر والنهي وهو يسمى الكف وهو متعلق الثواب والعقاب
وبهذا يزول الاشتباه في مسألة الترك هل هو امر وجودي او عدمي والتحقيق
انه قسمان فالترك المضاف الى عدم السبب المقتضي عدمي والمضاف الى السبب

سعادة العبد

المانع من الفعل وجودي ؛

فصل

وكل واحد من الفعل والترك الاختياريين فانما يؤثره الحي لما فيه من حصول المنفعة التي
يلتذ بحصولها او زوال الالم الذي يحصل له الشفاء بزواله ولهذا يقال شفاء صدره وشفاء
قلبه قال ﷺ هي الشفاء لداء لو ظفرت بها ؛ وليس منها شفاء الداء مبذول ؛ وهذا
مطلوب يؤثره العاقل حتى الحيوان البهيم ولكن يغلط فيه اكثر الناس غلطا قبيحا فيقصد
حصول اللذة بما يعقب عليه اعظم الالم فيؤلم نفسه من حيث يظن انه يحصل لذتها
ويشفي قلبه بما يعقب عليه غاية المرض وهذا شأن من قصر نظره على العاجل ولم
يلاحظ العواقب وخاصة العقل النظر في العواقب فاعقل الناس من آثر لذة نفسه
وراحته في الآجلة الدائمة على العاجلة المنقضية الزائلة واسفه الخلق من باع نعيم الابد
وطيب الحيوة الدائمة واللذة العظمى التي لا تنغيص فيها ولا نقص بوجه ما بلذة منقضية مشوبة
بالآلام والمخاوف وهي سريعة الزوال وشيكة الانقضاء قال بعض العلماء فكرت في سعي
العقلاء فرأيت سعيهم كلهم في مطلوب واحد وان اختلفت طرقهم في تحصيله رأيتهم جميعهم
انما يسعون في دفع الهم والغم عن نفوسهم فهذا بالاكل والشرب وهذا بالتجارة والكسب
وهذا بالنكاح وهذا بالسماع الغناء والاصوات المطربة وهذا باللهو واللعب فقلت هذا
المطلوب مطلوب العقلاء ولكن الطرق كلها غير موصلة اليه بل لعل اكثرها انما يوصل
الى ضده ولم ار في جميع هذه الطرق طريقا موصلا اليه بل لعل اكثرها انما يؤثر الى الاقبال على الله وحده ومعاملته وحده
وايثار مرضاته على كل شيء فان سالك هذه الطريق ان فاته حظه من الدنيا
فقد ظفر بالحظ العالي الذي لا فوت معه وان حصل للعبد حصل له كل شيء وان
فاته فاته كل شيء وان ظفر بحظه من الدنيا ناله على اهنى الوجوه فليس للعبد انفع من
هذا الطريق ولا اوصل منها الى لذته وبهجته وسعادته وبالله التوفيق ؛

فصل

والمحبوب قسمان محبوب لنفسه ومحبوب لغيره ولابد ان ينتهي الى المحبوب لنفسه دفعا للتسلسل المحال وكل

انما

بل

منغصة

١٥٦

فيما يسعى

بان

اعلى

ما سوى المحبوب الحق فهو محبوب لغيره وليس شيء يحب لنفسه الا الله وحده وكل ما سواه مما يحب فانما محبته
تبع لمحبة الرب تبارك وتعالى كمحبة ملئكته وانبيائه واوليائه فانها تبع لمحبته سبحانه وهي من لوازم محبته فان
محبة المحبوب توجب محبة ما يحبه وهذا موضع يجب الاعتناء به فانه محل فرقان بين المحبة النافعة لغيره
والتي لا تنفع بل قد تضر واعلم انه لا يحب لذاته الا من كماله من لوازم ذاته والهيته وربوبيته وغناه من
لوازم ذاته وما سواه فانما يبغض ويكره لمنافاته محابه ومضادته لها وبغضه وكراهته بحسب قوة هذه المنافاة
وضعفها فما كان اشد منافاة لمحابه كان اشد كراهة من الاعيان والاوصاف والافعال والارادات وغيرها فهذا ميزان
عادل يوزن به موافقة الرب ومخالفته وموالاته ومعاداته فاذا راينا شخصا يحب ما يكرهه الرب تعالى ويكره
ما يحبه علمنا ان فيه من معاداته بحسب ذلك واذا راينا الشخص يحب ما يحبه الرب ويكره ما يكرهه وكلما كان
الشيء احب الى الرب كان احب اليه وآثر عنده وكلما كان البغض اليه ابغض كان ابغض اليه علمنا ان فيه من موالاة
الرب بحسب ذلك فتمسك بهذا الاصل غاية التمسك في نفسك وفي غيرك فالولاية عبارة عن
موافقة الولي الحميد في محابه ومساخطه ليست بكثرة صوم ولا صلوة ولا تمزق ولا رياضة والمحبوب
لغيره قسمان ايضا احدهما ما يلتذ المحب بادراكه وحصوله والثاني ما يتالم به ولكن يحتمله لافضائه الى المحبوب
كشرب الدواء الكريه قال تعالى كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان
تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون فاخبر سبحانه ان القتال مكروه لهم مع انه خير لهم لافضائه الى
اعظم محبوب النفع والنفوس تحب الراحة والدعة والرفاهية وذلك شر لها لافضائه الى فوات هذا المحبوب فالعاقل لا ينظر
الى لذة المحبوب العاجل فيؤثرها والم المكروه العاجل فيرغب عنه فان ذلك قد يكون شرا له بل قد يجلب عليه غاية
الالم وتفوته اعظم اللذة بل عقلاء الدنيا يتحملون المشاق المكروهة لما يعقبهم من اللذة بعدها وان كانت منقطعة
فالامور اربعة مكروه يوصل الى مكروه ومكروه يوصل الى محبوب ومحبوب يوصل الى محبوب ومحبوب يوصل الى
مكروه فالمحبوب الموصل الى المحبوب قد اجتمع فيه داعي الفعل من جهتين والمكروه الموصل الى مكروه قد اجتمع فيه داعي الترك من
جهتين بقي قسمان الآخران يتجاذبهما الداعيان وهما معترك الابتلاء والامتحان فالنفس تؤثر اقربهما جوارا منها وهو العاجل
والعقل والايمان يؤثر انفعهما وابقاهما والقلب بين الداعيين الى هذا مرة والى هذا مرة وههنا محل الابتلاء شرعا وقدرا فداعي العقل
والايمان ينادي كل وقت حي على الفلاح عند الصباح يحمد القوم السرى وفي الممات يحمد العبد التقى فان اشتد ظلام ليل المحبة
وتحكم سلطان الشهوة والارادة يقول يا نفس اصبري فما هي الا ساعة ثم تنقضي ويذهب هذا كله ويزول

ترق

فصل

واذا كان الحب اصل كل عمل من حق وباطل فاصل الاعمال الدينية حب الله ورسوله كما ان اصل الاقوال الدينية تصديق الله ورسوله وكل ارادة تمنع كمال حب الله ورسوله وتزاحم هذه المحبة وشبهة تمنع كمال التصديق في معارضة لاصل الايمان او مضعفة له فان قويت حتى عارضت اصل الحب والتصديق كانت كفرا وشركا اكبر وان لم تعارضه قدحت في كماله واثرت فيه ضعفا وفتورا في العزيمة والطلب وهي تحجب الواصل وتقطع الطالب وتنكس الراغب فلا تصلح الموالات الا بالمعادات كما قال تعالى عن امام الحنفاء المحبين انه قال لقومه افرايتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين فلم تصلح لخليل الله هذه الموالات والخلة الا بتحقيق هذه المعادات فان ولاية الله لا تصح الا بالبراءة من كل معبود سواه قال تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده وقال تعالى واذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون اي جعل هذه الموالات لله والبراءة من كل معبود سواه كلمة باقية في عقبه يتوارثها الانبياء واتباعهم بعضهم عن بعض وهي كلمة لا اله الا الله وهي التي ورثها امام الحنفاء لاتباعه الى يوم القيمة وهي الكلمة التي قامت بها الارض والسموات وفطر الله عليها جميع المخلوقات وعليها اسست الملة ونصبت القبلة وجردت سيوف الجهاد وهي محض حق الله على جميع العباد وهي الكلمة العاصمة للدم والمال والذرية في هذه الدار والمنجية من عذاب القبر وعذاب النار وهي المنشور الذي لا تدخل الجنة الا به والحبل الذي لا يصل الى الله من لم يتعلق بسببه وهي كلمة الاسلام ومفتاح دار السلام وبها انقسم الناس الى شقي وسعيد ومقبول وطريد وبها انفصلت دار الكفر من دار الاسلام وتميزت دار النعيم من دار الشقاء والهوان وهي العمود الحامل للفرض والسنة ومن كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة وروح هذه الكلمة وسرها افراد الرب جل ثناؤه وتقدست اسماؤه وتبارك اسمه وتعالى جده ولا اله غيره بالمحبة

بلغ تكسير على لسان

والاجلال والتعظيم والخوف والرجاء وتوابع ذلك من التوكل والانابة والرغبة والرهبة
فلا يحب سواه بل كل ما كان يحب غيره فانما هو تبعا لمحبته وكونه وسيلة الى زيادة محبته
ولا يخاف سواه ولا يرجى سواه ولا يتوكل الا عليه ولا يرغب الا اليه ولا يرهب الا منه
ولا يحلف الا باسمه ولا ينذر الا له ولا يتاب الا اليه ولا يطاع الا امره ولا يحتسب الا به
ولا يستغاث في الشدائد الا به ولا يلتجى الا اليه ولا يسجد الا له ولا يذبح الا له وباسمه ويجمع
ذلك في حرف واحد وهو ان لا يعبد بجميع انواع العبادة الا هو فهذا هو تحقيق شهادة
ان لا اله الا الله ولهذا حرم الله على النار من شهد ان لا اله الا الله حقيقة الشهادة
ومحال ان يدخل النار من تحقق بحقيقة هذه الشهادة وقام بها كما قال تعالى
والذين هم بشهاداتهم قائمون فيكون قائما بشهادته في باطنه وظاهره وفي قلبه
وقالبه فان من الناس من تكون شهادته ميتة ومنهم من تكون نائمة اذا نبهت
انتبهت ومنهم من تكون مضطجعة ومنهم من تكون الى القيام اقرب وهي في القلب
بمنزلة الروح في البدن فروح ميتة وروح مريضة الى الموت اقرب وروح الى الحيوة
اقرب وروح صحيحة قائمة بمصالح البدن وفي الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم
انى لاعلم كلمة لا يقولها عبد عند الموت الا وجدت روحه لها روحا فحيوة هذه الروح
بحيوة هذه الكلمة فيها فكما ان حيوة البدن بوجود الروح فيه وكما ان من مات على
هذه الكلمة فهو في الجنة يتقلب فيها فمن عاش على تحقيقها والقيام بها فروحه تتقلب
في جنة المأوى وعيشها اطيب عيش قال تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى
النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى فالجنة مأواه يوم اللقاء وجنة المعرفة
والمحبة والانس بالله والشوق الى لقائه والفرح به والرضى عنه وبه مأوى روحه
في هذه الدار فمن كانت هذه الجنة مأواه ههنا كانت جنة الخلد مأواه يوم المعاد ومن حرم
هذه الجنة فهو لتلك الجنة اشد حرمانا والابرار في نعيم وان اشتد بهم العيش وضاقت
بهم الدنيا والفجار في جحيم وان اتسعت عليهم الدنيا قال تعالى من عمل صالحا
من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة وطيب الحيوة جنة الدنيا قال تعالى

نسخة: وكل ما يحب
نسخة: ليستعان
نسخة: به وعنه

فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا فاى نعيم اطيب من شرح الصدر واى عذاب اضيق من ضيق الصدر وقال تعالى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم [illegible] لله من اطيب الناس عيشا وانعمهم بالا واشرحهم صدرا واسرهم قلبا [illegible] هذه جنة عاجلة قبل الجنة الآجلة قال النبى صلى الله عليه وسلم اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا وما رياض الجنة قال حلق الذكر ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة ومن هذا قوله وقد سألوه عن الوصال في الصوم وقال انى لست كهيئتكم انى اظل عند ربى يطعمنى ويسقينى فاخبر صلى الله عليه وسلم انما يحصل له من الغذاء عند ربه يقوم مقام الطعام والشراب الحسى وان ما يحصل له من ذلك امر مختصا به لا يشركه فيه غيره فاذا امسك عن الطعام والشراب فله عوض عنه يقوم مقامه وينوب منابه ويغنى عنه كما قيل

لها احاديث من ذكراك تشغلها عن الشراب وتلهيها عن الزاد
لها بوجهك نور تستضىء به ومن حديثك في اعقابها حادى
اذا اشتكت من كلال السير اوعدها روح اللقاء فتحيى عند ميعاد

وكل ما كان وجود الشئ انفع للعبد وهو اليه احوج كان تألمه بفقده اشد وكل ما كان عدمه انفع كان تألمه بوجوده اشد ولا شئ على الاطلاق انفع للعبد من اقباله على الله واشتغاله بذكره وتنعمه بحبه وايثاره لمرضاته بل لا حيوة له ولا نعيم ولا سرور ولا بهجة الا بذلك فعدمه آلم شئ له واشد عذابا عليه وانما تغيب الروح عن شهود هذا الالم والعذاب لاشتغالها بغيره واستغراقها في ذلك الغير فتغيب به عن شهود ما هى فيه من الم العقوبة بفراق احب شئ اليها وانفعه لها وهذا بمنزلة السكران المستغرق في سكره الذى احترقت داره وامواله واهله واولاده وهو لاستغراقه في السكر لا يشعر بالم ذلك الفوات وحسرته حتى اذا صحى وكشف عنه غطاء السكر وانتبه من رقدة الخمر فهو اعلم بحاله حينئذ وهكذا الحال سواء عند كشف الغطاء ومعاينة طلائع الآخرة والاشراف على مفارقة الدنيا والانتقال منها الى الله بل الالم والحسرة والعذاب هناك اشد باضعاف مضاعفة اضعاف ذلك فان المصاب في الدنيا يرجو جبر مصيبته في الدنيا بالعوض ويعلم انه قد اصيب بشئ زائل لا بقاء له

وصاله
بعض النسخ فصل
١٦
يحيى
مضاعفة

فكيف بمن مصيبته بما لا عوض عنه ولا بدل منه ولا نسبة بينه وبين الدنيا جميعا فلو قضى الله سبحانه بالموت من هذه الحسرة والندم لكان العبد جديرا به وان الموت لا يعود اكبر امنيته واكبر حسراته هذا لو كان الالم على مجرد الفوات كيف وهناك من العذاب على الروح والبدن امور اخرى وجودية ما لا يقدر قدره فتبارك من حمل هذا الخلق الضعيف هذين الالمين العظيمين اللذين لا تحملها الجبال الرواسي فاعرض على نفسك الآن اعظم محبوب لك في الدنيا بحيث لا تطيب لك الحيوة الا معه فاصبحت وقد اخذ منك وحيل بينك وبينه احوج ما كنت اليه كيف يكون حالك هذا ومنه كل عوض فكيف بمن لا عوض عنه كما قيل ؎ من كل شيء اذا ضيعته عوض ❊ وما من الله ان ضيعته عوض ❊ وفي اثر الالهي ابن آدم خلقتك لعبادتي فلا تلعب وتكفلت برزقك فلا تتعب ابن آدم اطلبني تجدني فان وجدتني وجدت كل شيء وان فتك فاتك كل شيء وانا احب اليك من كل شيء

فصل

ولما كانت المحبة جنسا تحته انواع متفاوتة في القدر والوصف كان اغلب ما يذكر فيها في حق الله تعالى ما يختص به ويليق به من انواعها ولا يصلح الا له وحده مثل العبادة والانابة ونحوهما فان العبادة لا تصلح الا له وحده وكذا الانابة وقد ذكر المحبة باسمها المطلق كقوله تعالى فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه وقوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا اشد حبا لله واعظم انواع المحبة المذمومة المحبة مع الله التي يساوي فيها المحب بين محبة الله ومحبته للند الذي اتخذه من دون الله واعظم انواعها المحمودة محبة الله وحده وهذه المحبة هي اصل السعادة ورأسها التي لا ينجو احد من العذاب الا بها والمحبة المذمومة الشركية هي اصل الشقاوة ورأسها التي لا يبقى في العذاب الا اهلها فاهل المحبة الذين احبوا الله وعبدوه وحده لا شريك له لا يدخلون النار ومن دخلها منهم بذنوبه فانه لا يبقى فيها منهم احد ومدار القرآن على الامر بتلك المحبة ولوازمها والنهي عن المحبة الاخرى ولوازمها وضرب الامثال والمقاييس للنوعين وذكر قصص النوعين وتفصيل اعمال النوعين واوليائهم ومعبود كل منهما واخباره عن فعله بالنوعين وعن

نسخة القرآن

الذل له

الله

تحريك القاسر المحرك

حركة طبيعية

حال النوعين فى الدور الثلث دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار والقرب فى شأن النوعين واصل دعوة جميع الرسل من اولهم الى آخرهم انما هو عبادة الله وحده لاشريك له المتضمنة لكمال حبه وكمال الخضوع والذل له والاجلال والتعظيم ولوازم ذلك من الطاعة والتقوى وقد ثبت فى الصحيحين من حديث انس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال والذى نفسى بيده لايؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين وفى صحيح البخارى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال يارسول الله والله لانت احب الى من كل شئ الا من نفسى فقال لا يا عمر حتى اكون احب اليك من نفسك فقال والذى بعثك بالحق لانت احب الى من نفسى فقال الآن يا عمر فاذا كان هذا شأن محبة عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ووجوب تقديمها على محبة النفس والده وولده والناس اجمعين فما الظن بمحبة مرسله سبحانه وتعالى ووجوب تقديمها على محبة ما سواه ومحبة الرب تعالى تختص عن محبة غيره فى قدرها وصفتها وافراده سبحانه بها فان الواجب له من ذلك كله ان يكون الى العبد احب اليه من ولده ووالده بل من سمعه وبصره ونفسه التى بين جنبيه فيكون الهه الحق ومعبوده احب اليه من ذلك كله والشئ قد يحب من وجه دون وجه وقد يحب لغيره وليس شئ يحب لذاته من كل وجه الا الله وحده ولا تصلح الالوهية الا له لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا والتأله هو المحبة والطاعة والخضوع

فصل

وكل حركة فى العالم العلوى والسفلى فاصلها المحبة فهى علتها الفاعلية والغائية وذلك لان الحركات ثلثة انواع حركة اختيارية ارادية وحركة طبيعية وحركة قسرية فالحركة الطبيعية اصلها السكون وانما يتحرك الجسم اذا خرج عن مستقره ومركزه الطبيعى فهو يتحرك للعود اليه وخروجه عن مركزه ومستقره وانما يتحرك بالمحرك له فله حركة قسرية تحرك بتحريك محركه وقاسره وحركته الطبيعية بذاتها تطلب بها العود الى مركزه وكلا حركتيه تابع للمحرك القاسر فهو اصل الحركتين والحركة الاختيارية الارادية هى اصل الحركتين الآخرتين وهى تابعة للارادة والمحبة فصارت الحركات الثلث تابعة للمحبة والارادة والدليل على انحصار الحركات فى هذه الثلث ان المتحرك ان كان له شعور

بالحركة فهي الارادية وان لم يكن له شعور بها فاما ان يكون على وفق طبعه او لا فالاولى
هي الطبيعية والثانية هي القسرية اذا فهمت هذا فما في السموات والارض وما بينهما من
حركات الافلاك والشمس والقمر والنجوم والرياح والسحاب والمطر والنبات وحركات
الاجنة في بطون امهاتها فانما هي بواسطة الملائكة المدبرات امرا والمقسمات امرا كما
دل على ذلك نصوص القرآن والسنة في غير موضع والايمان بذلك من تمام الايمان
بالملائكة فان الله وكل بالرحم ملائكة وبالقطر ملائكة وبالنبات ملائكة وبالرياح وبالافلاك وبالشمس والقمر والنجوم
ووكل بكل عبد اربعة من الملائكة كاتبين على يمينه وعلى شماله وحافظين من بين يديه
ومن خلفه ووكل ملائكة بقبض روحه وتجهيزها الى مستقرها من الجنة والنار وملائكة
لمسائلته وامتحانه في قبره وعذابه هناك او نعيمه وملائكة تسوقه الى المحشر اذا قام من قبره
وملائكة بتعذيبه في النار او نعيمه في الجنة ووكل بالجبال ملائكة وبالسحاب ملائكة تسوقه
الى حيث امرت به وملائكة بالقطر تنزله بامر الله بقدر معلوم كما شاء الله ووكل ملائكة
بغرس الجنة وعمل آلاتها وفرشها وثيابها والقيام عليها وملائكة بالنار كذلك فاعظم جند الله
الملائكة ولفظ الملك يشعر بانه رسول منفذ لامر غيره فليس لهم من الامر شيء بل الامر كله لله
وهم يدبرون الامر ويقسمونه باذن الله وامره قال تعالى اخبارا عنهم وما نتنزل الا بامر
ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا وقال تعالى وكم من
ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى واقسم سبحانه
بطوائف من الملائكة المنفذين لامره في الخليقة كما قال تعالى والصافات صفا فالزاجرات
زجرا فالتاليات ذكرا وقال والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا
فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا او نذرا وقال تعالى والنازعات غرقا
والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا وقد ذكرنا
معنى ذلك وسر الاقسام في كتاب اقسام القرآن اذا عرفت ذلك فجميع تلك الحياة
والحركات والارادات والافعال هي عبادات لرب الارض والسموات وجميع الحركات
الطبيعية والقسرية تابعة لها فلولا الحب ما دارت الافلاك ولا تحركت الكواكب النيرات

الاولى
ثبت
بمسائلته
وملائكة بنعيمه
١٩٢

ولاهبت الرياح المسخرات ولا مرت السحاب الحاملات ولاتحركت الاجنة فی بطون الامہات ولاانصدع عن الحب انواع النبات ولااضطربت امواج البحار الزاجرات ولاتحركت المدبرات والمقسمات ولاسبحت بحمد فاطرہا الارض والسموات ومافیہما من انواع المخلوقات فسبحان من تسبیحہ السموات السبع والارض ومن فیہن وان من شیٔ الایسبح بحمدہ ولکن لاتفقہون تسبیحہم انہ کان حلیماً غفورا * * *

فصل

اذا عرف ذلک فکل حی لہ ارادۃ ومحبۃ وعمل بحسنہ وکل متحرک فاصل حرکتہ المحبۃ والارادۃ والاصلاح للموجودات الابان تکون حرکاتہا ومحبتہا لفاطرہا وباریہا وحدہ کمالاوجود لہا الابابداعہ وحدہ ولہذا قال تعالے لوکان فیہما آلہۃ الا اللہ لفسدتا فسبحان اللہ رب العرش عما یصفون ولم یقل سبحانہ لماوجدتا ولکانتا معدومتین ولاقال لعدمتا اذہو سبحانہ قادر علے ان یبقیہما علی وجہ الفساد لکن لایمکن ان تکون علی وجہ الصلاح والاستقامۃ الابان یکون اللہ وحدہ ہو معبود لہما ومعبود ماحوتاہ وسکن فیہما فلوکان للعالم الہان لفسد نظامہ غایۃ الفساد فان کل الٰہ یطلب مغالبۃ الاخر والعلو علیہ وتفردہ دونہ بالالہیۃ اذالشرک نقص فی کمال الالہیۃ والالٰہ لایرضی لنفسہ ان یکون الہاناقصا فان قہر احدہما الاخر کان ہو الالٰہ وحدہ والمقہور لیس بالٰہ وان لم یقہر احدہما الاخر لزم عجز کل منہما ونقصہ ولم یکن تام الالہیۃ فیجب ان یکون فوقہما الٰہ قاہر لہما حاکم علیہما والاذہب کل منہما بماخلق وطلب کل منہما العلو علی الاخر وفی ذلک فساد امرالسموات والارض ومن فیہما کما ہو المعہود من فساد البلد اذاکان فیہما ملکان متکافیان وفساد الزوجۃ اذاکان لہما بعلان والشول اذاکان فیہ فحلان واصل فساد العالم انما ہو من فساد الملوک والخلفاء ولہذا لم یطمع اعداء الاسلام فیہم فی زمن من الازمنۃ الافی زمن تعدد الملوک من المسلمین واختلافہم وانفراد کل واحد منہم ببلاد وطلب بعضہم العلو علی بعض فصلاح السموات والارض واستقامتہا وانتظام امرالمخلوقات علی اتم نظام من اظہر الادلۃ علی انہ لاالٰہ الا اللہ وحدہ لاشریک لہ لہ الملک ولہ الحمد یحیی ویمیت وہو علی کل شیٔ قدیر

یصفون

161

ثانی

آخر

فاذ

المسلمین

وان كل معبود من لدن عرشه الى قرار ارضه باطل الا وجهه الاعلى قال الله تعالى ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلى بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون وقال تعالى ام اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وقال تعالى قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا قيل المعنى لابتغوا السبيل اليه بالغلبة والقهر كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض ويدل عليه قوله في الآية الاخرى ولعلى بعضهم على بعض قال شيخنا والصحيح ان المعنى لابتغوا اليه سبيلا بالتقرب اليه وطاعته فكيف تعبدونهم من دونه وهم لو كانوا آلهة كما يقولون لكانوا عبيدا له قال ويدل على هذا وجوه منها قوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه اي هؤلاء الذين تعبدونهم من دوني هم عبادي كما انتم عبادي يرجون رحمتي ويخافون عذابي فلم ذا تعبدونهم من دوني الثاني انه سبحانه لم يقل لابتغوا عليه سبيلا قال لابتغوا اليه سبيلا وهذا اللفظ انما يستعمل في القرب كقوله تعالى اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة واما في المغالبة فانما يستعمل بعلى كقوله فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا الثالث انهم لم يقولوا ان آلهتهم تغالبه وتطلب العلو عليه وهو سبحانه قد قال قل لو كان معه آلهة كما يقولون وهم انما كانوا يقولون ان آلهتهم تبتغي التقرب اليه وتقربهم زلفى اليه قال تعالى لو كان الامر كما تقولون لكانت تلك الآلهة عبيدا له فماذا تعبدون عبيده من دونه

فصل

والمحبة لها آثار وتوابع ولوازم واحكام سواء كانت محمودة او مذمومة نافعة او ضارة من الوجد والذوق والحلاوة والشوق والانس والاتصال بالمحبوب والقرب منه والانفصال عنه والبعد منه والصد والهجران والفرح والسرور والبكا والحزن وغير ذلك من احكامها ولوازمها والمحبة المحمودة هي المحبة النافعة التي تجلب لصاحبها ما ينفعه في دنياه

وآخرته وهذه المحبة هي عنوان السعادة وضدها هي التي تجلب لصاحبها ما يضره في دنياه
وآخرته وهي عنوان الشقاوة ومعلوم ان الحي العاقل لا يختار محبة ما يضره ويشقيه
وانما يصدر ذلك عن جهله وظلمه فان النفس قد تهوى ما يضرها ولا ينفعها وذلك
ظلم من الانسان لنفسه اما ان تكون جاهلة بحال محبوبها بان تهوى الشيء وتحبه غير عالمة
بما في محبته من المضرة وهذا حال من اتبع هواه بغير علم واما عالم بما في محبته من الضرر
لكن يؤثر هواه على علمها وقد تتركب محبتها من امرين من اعتقاد فاسد وهوى وهو
وهذا حال من اتبع الظن وما تهوى الانفس فلا تقع المحبة الفاسدة الا من جهل او اعتقاد
فاسد وهوى غالب او ما تركب من ذلك فاعان بعضه بعضا فيتفق شبهة يشتبه
بها الحق بالباطل يزين له امر المحبوب وشهوة تدعوه الى وصوله فيتساعد جيش الشبهة والشهوة
على جيش العقل والايمان والغلبة لاقواهما اذا عرف هذا فتوابع كل نوع من انواع المحبة
له حكم متبوعه فالمحبة النافعة المحمودة التي هي عنوان سعادة العبد وتوابعها كلها نافعة له
حكمها حكم متبوعها فان بكى نفعه وان حزن نفعه وان فرح نفعه وان انبسط نفعه
وان انقبض نفعه فهو يتقلب في منازل المحبة واحكامها في مزيد وربح وقوة والمحبة المضرة
المذمومة توابعها وآثارها كلها ضارة لصاحبها مبعدة له من ربه كيف ما تقلب في آثارها
ونزل في منازلها فهو في خسارة وبعد وهذا شأن كل فعل تولد عن طاعة ومعصية
فكل ما تولد من الطاعة فهو زيادة لصاحبه وقربه وكل ما تولد من المعصية فهو خسران
لصاحبه وبعد قال تعالى ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله
ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان
الله لا يضيع اجر المحسنين ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب
لهم ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون فاخبر سبحانه في الآية الاولى ان المتولد عن
طاعتهم وافعالهم يكتب لهم به عمل صالح واخبر في الثانية ان اعمالهم الصالحة التي باشروها
تكتب لهم انفسها والفرق بينهما ان الاول ليس من فعلهم وانما تولد عنه فكتب لهم به
عمل صالح والثاني نفس افعالهم فكتب لهم فليتأمل قبيل المحبة هذا الفصل حق التأمل

يعلم ماله وما عليه ~ سيعلم يوم العرض اي بضاعة * اضاع وعند الوزن ما كان حصلا *

فصل

ولما كان المحبة والارادة اصل كل فعل كما تقدم فهي اصل كل دين سواء كان حقا ام باطلا فان الدين هو من الاعمال الباطنة والظاهرة والمحبة والارادة اصل ذلك كله والدين هو الطاعة والعبادة والخلق فهو الطاعة اللازمة الدائمة التي صارت خلقا وعادة ولهذا فسر الخلق بالدين في قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم قال الامام احمد عن ابن عيينة قال ابن عباس لعلى دين عظيم وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن والدين فيه معنى الاذلال والقهر وفيه معنى الذل والخضوع والطاعة فلذلك يكون من الاعلى الى الاسفل كما يقال دنته فدان اي قهرته فذل قال الشاعر ~

هو دان الرباب اذ كرهوا الدين * فاصبحوا البغرة وصيان * ويكون من الادنى الى الاعلى كما يقال دنت الله ودنت لله وفلان لا يدين الله دينا ولا يدين الله بدين فدان الله اي اطاع الله واحبه وخافه ودان لله اي خشع له وخضع وذل وانقاد والدين الباطن لا بد فيه من الخضوع والحب كالعبادة سواء بخلاف الدين الظاهر فانه لا يستلزم الحب وان كان فيه انقياد وذل في الظاهر وسمى الله تعالى يوم القيمة يوم الدين لانه اليوم الذي يدين فيه الناس باعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر وذلك يتضمن جزاؤهم وحسابهم فلذلك فسر بيوم الجزاء ويوم الحساب وقال تعالى فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين اي هلا تردون الروح الى مكانها ان كنتم غير مربوبين ولا مقهورين ولا مجزيين وهذه الآية تحتاج الى تفسير فانها سيقت للاحتجاج عليهم في انكارهم البعث والحساب ولا بد ان يكون الدليل مستلزما لمدلوله بحيث ينتقل الذهن منه الى المدلول لما بينهما من التلازم فيكون الملزوم دليلا على لازمه ولا يجب العكس ووجه الاستدلال انهم اذا انكروا البعث والجزاء فقد كفروا بربهم وانكروا قدرته وربوبيته وحكمته فاما ان يقروا بان لهم ربا قاهرا متصرفا فيهم يميتهم اذا شاء ويحييهم اذا شاء ويامرهم وينهاهم ويثيب محسنهم ويعاقب مسيئهم واما ان لا يقروا برب هذا شانه فان اقروا به آمنوا بالبعث

ادنى الزمان لهذا

١٦٧

فانه

فسروا

فكل ملزوم

والنشور والدين الامري والجزائي وان انكروه كفروا به فقد زعموا انهم غير مربوبين ولا محكوم
عليه ولا لهم رب يتصرف فيهم كما اراد فهلا يقدرون على دفع الموت عنهم اذا جاءهم وعلى
رد الروح الى مستقرها اذا بلغت الحلقوم وهذا خطاب للحاضرين وهم عند المحتضر وهم يعاينون
موته اي فهلا يردون الروح الى مكانها ان كان لهم قدرة وتصرف ولستم بمربوبين ولا مقهورين
لقاهر قادر يمضي عليكم احكامه وينفذ فيكم اوامره وهذه غاية التعجيز لهم اذ تبين عجزهم عن
رد نفس واحدة الى مكانها ولو اجتمع على ذلك الثقلان فيا لها من آية دلت على وحدانيته
وربوبيته سبحانه وتصرفه في عباده ونفوذ احكامه فيهم وجريانها عليهم الدين دينان دين شرعي
امري ودين حسابي جزائي وكلاهما لله وحده فالدين كله لله امرا وجزاء والمحبة اصل كل واحد من
الدينين فان ما شرعه وامر به فانه يحبه ويرضاه وما نهى عنه فانه يكرهه ويبغضه لمنافاته لما يحبه ويرضاه فهو يحب ضده فعاد دينه
الامري كله الى محبته ورضاه ودين العبد لله به انما يقبل اذا كان عن محبة ورضى كما قال
النبي صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا
وهذا الدين قائم بالمحبة وبسببها شرع ولاجلها شرع وعليها اسس وكذلك دينه الجزائي
فانه يتضمن مجازات المحسن باحسانه والمسيئ باساءته وكل من الامرين محبوب للرب فانهما
عدله وفضله وكلاهما من صفات كماله وهو سبحانه يحب صفاته واسماءه ويحب من يحبها وكل
واحد من الدينين فهو صراطه المستقيم الذي هو عليه فهو سبحانه على صراط مستقيم في امره ونهيه
وثوابه وعقابه كما قال تعالى اخبارا عن نبيه هود عليه السلام انه قال لقومه اني اشهد الله
واشهدوا اني بريئ مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اني توكلت على
الله ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم ولما علم نبي الله ان
ربه على صراط مستقيم في خلقه وامره وثوابه وعقابه وقضائه وقدره ومنعه وعطائه وعافيته
وبلائه وتوفيقه وخذلانه لا يخرج في ذلك عن موجب كماله المقدس الذي تقتضيه
اسماءه وصفاته من العدل والحكمة والرحمة والاحسان والفضل ووضع الثواب في
مواضعه والعقوبة في موضعها اللائق بها ووضع التوفيق والخذلان والعطاء والمنع والهدى
والاضلال كل ذلك في اماكنه ومحاله اللائقة به بحيث يستحق على ذلك كمال الحمد والثناء

يمكنان الى مكانها والله

١٦٨

مخرج

اوجب له ذلك العلم والعرفان اذ نادی علی رؤس الملأ من قومه بجنان ثابت وقلب غیر خائف بل متجرد للہ انی اشهد اللہ واشهدوا انی بری مما تشرکون من دونه الآیة ثم اخبر عن عموم قدرته وقهره بکل ما سواه وذل کل شئ لعظمته فقال ما من دابة الا هو آخذ بناصیتها فکیف اخاف من ناصیته بید غیره وهو فی قبضته وتحت قهره وسلطانه دونه وهل هذا الا من اجهل الجهل واقبح الظلم ثم اخبر انه سبحانه علی صراط مستقیم فکل ما یقضیه ویقدره فلا یخاف العبد جوره ولا ظلمه فلا اخاف ما دونه فان ناصیته بیده ولا اخاف جوره وظلمه فانه علی صراط مستقیم وهو سبحانه ماض فی عبده حکمه عدل فیه قضاؤه له الملک وله الحمد لا یخرج فی تصرفه فی عباده عن العدل والفضل ان اعطی واکرم وهدی ووفق فبفضله ورحمته وان منع واهان واضل وخذل واشقی فبعدله وحکمته وهو علی صراط مستقیم فی هذا وهذا وفی الحدیث الصحیح ما اصاب عبد قط هم ولا حزن فقال اللهم انی عبدک ابن عبدک ابن امتک ناصیتی بیدک ماض فی حکمک عدل فی قضاؤک اسئلک اللهم بکل اسم هو لک سمیت به نفسک او انزلته فی کتابک او علمته احدا من خلقک او استأثرت به فی علم الغیب عندک ان تجعل القرآن العظیم ربیع قلبی ونور صدری وجلاء همی وحزنی وذهاب همی وغمی الا اذهب اللہ همه وغمه وابدله فرجا مکانه وهذا یتناول حکم الرب الکونی والامری والقضاء الذی یکون باختیار العبد وبغیر اختیاره وکلا الحکمین ماض فی عبده وکلا القضائین عدل فیه فهذا الحدیث مشتق من هذه الآیة بینهما اقرب نسب وباللہ التوفیق ۞

فصل

ونختم الجواب بفصل متعلق بعشق الصور وما فیه من المفاسد العاجلة والآجلة وان کانت اضعاف ما یذکره ذاکر فانه یفسد القلب بالذات واذا فسد فسدت الارادات والاقوال والاعمال وفسد ثغر التوحید کما تقدم وسنقرره ایضا ان شاء اللہ تعالیٰ واللہ سبحانه وتعالیٰ انما حکی هذا المرض عن طائفتین من الناس وهم اللوطیة والنساء فاخبر عن عشق امرأة العزیز لیوسف وما راودته وکادته به واخبر عن الحال التی صار الیها یوسف بصبره وعفته وتقواه مع ان الذی ابتلی به امر لا یصبر علیه الا من صبره اللہ علیه فان موافقة الفعل

١٦٩

بحسب قوة الداعي وزوال المانع وكان الداعي ههنا في غاية القوة وذلك لوجوه
احدها ما ركب الله سبحانه في طبع الرجل من ميله الى المرأة كما يميل العطشان الى الماء
والجائع الى الطعام حتى ان كثيرا من الناس يصبر عن الطعام والشراب ولا يصبر عن النساء
وهذا لا يلام اذا صادف حلالا بل يحمد كما في كتاب الزهد للامام احمد من حديث يوسف
ابن عطية الصفار عن ثابت البناني عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم حبب الي
من دنياكم الطيب والنساء اصبر عن الطعام والشراب ولا اصبر عنهن الثاني ان يوسف
عليه السلام كان شابا وشهوة الشاب وحدته اقوى الثالث انه كان عزبا لا زوجة له
ولا سرية تكسر شدة الشهوة الرابع انه كان في بلاد غربة يتأتى للغريب فيها من قضاء الوطر
ما لا يتأتى لغيره في وطنه واهله ومعارفه الخامس ان المرأة كانت ذات منصب وجمال بحيث ان
كل واحد من هذين الامرين يدعو الى موافقتها السادس انها غير آبية ولا ممتنعة فان كثيرا من الناس
يزيل رغبته في المرأة اباؤها وامتناعها لما يجد في نفسه من ذل الخضوع والسؤال لها وكثير
من الناس يزيده الاباء والامتناع زيادة حب كما قال الشاعر ؎ وزادني كلفا في
الحب ان منعت * احب شئ الى الانسان ما منعا * فطباع الناس مختلفة في ذلك
فمنهم من يتضاعف حبه عند بذل المرأة ورغبتها وتضمحل عند ابائها وامتناعها واخبرني بعض
القضاة ان ارادته وشهوته تضمحل عند امتناع زوجته او سريته وابائها بحيث لا يعاودها ومنهم
من يتضاعف حبه وارادته بالمنع ويشتد شوقه بكل ما منع وتحصل له من اللذة بالظفر نظير
ما يحصل من لذة بالظفر بالضد بعد امتناعه ونفاره واللذة بادراك المسئلة بعد استصعابها
وشدة الحرص على ادراكها السابع انها طلبت وارادت وبذلت الجهد فكفته مؤنة الطلب
وذل الرغبة اليها بل كانت هي الراغبة الذليلة وهو العزيز المرغوب اليه الثامن انه
في دارها وتحت سلطانها وقهرها بحيث يخشى ان لم يطاوعها من اذاها له فاجتمع داعي
الرغبة والرهبة التاسع انه لا يخشى ان تنم عليه هي ولا احد من جهتها فانها هي الطالبة
والراغبة وقد غلقت الابواب وغيبت الرقباء العاشر انه كان مملوكا لها في الدار
بحيث يدخل ويخرج ويحضر معها ولا ينكر عليه وكان الانس سابقا على الطلب وهو

يذم

بين موافقتها

الامن

من اقوی الدواعی کما قیل لامرأۃ شریفۃ من اشراف العرب ماحملک علی الزنا قالت
قرب الوساد وطول السرار یعنی قرب وساد الرجل من وسادتی وطول السرار بیننا
الحادی عشر انہا استعانت علیہ بائمۃ المکر والاحتیال فارتہ ایاہن وشکت حالہا الیہن لتستعین
بہن علیہ فاستعان ہو باللہ علیہن فقال والا تصرف عنی کیدہن اصب الیہن واکن
من الجاہلین الثانی عشر انہا توعدتہ بالسجن والصغار وہذا النوع اکراہ اذ ہو تہدید من
یغلب علی الظن وقوع ما ہدد بہ فیجتمع داعی الشہوۃ وداعی السلامۃ من ضیق السجن
والصغار الثالث عشر ان الزوج لم یظہر منہ الغیرۃ والنخوۃ ما یفرق بہ بینہما ویبعد کلا منہما عن
صاحبہ بل کان غایۃ ما خاطبہما بہ ان قال لیوسف اعرض عن ہذا وللمرأۃ استغفری
لذنبک انک کنت من الخاطئین وشدۃ الغیرۃ للرجل من اقوی الموانع وہنا لم یظہر
منہ غیرۃ ومع ہذہ الدواعی کلہا فاثر مرضات اللہ وخوفہ وحملہ حبہ للہ علی ان اختار
السجن علی الزنا فقال رب السجن احب الی مما یدعوننی الیہ وعلم انہ لا یطیق صرف
ذلک عن نفسہ وان ربہ تعالی ان لم یعصمہ ویصرف عنہ کیدہن صبا الیہن بطبعہ وکان
من الجاہلین وہذا من کمال معرفتہ بربہ وبنفسہ وفی ہذہ القصۃ من العبر والفوائد
والحکم ما یزید علی الف فائدۃ لعلنا ان وفقنا اللہ ان نفردہا فی مصنف مستقل

فصل

والطائفۃ الثانیۃ الذین حکی اللہ عنہم العشق ہم اللوطیۃ کما قال تعالی وجاء اہل
المدینۃ یستبشرون قال ان ہؤلاء ضیفی فلا تفضحون واتقوا اللہ ولا تخزون قالوا
الم ننہک عن العالمین قال ہؤلاء بناتی ان کنتم فاعلین لعمرک انہم لفی سکرتہم
یعمہون فحکاہ سبحانہ عن طائفتین عشق کل منہما ما حرم علیہ من الصور ولم یبال بما فی
عشقہ من الضرر وہذا داء اعیی الاطباء دواؤہ وعز علیہم شفاؤہ وہو واللہ الداء العضال
والسم القتال الذی ما علق بقلب الا عز علی الوری استنقاذہ من اسارہ
ولا اشتعلت نارہ فی مہجۃ الا وصعب علی الخلق تخلیصہا من نارہ وہو اقسام
وہو تارۃ یکون کفرا لمن اتخذ معشوقہ ندا یحبہ کما یحب اللہ فکیف اذا کانت

السواد السواد
فارتہ اباہ
القوۃ
قابلہا
۱۷۱
عشقت
لعمر اللہ
فائدہ

محبتہ اعظم من محبۃ اللہ فی قلبہ فہذا عشق لا یغفر لصاحبہ فانہ من اعظم الشرک واللہ لا یغفر ان یشرک بہ وانما یغفر بالتوبۃ الماحیۃ وعلامۃ ہذا العشق الشرکی الکفری ان یقدم العاشق رضاء معشوقہ علی رضاء ربہ واذا تعارض عندہ حق معشوقہ وحقہ وحق ربہ وطاعتہ قدم حق معشوقہ علی حق ربہ وآثر رضاہ علی رضاہ وبذل لمعشوقہ النفس ما یقدر علیہ وبذل لربہ ان بذل اردی ما عندہ واستفرغ وسعہ فی مرضات معشوقہ وطاعتہ والتقرب الیہ وجعل لربہ ان اطاعہ الفضلۃ التی تفضل عن معشوقہ من ساعاتہ فتأمل حال اکثر عشاق الصور ہل تجدہا مطابقۃ لذلک ثم ضع حالہم فی کفۃ وتوحیدہم فی کفۃ وایمانہم فی کفۃ ثم زن وزنا یرضی اللہ ورسولہ ویطابق العدل وربما صرح العاشق منہم بان وصل معشوقہ احب الیہ من توحید ربہ کما قال العاشق الخبیث ۔ یترشفن من فمی رشفات ہن احلی فیہ من التوحید ۔ وکما صرح الخبیث الآخر بان وصل معشوقہ اشہی الیہ من رحمۃ ربہ نعیذ بک اللہم من ہذا الخذلان ومن ہذا الحال قال الشاعر ۔ وصلک اشہی الی فؤادی ۔ من رحمۃ الخالق الجلیل ۔ ولا ریب ان ہذا العشق من اعظم الشرک وکثیر من العشاق یصرح بانہ لم یبق فی قلبہ موضع لغیر معشوقہ البتہ بل قد ملک معشوقہ علیہ قلبہ کلہ فصار عبدا مخلصا من کل وجہ لمعشوقہ فقد رضی ہذا من عبودیۃ الخالق جل جلالہ بعبودیۃ المخلوق مثلہ فان العبودیۃ ہی کمال الحب والخضوع وہذا قد استغرق قوۃ حبہ وخضوعہ وذلہ لمعشوقہ فقد اعطاہ حقیقۃ العبودیۃ ولا نسبۃ بین مفسدۃ ہذا الامر العظیم ومفسدۃ الفاحشۃ فان تلک ذنب کبیر لفاعلہ حکم امثالہ ومفسدۃ ہذا العشق مفسدۃ الشرک وکان لبعض الشیوخ من العارفین یقول لئن ابتلی بالفاحشۃ مع تلک الصورۃ احب الی من ان ابتلی فیہا بعشق یتعبد لہا قلبی ویشغلہ عن اللہ ۔

فصل

ودواء ہذا الداء القتال ان یعرف انما ابتلی بہ من الداء المضاد للتوحید اولا ثم یاتی من العبادات الظاہرۃ والباطنۃ بما یشغل قلبہ عن دوام الفکر فیہ ویکثر اللجاء والتضرع الی اللہ سبحانہ فی صرف ذلک عنہ وان یرجع بقلبہ الیہ ولیس لہ دواء انفع من الاخلاص

لصاحبہ

الشاعر

۱۷۲

استفرغ

الامر

لله وهو الدواء الذي ذكره الله في كتابه حيث قال كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين فاخبر سبحانه انه صرف عنه السوء من العشق والفحشاء من الفعل باخلاصه فان القلب اذا خلص واخلص عمله لله لم يتمكن منه عشق الصور فانه انما يتمكن من قلب فارغ كما قال ۔ اتاني هواها قبل ان اعرف الهوى ✽ فصادف قلبا خاليا فتمكنا ✽ وليعلم العاقل ان العقل والشرع موجبان تحصيل المصالح وتكميلها واعدام المفاسد وتقليلها فاذا اعرض للعاقل امر يرى فيه المصلحة والمفسدة وجب عليه امران امر علمي وامر عملي فالعلمي طلب معرفة الراجح من طرفي المصلحة والمفسدة فاذا تبين له الرجحان وجب عليه ايثار الاصلح له ومن المعلوم انه ليس في عشق الصور مصلحة دينية ولا دنيوية بل مفسدته الدينية والدنيوية اضعاف اضعاف ما يقدر فيه من المصلحة وذلك من وجوه احدها الاشتغال بذكر المخلوق وحبه عن حب الرب تعالى وذكره فلا يجتمع في القلب هذا وهذا الا ويقهر احدهما صاحبه ويكون السلطان والغلبة له الثاني عذاب قلبه بمعشوقه فان من احب شيئا غير الله عذب به ولا بد كما قيل ۔ فما في الارض اشقى من محب ✽ وان وجد الهوى حلو المذاق ✽ تراه باكيا في كل حين ✽ مخافة فرقة او لاشتياق ✽ فيبكي ان نأوا شوقا اليهم ✽ ويبكي ان دنوا خوف الفراق ✽ فتسخن عينه عند الفراق ✽ وتسخن عينه عند التلاق ✽ والعشق وان استلذ به صاحبه فهو من اعظم عذاب القلب الثالث ان العاشق قلبه اسير في قبضة معشوقه يسومه الهوان ولكن لسكرة العشق لا يشعر بمصابه فقلبه كالعصفور في كف الطفل يسومها حياض الردى والطفل يلهو ويلعب فيعيش العاشق عيش الاسير الموثق وعيش الخلي عيش المسيب المطلق والعاشق كما قيل ۔ طليق برأي العين وهو اسير ✽ عليل على قطب الهلاك يدور ✽ وميت يرى في صورة الحي غاديا ✽ وليس له حتى النشور نشور ✽ اخو غمرات ضاع فيهن قلبه ✽ فليس له حتى الممات حضور ✽ الرابع انه يشتغل به عن مصالح دينه ودنياه فليس شيء اضيع لمصالح الدين والدنيا من عشق الصور اما مصالح الدين فانها منوطة بلم شعث القلب واقباله على الله وعشق الصور اعظم شيء تشعيثا له وتشتيتا واما مصالح الدنيا فهي تابعة في الحقيقة

فارغا
قد يوجبان
ايثار
نسخہ: ايثار الاصلح ... (حاشیہ)
١٧٦
عذر
استعذبه العاشق
كالعصفورة يسومها
المعشوق
عند اخو
بالم في الم التشعث
تشعيثا

لمصالح الدين فمن انفرطت عليه مصالح دينه وضاعت عليه فمصالح دنياه اضيع
واضيع الخامس ان آفات الدنيا والآخرة اسرع الى عشاق الصور من النار فى
يابس الحطب وسبب ذلك ان القلب كلما قرب من العشق وقوى اتصاله
به بعد عن الله فابعد القلوب من الله قلوب عشاق الصور واذا بعد القلب من الله
طرقته الآفات من كل ناحية فان الشيطان يتولاه ومن تولاه عدوه واستولى عليه
لم يأله وبالا ولم يدع اذا امكنه ايصاله اليه الا اوصله فما الظن بقلب تمكن منه عدوه
واحرص الخلق على غيه وفساده وبعده من وليه ومن لا سعادة له ولا فلاح ولا سرور الا بقربه
وولايته السادس انه اذا تمكن من القلب واستحكم وقوى سلطانه افسد الذهن واحدث
الوساوس وربما التحق صاحبه بالمجانين الذين فسدت عقولهم فلا ينتفعون بها
واخبار العشاق فى ذلك موجودة فى مواضعها بل بعضها يشاهد بالعيان واشرف
ما فى الانسان عقله وبه يتميز عن سائر الحيوانات فاذا عدم عقله التحق بالبهائم بل
ربما كان حال الحيوان اصلح من حاله وهل اذهب عقل مجنون ليلى واضر به الا العشق

وربما زاد جنونه على جنون غيره كما قيل ٥ قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم *
العشق اعظم مما بالمجانين * العشق لا يستفيق الدهر صاحبه * وانما يصرع المجنون فى الحين *
السابع انه ربما افسد الحواس او نقصها اما فسادا معنويا او صوريا اما الفساد المعنوى
فهو تابع لفساد القلب فان القلب اذا فسد فسدت العين والاذن واللسان
فيرى القبيح حسنا منه ومن معشوقه كما فى المسند مرفوعا حبك الشئ يعمى ويصم فهو
يعمى عين القلب عن رؤية مساوى المحبوب وعيوبه فلا ترى العين ذلك ويصم
اذنه عن الاصغاء الى العذل فيه فلا تسمع الاذن ذلك والرغبات تستر العيوب فان
الراغب فى الشئ لا يرى عيوبه حتى اذا زالت رغبته فيه
ابصر عيوبه فشدة الرغبة غشاوة على العين تمنع من رؤية الشئ على ما هو عليه كما قيل
٥ هويتك اذ عينى عليها غشاوة * فلما انجلت قطعت نفسى الوم * والداخل
فى الشئ لا يرى عيوبه والخارج منه الذى لم يدخل فيه لا يرى عيوبه ولا يرى عيوبه

الامن دخل فيه ثم خرج منه ولهذا كان الصحابة الذين كانوا في الاسلام بعد الكفر خير من الذين ولدوا في الاسلام قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه انما ينقض عرى الاسلام عروة عروة اذا ولد في الاسلام من لا يعرف الجاهلية واما فساده للحواس ظاهر افانه يمرض البدن وينهكه وربما ادى الى تلفه كما هو المعروف في اخبار من قتله العشق وقد رفع الى ابن عباس وهو بعرفة شاب قد انحل حتى عاد جلدا على عظم فقال ما شان هذا قالوا به العشق فجعل ابن عباس يستعيذ بالله من العشق عامة يومه الثامن ان العشق كما تقدم هو الافراط في المحبة بحيث يستولي المعشوق على القلب من العاشق حتى لا يخلو من تخيله وذكره والفكر فيه بحيث لا يغيب عن خاطره وذهنه فعند ذلك تشتغل النفس بالخواطر النفسانية فتتعطل تلك القوى فيحدث بتعطيلها من الآفات على البدن والروح ما يعز دواؤه ويتعذر فتتغير افعاله وصفاته ومقاصده ويختل جميع ذلك فتعجز البشر عن صلاحه كما قيل

الحب اول ما يكون لجاجة * يأتي بها وتسوقه الاقدار * حتى اذا خاض الفتى لجج الهوى * جاءت امور لا تطاق كبار * والعشق مباديه سهلة حلوة واوسطه هم وشغل قلب وسقم وآخره عطب وقتل ان لم يتداركه عناية من الله كما قيل

وعش خاليا فالحب اوله عنا * واوسطه سقم وآخره قتل * وقال آخر

تولع بالعشق حتى عشق * فلما استقل به لم يطق * رأى لجة ظنها موجة * فلما تمكن منها غرق * والذنب له فهو الجاني على نفسه وقد قعد تحت المثل السائر

يداك اوكتا وفوك نفخ *

فصل

والعاشق له ثلث مقامات مقام ابتداء ومقام توسط ومقام انتهاء فاما مقام ابتدائه فالواجب عليه مدافعته بكل ما يقدر عليه اذا كان الوصول الى معشوقه متعذرا قدرا او شرعا فان عجز عن ذلك وابى قلبه الا السفر الى محبوبه وهذا مقام التوسط والانتهاء فعليه كتمانه ذلك وان لا ينسبه الى الخلق ولا يسبب

وخلوا ٺ

قتله صار كالفرخ ٺ

عن ايضا الخيالي والقوي الفكرية ٺ

احواله ٺ

١٧٥

بقدر ٺ

ينشره ٺ فشيه لشمت ٺ

بمحبوبه ولا يهتكه بين الناس فيجمع بين الظلم والشرک فان الظلم فی ہذا الباب من
اعظم انواع الظلم وربما کان اعظم ضررا علی المعشوق واہله من ظلمه فی ماله فانه
یعرض المعشوق بهتکه فی عشقه الی وقوع الناس فیه وانقسامهم الی مصدق
ومکذب واکثر الناس یصدق فی ہذا الباب بادنی شبهة واذا قیل فلان فعل
بفلان او بفلانة کذبه واحد وصدقه تسعمائة وتسعة وتسعین وخبر العاشق للمتک عند
المهتک عند الناس فی هذا الباب یفید القطع الیقین بل اذا اخبرهم المفعول
به عن نفسه کذبا وافتراء علی غیره جزموا بصدقه جزما لا یحتمل النقیض بل لو
جمعهما مکانا واحدا اتفاقا جزموا ان ذلک عن وعد واتفاق بینهما وجزمهم فی ہذا
الباب علی الظنون والتخییل والشبهة والاوہام والاخبار الکاذبة کجزمهم بالحسیات
المشاہدة وبذلک وقع اہل الافک فی الطیبة المطیبة حبیبة رسول الله صلی الله
علیه وسلم المبرأة من فوق سبع سموات بشبهة مجئ صفوان بن المعطل بها
وحده خلف العسکر حتی ہلک من ہلک ولولا ان تولی الله سبحانه براءتها
والذب عنها وتکذیب قاذفها لکان امر آخر والمقصود ان فی اظهار المبتلی عشق من لا
یحل له الاتصال به من ظلمه واذاه ما ہو عدوان علیه وعلی اہله وتعریض لتصدیق کثیر
من الناس ظنونهم فیه فان استعان علیه بمن یستمیله الیه اما برغبة او رہبة تعدی الظلم وانتشر
وصار ذلک الواسطة بین الراشی والمرتشی صار ذلک الواسطة ظالم واذا کان النبی
صلی الله علیه وسلم قد لعن الرائش وہو الواسطة دیوثا ظالما بین الراشی والمرتشی لایصال
الرشوة فما الظن بالدیوث الواسطة بین العاشق والمعشوق فی الوصلة المحرمة فیتساعد
العاشق والمعشوق فی الوصلة المحرمة فیتساعد العاشق علی ظلم المعشوق وغیره ممن
یتوقف حصول غرضهما علی ظلمه فی نفس او مال او عرض فان کثیرا ما یتوقف حصول
غرضه علی قتل نفس یکون حیاتها مانعة من غرضه وکم قتیل ظل دمه بهذا السبب من
زوج وسید وقریب وکم خببت امرأة علی بعلها وجاریة وعبد علی سیدها وقد
لعن رسول الله صلی الله علیه وسلم من فعل ذلک وتبرأ منه وہو من اکبر الکبائر واذا

الظن الیقینی

لجزموا

176

فی الیصال

المطلوب

فکم من قتل

خببت عن

كان النبي صلى الله عليه وسلم قد نهى ان يخطب الرجل على خطبة اخيه وان يستام
على سومه فكيف بمن يسعى بالتفريق بينه وبين امرأته وامته حتى يتصل بهما وعشاق
الصور ومساعدوهم من الديثة لا يرون ذلك ذنبا فان في طلب العاشق وصل
معشوقه ومشاركة الزوج والسيد ففي ذلك من اثم ظلم الغير ما لعله لا يقصر عن اثم
الفاحشة ان لم يربو عليها ولا يسقط حق الغير بالتوبة من الفاحشة فان التوبة وان
اسقطت حق الله فحق العبد باق له المطالبة به يوم القيمة فان من ظلمه بافساد ولده
وفلذة كبده ومن هو اعز عليه من نفسه فظلم الزوج بافساد حبيبته والجناية على فراشه اعظم
من ظلمه باخذ ماله كله ولهذا يؤذيه ذلك اعظم مما يؤذيه باخذ ماله ولا يعدل ذلك
عنده الا سفك دمه فيا له من ظلم اعظم اثما من فعل الفاحشة فان كان ذلك
حقا لغاز في سبيل الله وقف له الجاني الفاعل يوم القيمة وقيل له خذ من حسناته
ما شئت كما اخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال صلى الله عليه وسلم فما ظنكم اي فما
تظنون يبقى له من حسناته فان انضاف الى ذلك ان يكون المظلوم جارا او ذا
رحم محرم تعدد الظلم وصار ظلما مؤكدا لقطيعة الرحم واذى الجار ولا يدخل الجنة قاطع
رحم ولا من لا يأمن جاره بوائقه فان استعان العاشق على وصال معشوقه
بشياطين الجن اما بسحر او استخدام او نحو ذلك ضم الى الشرك والظلم كفر السحر فان
لم يفعله هو ورضي به كان راضيا بالكفر غير كاره لحصول مقصوده وهذا ليس ببعيد
من الكفر والمقصود ان التعاون في هذا الباب تعاون على الاثم والعدوان واما
ما يقترن بحصول غرض العاشق من الظلم المنتشر المتعدي ضرره فامر لا يخفى فانه
اذا حصل له مقصوده من المعشوق فللمعشوق امورا اخر يريد من العاشق اعانته
عليها فلا يجد من اعانته بدا فيبقى كل منهما يعين الآخر على الظلم والعدوان فالمعشوق
يعين العاشق على ظلم من اتصل به من اهله واقاربه وسيده وزوجه والعاشق
يعين المعشوق على ظلم من يكون غرض المعشوق متوقفا على ظلمه فكل منهما يعين
الآخر على اغراضه التي يكون فيها ظلم الناس فيحصل العدوان والظلم للناس بسبب اشتراكهما

اذ — ظلم الوالد — الخيانة — ١٧٧ — الانس — يفترون — اغراض

في القبيح لتعاونهما بذلك على الظلم وكما جرت العادة بين العشاق والمعشوقين من
اعانة العاشق لمعشوقه على ما فيه ظلم وعدوان وبغي حتى ربما يسعى له في منصب
لا يليق الا به ولا يصلح لمثله في تحصيل مال من غير حله وفي استطالته على غيره فاذا
اختصم معشوقه وغيره او تشاكيا لم يكن الا في جانب المعشوق ظالما كان او مظلوما
هذا الى ما ينضم الى ذلك من ظلم العاشق للناس بالتحيل على اخذ اموالهم والتوصل
بها الى معشوقه بسرقة او غصب او خيانة او يمين كاذبة او قطع طريق ونحو ذلك وربما
ادى ذلك الى قتل النفس التي حرم الله ليأخذ ماله ليتوصل به الى معشوقه فكل هذه
الآفات واضعافها واضعاف اضعافها تنشأ من عشق الصور وربما حمله على الكفر الصريح
وقد تنصر جماعة ممن نشأ في الاسلام بسبب معشوقه كما جرى لبعض المؤذنين
حين ابصر امرأة جميلة على سطح ففتن بها فنزل ودخل عليها وسألها نفسها فقالت
هي نصرانية فان دخلت في ديني تزوجت بك ففعل فرقي في ذلك اليوم على درجة
عندهم فسقط منها فمات ذكر هذا عبد الحق في كتاب العاقبة له واذا اراد النصارى ان
ينصروا الاسير اراوه امرأة جميلة وامروها ان تطمعه في نفسها حتى اذا تمكن حبها من قلبه
بذلت له نفسها ان دخل في دينها فهنالك يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت
في الحيوة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء وفي العشق من
ظلم كل واحد من العاشق والمعشوق لصاحبه لمعاونته له على الفاحشة وظلمه لنفسه فكل
منهما ظالم لنفسه وصاحبه وظلمهما متعد الى الغير كما تقدم واعظم من ذلك ظلمهما بالشرك
فقد تضمن العشق انواع الظلم كلها والمعشوق اذا لم يتق الله فانه يعرض العاشق للتلف
وذلك ظلم منه بان يطمعه في نفسه ويتزين له ويستميله بكل طريق حتى يستخرج منه ماله
ونفعه ولا يمكنه من نفسه لئلا يزول غرضه بقضاء وطره منه فهو يسومه سوء العذاب والعاشق
ربما قتل معشوقه ليشفي نفسه منه ولا سيما ان جاد بالوصال لغيره وكم للعشق من
قتيل من الجانبين وكم قد ازال من نعمة وافقر من غنى واسقط من مرتبة وشتت من شمل
وكم افسد من اهل للرجل وولده فان المرأة اذا رأت بعلها عاشقا لغيرها اتخذت هي معشوقا

دشمن

العشق

الى سطح مسجد امرأة

قتيل العشق

لنفسها فيصير الرجل مترددا بين خراب بيته بالطلاق وبين القيادة فمن الناس
من لم يؤثر هذا ومنهم من لم يؤثر هذا فعلى العاقل ان يحكم على نفسه بعشق الصور لئلا
يؤذيه ويؤديه ذلك الى الهلاك والى هذه المفاسد او اكثرها او بعضها فمن فعل ذلك
فهو المفرط بنفسه والمغرر بها فاذا اهلكت فهو الذى اهلكها فلولا تكراره النظر الى وجه
معشوقه وطمعه فى وصاله لم تمكن عشقه من قلبه فان اول اسباب العشق الاستحسان
سوا ر تولد عن نظر او سماع فان لم يقارنه طمع فى الوصال وقارنه الاياس من ذلك
لم يحدث له العشق فان اقترن به الطمع فصرفه عن فكره ولم يشغل قلبه به لم يحدث له
ذلك فان اطاع مع ذلك الفكر فى محاسن المعشوق وقارنه خوف ما هو اكبر عنده من
لذة وصاله اما خوف دينى كخوف النار وغضب الجبار واجتناب الاوزار وغلب هذا
الخوف على ذلك الطمع والفكر لم يحدث له العشق فان فاته هذا الخوف وقارنه خوف
دنيوى كخوف اتلاف نفسه وماله وذهاب جاهه وسقوط مرتبته عند الناس وسقوطه من
عين من يعز عليه وغلب هذا الخوف لداعى العشق دفعه وكذلك اذا خاف من
فوات محبوب هو احب اليه وانفع له من ذلك المعشوق وقدم محبته على محبة المعشوق
اندفع عنه العشق فانتفاء ذلك كله او غلبت محبة المعشوق لذلك انجذب اليه القلب
بالكلية ومالت اليه النفس كل الميل فان قيل قد ذكرتم آفات العشق ومضاره
ومفاسده فهلا ذكرتم منافعه وفوائده التى من جملتها رقة الطبع وترويح النفس وخفتها
وزوال ثقلها ورياضتها وحملها على مكارم الاخلاق من الشجاعة والكرم والمروة ورقة الحاشية ولطف
الجانب وقد قيل ليحيى بن معاذ الرازى ان ابنك قد عشق فلانة فقال الحمد لله
الذى صيره الى طبع الآدمى وقال بعضهم العشق داء افئدة الكرام وقال غيره العشق
لا يصلح الا لذى مروة ظاهرة وخليقة طاهرة او لذى لسان فاضل او احسان
كامل او لذى ادب بارع وحسب ناصح وقال آخر العشق يشجع جنان الجبان ويصفى
ذهن الغبى ويسخى كف البخيل ويذل عزة الملوك ويسكن نوافر الاخلاق وهو
انيس من لا انيس له وجليس من لا جليس له وقال آخر العشق يزيل الاثقال

الفعل
فاذا
ادخول احتفات
ثقلها
فاضل
ناصح

ويلطف الروح ويصفي كدر القلب ويوجب الارتياح لافعال الكرام كما قيل ؎
سيهلك في الدنيا شفيق عليكم * اذا غاله من حادث الحب غائله * كريم يميت السر
حتى كانه * اذا استفهموه عن حديثك جاهله * يود بان يمشي سقيما لعلها * اذا سمعت
عنه بشكوى تراسله * ويهتز للمعروف في طلب العلى * لتحمد يوما عند ليلى شمائله *
فالعشق يحمل على مكارم الاخلاق وقال بعض الحكماء العشق يروض النفس و
يهذب الاخلاق اظهاره طبعي اضماره تكلفي وقال الآخر من لم يبتهج نفسه بالصوت الشجي والوجه
البهي فهو فاسد المزاج يحتاج الى علاج وانشد في ذلك المعنى ؎ اذا انت لم
تعشق ولم تدر ما الهوى * فما لك في طيب الحياة نصيب * وقال الآخر ؎
اذا انت لم تعشق ولم تدر ما الهوى * فقم واعتلف تبنا فانت حمار * وقال آخر ؎ اذا
انت لم تعشق ولم تدر ما الهوى * فكن حجرا من جانب الصخر جلمدا * وقال بعض العشاق لولا العفة والصبا اذا عفوا
تستر فوا واذا عشقوا انظر فوا وقيل لبعض العشاق ما كنت تصنع بمن تهوى لو ظفرت به فقال كنت امتع طرفي بوجهه وارو ح
قلبي بذكره وحديثه واستر منه ما لا احب كشفه ولا اصير بقبيح الفعل الى ما ينقض
عهده ثم انشد ؎ اخلوا به فاعف عنه تكرما * خوف الديانة لست من عشاقه *
كالماء في يد صائم يلتذ به * ظمأ فيصبر عن لذيذ مذاقه * وقال ابو اسحق بن ابراهيم
ارواح العشاق عطرة لطيفة وابدانهم رقيقة خفيفة نزهتهم المؤانسة وكلامهم يحيي
موات القلوب ويزيد في العقول ولولا العشق والهوى لبطل نعيم الدنيا وقال
آخر العشق للارواح بمنزلة الغذاء للابدان ان تركته ضرك وان اكثرت منه
قتلك وفي ذلك قيل ؎ خليلي ان الحب فيه لذاذة * وفيه شقاء دائم وكروب
على ذاك ما عيش لطيب لغيره * ولا عيش الا بالحبيب يطيب * ولا خير في الدنيا
بغير صبابة * ولا في نعيم ليس فيه حبيب * وذكر الخرائطي عن ابن غسان قال
مر ابو بكر الصديق رضي الله عنه بجارية وهي تقول ؎ وهويته من قبل قطع تمائمي
متمائلا مثل القضيب الناعم * فسألها احرة انت ام مملوكة قالت بل مملوكة
فقال من تهوين فتلكأت فاقسم عليها فقالت ؎ وانا التي لعب الهوى بفؤاده *

جانب
يود بان يمسي
على
عمل
العشق
ابي
حلي
متمائلا كتشا
من هواك

قتلت بحب محمد بن القاسم * فاشتراها من مولاها وبعث بها الى محمد بن القاسم بن
جعفر بن ابي طالب فقال هولاء والله فتن الرجال وكم والله قدمات بهن كريم وعطب
بهن سليم وجاءت جارية عثمان بن عفان رضي الله عنه تستعدي على رجل من
الانصار قال لها عثمان ما قصتك قالت كلفت يا امير المؤمنين بابن اخيه فما انفك
اراعيه فقال له عثمان اما ان تهبها لابن اخيك او اعطيك ثمنها من مالي فقال اشهدك
يا امير المؤمنين انها له ونحن لا ننكر فساد العشق الذي يتعلق به فعل الفاحشة بالمعشوقة
وانما الكلام في العشق العفيف من الرجل الظريف الذي يابى له ايمانه ودينه وعفته
ومروته ان يفسد ما بينه وبين الله وما بينه وبين معشوقه بالحرام وهذا عشق السلف الكرام
والائمة الاعلام فهذا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود احد الفقهاء السبعة
عشق حتى اشتهر امره ولم ينكر عليه وعد ظالما من لامه ومن شعره ؎ كتمت الهوى
حتى اضر بك الكتم * ولامك اقوام ولومهم ظلم * فنم عليك الكاشحون وقبلهم * عليك
الهوى قد نم لو ينفع الكتم * فاصبحت كالهندي اذ مات حسرة * على اثر هند او كمن شفه سقم
تجنبت اتيان الحبيب تاثما * الا ان هجران الحبيب هو الاثم * فذق هجرها قد كنت
تزعم انه * رشد الا يا ربما كذب الزعم * وهذا عمر بن عبد العزيز عشق جارية فاطمة
بنت عبد الملك بن مروان امرأته مشهورة وكانت جارية بارعة الجمال وكان معجبا بها وكان
يطلبها من امرأته ويحرص على ان تهبها له فتابى ولم تزل الجارية في نفس عمر فلما استخلف
امرت فاطمة بالجارية فاصلحت وكانت مثلا في حسنها وجمالها ثم دخلت على عمر
وقالت يا امير المؤمنين انك كنت معجبا بجاريتي فلانة فسالتنيها فابيت ان اهبها لك
فابيت عليك والآن فقد طابت نفسي لك بها فلما قالت له ذلك استبان الفرح
في وجهه وقال عجلي بها علي فلما دخلت بها عليه ازداد بها عجبا وقال لها الق ثيابك
ففعلت ثم قال لها على رسلك اخبريني لمن كنت ومن اين صرت لفاطمة
فقالت اغرم الحجاج عاملا له بالكوفة مالا وكنت في رقيق ذلك قالت فاخذني
وبعث بي الى عبد الملك فوهبني لفاطمة قال وما فعل ذلك العامل قالت

وقال
اراغيه الى ابن
متعلقة
فقبلهم
١٨١ كالهندي
رشدوا الايا دبها
ادخلتها
رقيق

هلك قال وهل ترك ولدا قالت نعم قال فما حالهم قالت سيئة قال شدي عليك
ثيابك واذهبي الى مكانك ثم كتب الى عامله على العراق ان ابعث الى فلان بن
فلان على البريد فلما قدم قال له ارفع الى جميع ما اغرمه الحجاج لابيك فلم يرفع اليه
شيئا الا دفعه اليه ثم امر بالجارية فدفعت اليه ثم قال له اياك واياها فلعل اباك
قد وقع بها فقال الغلام هي لك يا امير المؤمنين قال لا حاجة لي بها قال فابتعها مني قال لست اذا
ممن نهى نفسه عن الهوى فلما عزم الفتى على الانصراف قالت اين وجدك بي
يا امير المؤمنين قال على حاله ولقد زادني ولم تزل الجارية في نفس عمر حتى مات
رحمه الله وهذا ابوبكر بن محمد بن داود الظاهري العلم المشهور في فنون العلم من الفقه والحديث والتفسير والادب
وله قول في الفقه وهو من اكابر العلماء وعشقه مشهور قال نفطويه دخلت عليه في
مرضه الذي مات فيه فقلت كيف تجدك قال حب من تعلم اورثني ما ترى
فقلت وما يمنعك من الاستمتاع به مع القدرة عليه فقال الاستمتاع على وجهين احدهما النظر المباح والآخر
اللذة المحظورة فاما النظر المباح فهو الذي اورثني ما ترى واما اللذة المحظورة فمنعني منها
ما حدثني ابي حدثنا سويد بن سعيد حدثنا علي بن مسهر عن ابي يحيى القتات عن مجاهد
عن ابن عباس رضي الله عنهما يرفعه من عشق وكتم وعف وصبر غفر الله له وادخله
الجنة ثم انشد ؎ انظر الى السحر يجري من لواحظه ✤ وانظر الى دعج في طرفه الساجي ✤
وانظر الى شعرات فوق عارضه ✤ كانهن نمال دب في عاج ✤ ثم انشد ؎
ما لهم انكروا سواد بخديه ولا ينكرون ورد الغصون ✤ ان يكن عيب خده بدد الشعر
فعيب العيون شعر الجفون ✤ فقلت له نفيت القياس في الفقه واثبته
في الشعر فقال غلبة الوجد وملكة النفس دعت اليه ثم مات من ليلته وبسبب
معشوقه صنف كتاب الزهرة ومن كلامه فيه من يأس ممن يهواه ولم يمت من
وقته سلاه وذلك ان اول روعات الياس تأتي القلب وهو غير مستعد لها
فاما الثانية تأتي القلب وقد وطأت لها الروعة والتقى هو وابو العباس بن شريح
في مجلس ابي الحسن علي بن عيسى الوزير فتناظرا في مسألة من الايلاء فقال له ابن

كان الم

فمنعني

182

بجري في

تاسي

سبيل التاسي

الادنى

شريح انت تأبن تقول من قامت لحظاته كسرت حسراته احذق منك بالكلام علی
الفقه فقال الان كان ذلك فاني اقول ٥ انزه في روض المحاسن مقلتي *
وامنع نفسي ان تنال محرما * واحمل من ثقل الهوى مالونه * يصب على الصخر
الاصم تهدما * وينطق طرفي عن مترجم خاطري * فلولا اختلاس ودّه تكلما * رأيت
الهوى دعوى من الناس كلهم * فلست ارى ودّا صحيحا مسلما * فقال له ابو العباس
ابن شريح بم تفخر علي ولو شئت لقلت ٥ مطاعمه كالشهد في نغماته * قد بت امنعه
لذيذ سناته * بصبابه وبحسنه وحديثه * وانزه اللحظات عن وجناته * حتى اذا ما
راح عموده * ولي بخاتم ربه وبراته * فقال ابو بكر يحفظ عليه الوزير يا قربه حتى يقيم
شاهدين على انه ولي بخاتم ربه وبراءته فقال ابن شريح يلزمني في هذا ما يلزمك
في قولك ٥ انزه في روض المحاسن مقلتي * وامنع نفسي ان تنال محرما * فضحك
الوزير فقال لقد جمعتما لطفا وظرفا ذكر ذلك ابو بكر الخطيب في تاريخه وجارته يوما
فتيا نصها ٥ يا ابن داؤد يا فقيه العراق * افتنا في قوائل الاحداق * هل عليها بما اتت
من جناح * ام حلال لها دم العشاق * فكتب تحت البيتين بخطه ٥ عندي جواب
سائل العشاق * فاسمعه من قرح الحشا مشتاق * لما سئلت عن الهوى هيجتني
وارقت دمعا لم يكن مهراق * ان كان معشوقا يعذب عاشقا * كان المعذب
انعم العشاق * قال صاحب كتاب منازل الاحباب شهاب الدين محمود بن
سليمان بن فهد صاحب كتاب الانشا وقلت في جواب البيتين على قافيتها
مجيبا للسائل ٥ قل لمن جاء سائلا عن لحاظ * من يلعبن في دم العشاق *
ما على السيف في العدا من جناح * ان تنى الحذر عن دم مهراق * وسيوف اللحاظ
اولى بان * تصفح عما جنت على العشاق * انما كل من قتلن شهيد * ولهذا يلفى فنا
وهو باق * ونظير ذلك فتوى وردت على الشيخ ابي الخطاب محفوظ بن احمد
الكلوذاني شيخ الحنابلة في وقته رحمه الله ٥ قل للامام ابي الخطاب مسألة *
جاءت اليك وما الخال سواك لها * ماذا على رجل رام الصلوة فمذ * لاحت

ارض
ثم تفتخر علي
سناته بحذبه في
نغماته لاح
نغماته
ارض
وقال
١٨٣
براق معشوق
سليمان بن فهد وزنها
الورى
عن جنته قتلن
الكلوذاني
عللق

مخاطرة ذات الجمال لها * فاجابه تحت سؤاله ؎ قل للاديب الذي وافى بمسألة *
سرت فؤادي لما ان اضحت لها * ان الذي فتنته عن عبادة ربه * فريدة ذات
حسن فانثنى ولها * ان تاب ثم قضا عنه عبادة ربه * فرحمة الله تغشى من عصى
ولها * وقال عبد الله بن سعد القيسي حججت سنة ثم دخلت مسجد المدينة لزيارة قبر
النبي صلى الله عليه وسلم فبينما انا جالس ذات ليلة بين القبر والمنبر اذ سمعت انينا
فاصغيت اليه فاذا هو يقول ؎ اشجاك نوح حمائم السدر * فاهجن منك
بلابل الصدر * ام عز نومك ذكر غانية * اهدت اليك وساوس الفكر * يا ليلة طالت
على دنف * يشكو السهاد وقلة الصبر * اسلمت من تهوى لحر جوى * متوقد كتوقد
الجمر * فالبدر يشهد انني كلف امغرا * بحب شبيهة البدر * ماكنت احسبني اهيم
بحبها * حتى بليت وكنت لا ادري * ثم انقطع الصوت فلم ادر من اين جاء واذا به
قد عاد البكاء والانين ثم انشد يقول ؎ اشجاك من ريا خيال زائر * والليل مسود الذوائب عاكر * واعتام مهجتك
الهوى برسيسه * واهتاج مقلتك الخيال الزائر * ناديت ليلا والظلام كانه * يم تلاطم فيه موج زاخر * والبدر يسري في السماء كانه *
ملك ترجل والنجوم عساكر * وترى به الجوزاء ترقص في الدجى * رقص الحبيب علاه سكر طاهر * يا ليل طلت على محب ماله * الا الصباح
مساعد ومؤازر * فاجابني مت حتف انفك واعلمن * ان الهوى لهو الهوان الحاضر * قال وكنت في بهت عند ابتدائه
بالابيات فلم ينتبه الا وانا عنده فرأيت شابا مقبلا شبابه قد خرق الدمع في
خده خرقين فسلمت عليه فقال اجلس من انت قلت عبد الله بن سعد
القيسي قال الك حاجة قلت نعم كنت جالسا في الروضة
فما راعني الا صوتك فبنفسي فديتك فما الذي تجده
فقال انا عتبة بن الحباب بن المنذر بن الجموح الانصاري
غدوت يوما الى مسجد الاحزاب فصليت فيه ثم اعتزلت غير بعيد فاذا بنسوة قد
اقبلن يتهادين مثل القطا واذا في وسطهن جارية بديعة الجمال كاملة الملاحة فوقفت
علي وقالت يا عتبة ما تقول في وصل من يطلب وصلك ثم تركتني وذهبت فلم
اسمع لها خبرا ولم اقف لها على اثر فانا حيران انتقل من مكان الى مكان ثم صرخ

عبادته — عبادته — يوم — ك — اعاد — بحر — علاه — فتقبلا — نقلت — اليك — صرخ

واكب منشأ عليه ثم افاق كانما صبغت وجنتاه بورس ثم انشد يقول ؎ اراكم
بقلبي من بلاد بعيدة ❊ فيا هل تروني بالفؤاد على البعد ❊ فؤادي وطرفي ياسفان
عليكم ❊ وعندكم روحي وذكركم عندي ❊ ولست الذ العيش حتى اراكم ❊ ولو كنت
في الفردوس في جنة الخلد ❊ فقلت يا ابن اخي تب الى ربك واستغفره من ذنبك فبين
يديك هول المطلع فقال ما انا بسائل حتى يؤوب القارضان فلم ازل معه حتى طلع
الصباح فقلت قم بنا الى مسجد الاحزاب فلعل الله ان يكشف كربتك فقال ارجو
ذلك ان شاء الله ببركة طاعتك فذهبنا حتى اتينا مسجد الاحزاب فسمعته يقول ؎
يا للرجال ليوم الاربعاء اما ينفك يحدث لي بعد النهى طربا ❊ ما ان يزال غزال منه
يقلقني ❊ يأتي الى مسجد الاحزاب منتقبا ❊ يخبر الناس ان الاجر همته ❊ وما انا
طالبا للاجر محتسبا ❊ لو كان يبغي ثوابا ما اتى صلفا ❊ مضمخا بفتيت المسك مختضبا ❊
ثم جلسنا حتى صلينا الظهر فاذا بالنسوة قد اقبلن وليست الجارية فيهن فوقفن عليه
وقلن له يا عتبة ما ظنك بطالبة وصلك وكاشفة بالك قال وما بالها قلن اخذها ابوها
وارتحل بها الى ارض السماوة فسئلتهن عن الجارية فقلن هي ريا بنت الغطريف
السلمي فرفع عتبة اليهن رأسه وقال ؎ خليلي ريا قد اجد بكورها ❊ وسارت
الى ارض السماوة عيرها ❊ خليلي اني قد غشيت من البكا ❊ فهل عند غيري مقلة
استعيرها ❊ فقلت له اني قد وردت بمال جزيل اريد به اهل الستر والله لابذلنه امامك
حتى تبلغ رضاك وفوق الرضا فقم بنا الى مسجد الانصار فقمنا وسرنا حتى اشرفنا على
ملأ منهم فسلمت فاحسنوا الرد فقلت ايها الملأ ما تقولون في عتبة وابيه قالوا من سادات
العرب قلت انه قد رمي بداهية من الهوى وما اريد منكم الا المساعدة الى السماوة فقالوا
سمعا وطاعة فركبنا وركب القوم معنا حتى اشرفنا على منازل بني سليم فاعلم
الغطريف بنا فخرج مبادرا فاستقبلنا وقال حييتم بالاكرام فقلنا وانت حياك الله انا لك اضياف
فقال نزلتم اكرم منزل فنادى يا معشر العبيد انزلوا القوم ففرشت الانطاع والنمارق
وذبحت الذبائح فقلنا لسنا بذائقين طعامك حتى تقضي حاجتنا فقال وما حاجتكم قلنا

انشأ
مكان طرفي يا سفان
ميدوب القارضان
الى ان
النهار
بطالبة ناشفة
فسا ان

غشيت
السير

تخطب عقيلتك الكريمة لعتبة بن الحباب بن المنذر فقال ان التي تخطبونها امرها الى
نفسها وانا ادخل اخبرها ثم دخل مغضبا على ابنته فقالت يا ابت مالي ارى الغضب
في وجهك فقال قد ورد الانصار يخطبونك مني فقالت سادات كرام استغفر لهم الرسول
صلى الله عليه وسلم فلمن الخطبة منهم قال لعتبة قالت والله لقد سمعت عن عتبة هذا انه
يفي بما وعد ويدرك اذا قصد فقال اقسمت لا ازوجنك اياه ابدا ولقد نمي الي بعض
حديثك معه فقالت ما كان ذلك ولكن اذا اقسمت فان الانصار لا يردون ردا
قبيحا فاحسن لهم الرد فقال باي شيء قالت اغلظ عليهم المهر فانهم قوم يرجعون ولا يجيبون
فقال ما احسن ما قلت فخرج مبادرا عليهم فقال ان فتاة الحي قد اجابت ولكني اريد لها مهر
مثلها فمن القائم به فقال عبد الله بن معمر انا فقل ما شئت فقال الف مثقال من
الذهب ومائة ثوب من الابراد وخمسة اكرسة من عنبر فقال عبد الله لك ذلك كله
فهل اجبت قال نعم قال عبد الله فانفذت نفرا من الانصار الى المدينة فاتوا بجميع
ما طلب ثم صنعت الوليمة فاقمنا على ذلك اياما ثم قال خذوا فتاتكم وانصرفوا مصاحبين
ثم حملها في هودج وجهز بثلاثين راحلة من المتاع والتحف فودعناه وسرنا حتى اذا بقي بيننا
وبين المدينة مرحلة واحدة خرجت علينا خيل تريد الغارة احسبها من سليم فحمل عليها عتبة
فقتل منهم رجالا وجدل منهم آخرين ثم رجع وبه طعنة تفور دما فسقط الى الارض واتينا
نجده فطردت الخيل عنا وقد قضى عتبة نحبه فقلنا واعتباه فسمعتنا الجارية فالقت
نفسها عن البعير وجعلت تصيح بحرقة وانشدت شعر تصبرت لا اني صبرت وانما
اعلل نفسي انها بك لاحقه ❊ فلو انصفت روحي لكانت الى الردى ❊ امامك من
دون البرية سابقه ❊ فما احد بعدي وبعدك منصف ❊ خليل ولا نفس لنفس موافقه ❊
ثم شهقت وقضت نحبها فاحتفرنا لهما قبرا واحدا ودفناهما فيه ثم رجعت الى المدينة فاقمت
سبع سنين ثم ذهبت الى الحجاز ووردت المدينة فقلت والله لآتين قبر عتبة
ازوره فاتيت القبر فاذا عليه شجرة عليها عصائب حمر وصفر فقلت لارباب
المنزل ما يقال لهذه الشجرة قالوا شجرة العروسين فلو لم يكن في العشق من الرخصة

المخالفة للتشديد الا الحديث الوارد بالحسن من الاسانيد وهو حديث سويد بن سعيد
بن علي بن مسهر عن ابي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس يرفعه من عشق
وعف وكتم فمات فهو شهيد ورواه سويد الضباع عن ابن مسهر عن هشام بن عروة عن ابيه عن
عائشة مرفوعا ورواه الخطيب عن الازهري عن المعافا بن زكريا عن قطبة عن ابن
الفضل عن احمد بن مسروق عنه ورواه الزبير بن بكار عن عبد العزيز الماجشون
عن عبد العزيز بن ابي حاتم عن ابن ابي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس وهذا سيد
الاولين والآخرين ورسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم نظر الى زينب بنت
جحش رضي الله عنها فقال سبحان مقلب القلوب وكانت تحت زيد بن حارثة
مولاه فلما هم بطلاقها قال له اتق الله وامسك عليك زوجك فلما طلقها زوجها الله سبحانه
من رسوله صلى الله عليه وسلم من فوق سبع سموات فكان هو وليها وولي تزويجها
من رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد عقد نكاحها فوق عرشه وانزل على رسوله
صلى الله عليه وسلم واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك
زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان
تخشاه وهذا داود نبي الله عليه السلام لما كان تحته تسعة وتسعين امرأة ثم احب
تلك المرأة وتزوجها واكمل بها المائة قال الزهري اول حب كان في الاسلام
حب النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها وكان مسروق يسميها
حبيبة رسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم وقال ابو القيس مولى عبد الله
ابن عمر ارسلني عبد الله بن عمر الى ام سلمة اسألها اكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقبل اهله وهو صائم فقالت لا فقال ان عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم
يقبلها وهو صائم فقالت ام سلمة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا رأى عائشة لم يتمالك
نفسه عنها وذكر سعيد بن ابراهيم عن عامر بن سعيد عن ابيه قال كان ابراهيم خليل الله يزوره جبريل في كل
يوم من الشام على البراق من شغفه به وقلة صبره عنه وذكر الخرائطي ان عبد الله بن
عمر رضي الله عنهما اشترى جارية رومية فكان يحبها حبا شديدا فوقعت فرات

عن

١٨٧

انيس

يوم عن بغلة له فجعل يمسح التراب عن وجهها ويفديها ويقبلها
وكانت تكثر من ان تقول له يا بطرون انت قالون تعني يا مولاي انت جيد ثم انها نفرت
منه فوجد عليها وجدا شديدا فقال ~ قد كنت احسبني قالون فانصرفت * فاليوم
اعلم اني غير قالون * قال ابو محمد بن حزم وقد احب من الخلفاء الراشدين والائمة
المهتدين كثير وقال رجل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه يا امير المؤمنين رأيت امرأة
فعشقتها فقال ذلك ما لا يملك فالجواب وبالله التوفيق ان الكلام في هذا الباب
لابد فيه من التمييز بين الواقع والجائز والنافع والضار ولا يستعجل عليه بالذم والانكار

يستحل

ولا بالمدح والقبول من حيث الجملة وانما يتبين حكمه وينكشف امره بذكر متعلقه والا
فالعشق من حيث هو لا يحمد ولا يذم ونحن نذكر النافع من الحب والضار والجائز والحرام
اعلم ان انفع المحبة على الاطلاق واوجبها واعلاها واجلها محبة من جبلت القلوب على
محبته وفطرت الخليقة على تألهه وبها قامت الارض والسموات وعليها فطرت المخلوقات

١٨٨

وهي سر شهادة ان لا اله الا الله فان الاله هو الذي تألهه القلوب بالمحبة والاجلال والتعظيم
والذل والخضوع وتعبده والعبادة لا تصح الا له وحده والعبادة هي كمال الحب
مع كمال الخضوع والذل والشرك في هذه العبودية من اظلم الظلم الذي
لا يغفره الله والله سبحانه يحب لذاته من سائر الوجوه وما سواه فانما يحب تبعا لمحبته
وقد دل على وجوب محبته سبحانه جميع كتبه المنزلة ودعوة جميع رسله صلى الله عليهم وسلم
اجمعين وفطر التي فطر عليها عباده وما ركب فيها من العقول وما اسبغ عليهم من النعم
فان القلوب مفطورة مجبولة على محبة من انعم عليها واحسن اليها فكيف بمن كل
الاحسان منه وما بخلقه جميعهم من نعمة فمنه وحده لا شريك له كما قال تعالى وما بكم

بخلقه

من نعمة فمن الله الآية وما تعرف به الى عباده من اسمائه الحسنى وصفاته العليا
وما دلت عليه آثار مصنوعاته من كماله ونهاية جلاله وعظمته والمحبة لها داعيتان الجلال
والجمال والرب تعالى له الكمال المطلق من ذلك فانه جميل يحب الجمال
بل الجمال كله له والاجمال كله منه فلا يستحق ان يحب لذاته من كل وجه سواه قال الله تعالى

قل ان کنتم تحبون اللہ فاتبعونی یحببکم اللہ وقال تعالے یا ایہا الذین آمنوا من یرتد منکم عن دینہ فسوف یاتی اللہ بقوم یحبہم و یحبونہ الآیۃ والولایۃ اصلہا الحب فلا موالاۃ الا بحب کما ان العداوۃ اصلہا البغض واللہ ولی الذین آمنوا وہم اولیاؤہ فہم یوالونہ بحبہم وہو یوالیہم بمحبتہ لہم فاللہ یوالی عبدالمومن بحسب محبتہ لہ ولہذا انکر سبحانہ علی من اتخذ من دونہ اولیاء بخلاف من والی اولیاءہ فانہ لم یتخذہم من دونہ بل موالاتہ لہم من تمام موالاتہ وقد انکر علی من سوی بینہ وبین غیرہ فی المحبۃ واخبر ان من فعل ذلک فقد اتخذ من دون اللہ اندادا یحبونہم کحب اللہ والذین آمنوا اشد حبا للہ واخبر عمن سوی بینہ وبین الانداد فی المحبۃ انہم یقولون فی النار لمعبودیہم تاللہ ان کنا لفی ضلال مبین اذ نسویکم برب العالمین وبہذا التوحید فی المحبۃ ارسل اللہ سبحانہ جمیع رسلہ صلی اللہ علیہم وسلم وانزل جمیع کتبہ واطبقت علیہ دعوۃ جمیع الرسل علیہم الصلوۃ والسلام من اولہم الی آخرہم ولاجلہ خلقت السموات والارض والجنۃ والنار فجعل الجنۃ لاہلہ والنار للمشرکین بہ فیہ وقد اقسم النبی صلی اللہ علیہ وسلم انہ لا یومن عبد حتی یکون ہو احب الیہ من ولدہ ووالدہ والناس اجمعین فکیف بمحبۃ الرب جل جلالہ وقال لعمر بن الخطاب رضی اللہ عنہ لا حتی اکون احب الیک من نفسک ای لا تومن حتی تصل محبتک لی الی ہذہ الغایۃ فاذا کان النبی صلی اللہ علیہ وسلم اولی بنا من انفسنا بالمحبۃ ولوازمہا افلیس الرب جل جلالہ وتقدست اسماؤہ وتبارک اسمہ وتعالی جدہ ولا الہ غیرہ اولی بمحبتہ وعبادتہ من انفسہم وکل ما منہ الی عبدہ المومن یدعوہ الی محبتہ مما یحب العبد ویکرہہ فعطاؤہ ومنعہ ومعافاتہ وابتلاؤہ وقبضہ وبسطہ وعدلہ وفضلہ واماتتہ واحیاؤہ ولطفہ وبرہ ورحمتہ واحسانہ وسترہ وعفوہ وحلمہ وصبرہ علی عبدہ واجابتہ لدعائہ وکشف کربہ واغاثۃ لہفتہ تفریج کربتہ من غیر حاجۃ منہ الیہ بل مع غناہ التام عنہ من جمیع الوجوہ کل ذلک داع للقلوب الی تألہہ ومحبتہ بل تمکینہ عبدہ من معصیتہ اعانتہ علیہ سترہ حتی یقضی وطرہ منہا وکلاءتہ وحراستہ لہ وہو یقضی وطرہ من معصیتہ ہو یعینہ ویستعین علیہا بنعمہ من اقوی الدواعی الی محبتہ فلو ان مخلوقا فعل بمخلوق ادنی شیء من

یحبہم · الحب · خلوق · ۱۸۹ · عبادہ · السائلہ · بنعمتہ

ذلک لم یملک قلبه عن محبته فکیف لا یحب العبد بکل قلبه وجوارحه من یحسن الیه
علی الدوام بعدد الانفاس مع اسارته فخیره الیک نازل وشره الیه صاعد یتحبب
الیه بنعمه وهو غنی عنه والعبد یتبغض الیه بالمعاصی وهو فقیر الیه فلا احسانه وبره وانعامه
علیه یصده عن معصیته ولا معصیة العبد ولومه یقطع احسان ربه عنه فلما ذا تتخلف القلوب
عن محبته من هذا شأنه وتعلقها بمحبة سواه وایضا فکل من تحبه من الخلق او یحبک انما یریدک
لنفسه وغرضه منک والرب سبحانه وتعالے یریدک لک کما فی الاثر الالهی عبدی
کل یریدک لنفسه وانا اریدک لک فکیف لا یستحیی العبد ان یکون له بهذه المنزلة وهو معرض عنه مشغول بحب غیره وقد
استغرق قلبه محبة ما سواه وایضا فکل من تعامله من الخلق ان لم یربح علیک لم یعاملک ولا بد له من
نوع من انواع الربح والرب تعالی انما یعاملک لتربح انت علیه اعظم الربح واعلاه فالدرهم بعشرة
امثاله الی سبعمائة ضعف الی اضعاف کثیرة والسیئة بواحدة وهی اسرع شیء محوا
وایضا فهو سبحانه خلقک لنفسه وکل شیء خلق لک فی الدنیا والآخرة فمن اولی منه
باستفراغ الوسع فی محبته وبذل الجهد فی مرضاته وایضا فمطالبک بل مطالب الخلق
کلهم جمیعا لدیه وهو اجود الاجودین واکرم الاکرمین ویعطی عبده قبل ان یسأله فوق
ما یؤمله یشکر علی القلیل من العمل وینمیه ویغفر الکثیر من الزلل ویمحوه ویسأله من فی
السموات والارض کل یوم هو فی شأن لا یشغله سمع عن سمع ولا یغلطه کثرة المسائل
ولا یتبرم بالحاح الملحین بل یحب الملحین فی الدعاء ویحب ان یسئل ویغضب اذا لم یسئل فیستحیی
من عبده حیث لا یستحیی العبد منه ویستره حیث لا یستر نفسه ویرحمه حیث لا یرحم
نفسه دعاه بنعمته واحسانه وایادیه الی کرامته ورضوانه فابی فارسل رسله صلی الله علیهم
وسلم فی طلبه وبعث معهم الیه عهده ثم نزل سبحانه بنفسه وقال من یسألنی فاعطیه من یستغفرنی فاغفر له
ادعوک للوصل فتأبى ابعث رسلی فی الطلب انزل الیک بنفسی
القاک فی النوم وکیف لا تحب د کیف لا تحب القلوب من لا یأتی بالحسنات
الا هو ولا یذهب بالسیئات الا هو ولا یجیب الدعوات ویقیل العثرات ویغفر
الخطیئات ویستر العورات ویکشف الکربات ویغیث اللهفات وینیل الطلبات

بنعمته
فالام اللوم
نادّاه

سواه فهو احق من ذكر واحق من شكر واحق من حمد واحق من عبد وانصر من ابتغى وارأف
من ملك واجود من سئل واوسع من اعطى وارحم من استرحم واكرم من قصد واعز من التجى اليه
واكفى من توكل عليه ارحم بالعبد من الوالدة لبولدها واشد فرحا بتوبة عبده التائبين من
الفاقد لراحلته التي عليها طعامه وشرابه في الارض المهلكة اذا يأس من الحيوة فوجدها
وهو الملك فلا شريك له والفرد فلا ند له كل شئ هالك الا وجهه لن يطاع الا باذنه ولن
يعصى الا بعلمه يطاع فيشكر وبتوفيقه ونعمته اطيع ويعصى فيغفر ويعف وحقه اضيع فهو
اقرب شهيد وادنى حفيظ واوفى وفى بالعهد واعدل قائم بالقسط حال دون النفوس
واخذ بالنواصي وكتب الآثار ونسخ الآجال فالقلوب له مفضية والسر عنده علانية والغيوب
له به مكشوف وكل احد اليه ملهوف وعنت الوجوه لنور وجهه وعجزت القلوب عن ادراك كنهه
ودلت الفطرة والادلة كلها على امتناع مثله وشبهه اشرقت لنور وجهه الظلمات واستنارت
له الارض والسموات وصلحت عليه جميع المخلوقات لا ينام ولا ينبغي له ان ينام يخفض
القسط ويرفعه يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور
لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه ٥ ما اعتاض باذل حبه
لسواه من عوض ولو ملك الوجود باسره ✣ ✣

فصل

وههنا امر عظيم يجب على اللبيب الاعتناء به وهو ان كمال اللذة والسرور والفرح
ونعيم القلب وابتهاج الروح تابع لامرين احدهما كمال المحبوب في نفسه وجماله وانه اولى
بايثار المحبة من كل ما سواه والامر الثاني كمال محبته واستفراغ الوسع في حبه وايثار قربه
والوصول اليه على كل شئ وكل عاقل يعلم ان اللذة بحصول المحبوب بحسب قوته ومحبته فكل ما كانت المحبة
اقوى كانت لذة المحب اكمل فلذة من اشتد ظمأه بادراك الماء الزلال ومن اشتد
جوعه باكل الطعام الشهي ونظائر ذلك على حسب شوقه وشدة ارادته ومحبته فاذا
عرفت هذا فاللذة والسرور والفرح امر مطلوب في نفسه بل هو مقصود كل حي
وعاقل واذا كانت اللذة مطلوبة في نفسها فهي تذم اذا اعقبت الم اعظم منها او منعت

بعبده

عنده العقول

المحب حصول اللذة بحسب

لنفسها

لذة خير منها أو أجل فكيف إذا أعقبت أعظم الحسرات وفوتت أعظم اللذات والمسرات
وتحمد إذا أعانت على لذة عظيمة دائمة مستقرة لا تنغيص فيها ولا نكد بوجه ما وهي لذة
الآخرة ونعيمها وطيب العيش فيها قال تعالى بل تؤثرون الحيوة الدنيا والآخرة
خير وأبقى وقال السحرة لفرعون لما آمنوا فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحيوة
الدنيا الآية والله سبحانه وتعالى خلق الخلق ليبتليهم وينيل من أطاعه هذه اللذة
الدائمة في دار الخلد أما الدنيا فمنقطعة لذاتها لا تصفو أبدا ولا تدوم بخلاف الآخرة فإن
لذاتها دائمة ونعيمها خالص من كل كدر وألم وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين مع الخلو
أبدا فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين بل فيها ما لا عين رأت ولا أذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر وهذا المعنى الذي قصده الناصح لقومه بقوله يا قوم
اتبعون أهدكم سبيل الرشاد يا قوم إنما هذه الحيوة الدنيا متاع وإن الآخرة هي
دار القرار فأخبرهم أن الدنيا متاع يستمتع بها إلى غيرها وأن الآخرة هي المستقر
وإذا عرفت أن لذات الدنيا ونعيمها متاع ووسيلة إلى لذات الآخرة ولذلك
خلقت الدنيا ولذاتها فكل لذة أعانت على لذة الآخرة وأوصلت إليها لم يذم تناولها بل يحمد بحسب
إيصالها إلى لذة الآخرة إذا عرف هذا فأعظم نعيم الآخرة ولذاتها النظر إلى وجه الله
جل جلاله وسماع كلامه والقرب منه كما ثبت في الصحيح في حديث الرؤية فوالله ما أعطاهم شيئا
أحب إليهم من النظر إليه وفي حديث آخر أنه إذا تجلى لهم ورأوه نسوا ما هم فيه من النعيم
وفي النسائي ومسند الإمام أحمد من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم في دعائه وأسألك اللهم لذة النظر إلى وجهك الكريم والشوق إلى
لقائك وفي كتاب السنة لعبد الله بن الإمام أحمد مرفوعا كأن الناس يوم القيمة لم يسمعوا
القرآن من الرحمن فإذا سمعوه من الرحمن فكأنهم لم يسمعوه قبل ذلك فإذا عرف هذا فأعظم
الأسباب التي تحصل هذه اللذة هو أعظم لذات الدنيا على الإطلاق وهو لذة معرفته
سبحانه ولذة محبته فإن ذلك هو لذة الدنيا ونعيمها العالي ونسبة لذاتها الفانية
إليه كتفلة في بحر فإن الروح والقلب والبدن إنما خلق لذلك فأطيب ما في الدنيا

١٩٢ وسيلة

معرفته سبحانه ومحبته والذها في الجنة رؤيته ومشاهدته فمحبته ومعرفته قرة العيون ولذة
الارواح وبهجة القلوب ونعيم الدنيا وسرورها من اللذة القاطعة عن ذلك تنقلب
آلاما وعذابا ويبقى صاحبها في المعيشة الضنك فليست الحيوة الطيبة الا بالله وكان
بعض المحبين تمر به اوقات فيقول ان كان اهل الجنة في نعيم مثل هذا انهم لفي عيش
طيب وكان غيره يقول لو يعلم الملوك وابناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف
واذا كان صاحب المحبة الباطلة التي هي عذاب على قلب المحب يقول في حاله
ما الناس الا العاشقون ذوو الهوى ❊ فلا خير فيمن لا يحب ويعشق ❊ ويقول
الآخر اف للدنيا متى ما لم يكن ❊ صاحب الدنيا محب او حبيب ❊ ويقول الآخر ولا
خير في الدنيا ولا في نعيمها ❊ وانت وحيد مفرد غير عاشق ❊ ويقول الآخر اسكن الى سكن تلذ بحبه ❊ ذهب الزمان وانت
منفرد ❊ ويقول الآخر تشكى المحبون الصبابة ليتني ❊ تحملت ما يلقون من بينهم وحدي ❊ فكانت لقلبي
لذة الحب كلها ❊ فلم يلقها قبلي محب ولا بعدي ❊ فكيف بالمحبة التي هي حيوة القلوب
وغذاء الارواح وليس للقلب لذة ولا نعيم ولا فلاح ولا حيوة الا بها واذا فقدها القلب كان
المه اعظم من الم العين اذا فقدت نورها والاذن اذا فقدت سمعها والانف اذا
فقد شمه واللسان اذا فقد نطقه بل فساد القلب اذا خلى من محبة فاطره وبارئه
آلهه الحق اعظم من فساد البدن اذا خلى منه الروح وهذا الامر لا يصدق به الا من
فيه حيوة وما لجرح بميت ايلام والمقصود ان اعظم لذات الدنيا هي السبب
الموصل الى اعظم لذة في الآخرة ولذات الدنيا ثلثة انواع فاعظمها واكملها ما
اوصل الى لذة الآخرة ويثاب الانسان على هذه اللذة اتم ثواب ولهذا كان
المؤمن يثاب على ما يقصد به وجه الله من اكله وشربه ولبسه ونكاحه وشفاء
غيظه بقهر عدو الله وعدوه فكيف بلذة ايمانه ومعرفته بالله ومحبته له وشوقه الى لقائه
وطمعه في رؤية وجهه الكريم في جنات النعيم النوع الثاني لذة تمنع لذة الآخرة وتعقب
آلاما اعظم منها كلذة الذين اتخذوا من دون الله اوثانا مودة بينهم في الحيوة الدنيا
يحبونهم كحب الله ويستمتع بعضهم ببعض كما يقولون في الآخرة اذا لقوا ربهم

بل لذات الدنيا هي سبب المحبة

١٩٣

بنت في قلبه هو

ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذی اجلت لنا الآیۃ ولذۃ اصحاب الفواحش
والظلم والبغی فی الارض والعلو بغیر الحق وہذہ اللذا فی الحقیقۃ انما ہی استدراج من اللہ
لہم لیذیقہم بہا اعظم الالام و یحرمہم بہا اکمل اللذات بمنزلۃ من قدم لغیرہ طعام لذیذ مسموم
یستدرجہ الی ہلاکہ قال تعالیٰ سنستدرجہم من حیث لا یعلمون الآیۃ قال بعض السلف
فی تفسیرہا کلما احدثوا ذنبا احدثنا لہم نعمۃ حتی اذا فرحوا بما اوتوا اخذناہم بغتۃ فاذاہم
مبلسون الآیۃ وقال تعالیٰ لاصحاب ہذہ اللذۃ ایحسبون انما نمدہم بہ من مال وبنین
نسارع لہم فی الخیرات بل لا یشعرون وقال فی حقہم فلا تعجبک اموالہم ولا اولادہم انما یرید
اللہ لیعذبہم بہا فی الحیوۃ الدنیا الآیۃ وہذہ اللذۃ تنقلب آلاما من اعظم الالام کما قیل ؎
یارب کائنۃ فی الحیوۃ لاہلہا * عذبا فصارت فی المعاد عذابا * النوع الثالث لذۃ
لا تعقب لذۃ فی دار القرار ولا الما یمنع وصول لذۃ دار القرار وان منعت کمالہا
وہذہ اللذۃ المباحۃ التی لا یستعان بہا علی لذۃ الآخرۃ فہذہ زمانہا یسیر لیس لتمتع
النفس بہا قدر ولا بد ان یشتغل عما ہو خیر وانفع منہا وہذا القسم ہو الذی عناہ النبی
صلی اللہ علیہ وسلم بقولہ کل لہو یلہو بہ الرجل فہو باطل الا رمیہ بقوسہ وتادیبہ فرسہ
وملاعبتہ امراتہ فانہن من الحق فما اعان علی اللذۃ المطلوبۃ لذاتہا فہو حق وما لم یعن علیہا فہو باطل

فصل

فہذا الحب لا ینکر ولا یذم بل ہو احد انواع الحب وکذلک حب رسول اللہ صلی اللہ
علیہ وسلم وانما نعنی بالمحبۃ الخاصۃ وہی التی تشغل قلب المحب وفکرہ وذکرہ لمحبوبہ والا
فکل مسلم فی قلبہ محبۃ اللہ ورسولہ صلی اللہ علیہ وسلم ولا یدخل الاسلام الا بہا والناس
متفاوتون فی درجات ہذہ المحبۃ تفاوت لا یحصیہ الا اللہ فبین محبۃ الخلیلین صلی اللہ
علیہما وسلم ومحبۃ غیرہما ما بینہما فہذہ المحبۃ ہی التی تلطف وتخفف اثقال التکالیف وتسخی
البخیل وتشجع الجبان وتصفی الذہن وتروض النفس وتطیب الحیوۃ علی الحقیقۃ لا
محبۃ الصور المحرمۃ واذا بلیت السرائر یوم اللقاء کانت سریرۃ صاحبہا من خیر سرائر العباد کما قیل ؎ سیبقی لکم
فی مضمر القلب والحشا * سریرۃ حب یوم تبلی السرائر * وہذہ المحبۃ ہی التی تنور الوجہ وتشرح الصدر وتحیی القلب

194

وكذلك محبة كلام الله فانه من علامة حب الله واذا اردت ان تعلم ما عندك وعند
غيرك من محبة الله فانظر محبة القرآن من قلبك والتذاذك سماعه اعظم من التذاذ
اصحاب الملاهي والغناء المطرب لسماعهم فانه من المعلوم ان من احب حبيباً كان كلامه
وحديثه احب شيئاً اليه كما قيل ۵ ان كنت تزعم حبي فلم هجرت كتابي + اما تأملت ما فيه من
لذيذ خطابي + وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه لو طهرت قلوبنا لما شبعت من
كلام الله وكيف يشبع المحب من كلام من هو غاية مطلوبه وقال النبي صلى الله عليه وسلم
يوما لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه اقرأ عليّ فقال اقرأ عليك وعليك انزل فقال
اني احب ان اسمعه من غيري فاستفتح فقرأ سورة النساء حتى اذا بلغ قوله فكيف
اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال حسبك الآن فرفع
رأسه فاذا عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان من البكاء وكان الصحابة
اذا اجتمعوا وفيهم ابو موسى يقولون يا ابا موسى اقرأ علينا فيقرأ وهم يستمعون فلمحبي القرآن
من الوجد والذوق واللذة والحلاوة والسرور اضعاف ما لمحبي السماع الشيطاني فاذا
رأيت الرجل ذوقه وشدة وجده وطربه وشوقه سماعه الابيات دون سماع الآيات
في سماع الالحان دون سماع القرآن وهو كما قيل ۵ تقرأ عليك الختمة وانت جامد
كالحجر + وبيت من الشعر ينشد فتميل كالنشوان + فهذا من اقوى الادلة على فراغ قلبه
من محبة الله وكلامه وتعلقه بمحبة سماع الشيطان والمغرور يعتقد انه على شيء في محبة
الله وكلامه ورسوله صلى الله عليه وسلم اضعاف اضعاف ما ذكر السائل من فوائد العشق ومنافعه بل
لا حب على الحقيقة انفع منه وكل حب سوى ذلك باطل ان لم يعن عليه ويسوق المحب اليه +

فصل

واما محبة النسوان فلا لوم على المحب فيها بل هي من كماله وقد من الله سبحانه بها على عباده
فقال ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة
الآية فجعل المرأة سكنا للرجل يسكن اليها قلبه وجعل بينهما خالص الحب وهو المودة المقترنة
بالرحمة وقد قال تعالى عقيب ذكره ما احل لنا من النساء وما حرم منهن يريد الله ليبين لكم

195

ان كنت

كالنشوان

المحب

الزوجة بين الحب

ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم الى قوله خلق الانسان ضعيفا وذكر
سفيان الثوري في تفسيره عن ابن طاوس عن ابيه كان اذا نظر الى النساء لم يصبر عنهن وفي
الصحيح من حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه رأى امرأة فاتى زينب فقضى
حاجته منها وقال ان المرأة تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان فاذا رأى احدكم امرأة فاعجبته
فليأت اهله فان ذلك يرد ما في نفسه ففي هذا الحديث عدة فوائد منها الارشاد الى
التسلي عن المطلوب بجنسه كما يقوم الطعام مكان الطعام والثوب مقام الثوب ومنها
الامر بمداوات الاعجاب بالمرأة المورث لشهوتها بانفع الادوية وهو قضاء وطره من اهله
وذلك ينقص شهوته بها وهذا كما ارشد المتحابين الى النكاح كما في سنن ابن ماجة مرفوعا
لم ير للمتحابين مثل النكاح ونكاحه لمعشوقته هو دواء العشق الذي جعله الله دواءه شرعا
وقدرا وبه تداوى نبي الله داود صلى الله عليه وسلم ولم يرتكب نبي الله محرما وانما تزوج
المرأة وضمها الى نسائه لمحبته لها وكانت توبته بحسب منزلته عند الله وعلو مرتبته ولا يليق بنا المزيد على هذا

واما قصة زينب بنت جحش فزيد كان قد عزم على طلاقها ولم توافقه وكان يستشير
رسول الله صلى الله عليه وسلم في فراقها وهو يأمره بامساكها فعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم انه مفارقها
ولا بد فاخفى في نفسه ان يتزوجها اذا فارقها زيد وخشي مقالة الناس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم تزوج زوجة ابنه فانه كان قد تبنى زيدا قبل النبوة والرب تعالى
يريد ان يشرع شرعا عاما فيه مصالح عباده فلما طلقها زيد وانقضت عدتها منه ارسله
اليها يخطبها لنفسه فجاء زيد واستدبر الباب بظهره وعظمت في صدره لما ذكرها رسول
الله صلى الله عليه وسلم فناداها من وراء الباب يا زينب ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يخطبك فقالت ما انا بصانعة شيئا حتى او امر ربي وقامت الى محرابها
فصلت فتولى الله عز وجل نكاحها من رسوله صلى الله عليه وسلم بنفسه وعقد النكاح
له من فوق عرشه وجاء الوحي بذلك فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها فقام رسول الله
صلى الله عليه وسلم لوقته فدخل عليها فكانت تفخر على نساء النبي صلى الله عليه وسلم
بذلك وتقول انتن زوجكن اهاليكن وزوجني الله عز وجل من فوق سبع سموات فهذه

لما

قصة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع زينب ولا ريب ان النبي صلى الله عليه وسلم حبب
اليه النساء كما في الصحيح من حديث انس عنه صلى الله عليه وسلم قال حبب الي من دنياكم النساء
والطيب وجعلت قرة عيني في الصلوة هذا لفظ الحديث لا ما يرويه بعضهم حبب الي من دنياكم
ثلث زاد الامام احمد في كتاب الزهد في هذا الحديث اصبر عن الطعام والشراب ولا اصبر عنهن
وقد حسده اعداء الله اليهود على ذلك وقالوا ما همه الا النكاح فرد الله سبحانه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ونافح عنه فقال ام يحسدون الناس على ما آتهم الله من فضله
الآية وهذا خليل الله امام الحنفاء كان عنده سارة اجمل نساء العالمين واحب هاجر
وتسرى بها وهذا داؤد عليه السلام كان عنده تسعة وتسعون امرأة فاحب تلك المرأة
وتزوجها فكمل المائة وهذا سليمان ابنه عليه السلام كان يطوف في الليلة على تسعين امرأة
وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن احب الناس اليه فقال عائشة رضي الله
عنها وقال عن خديجة اني رزقت حبها فمحبة النساء من كمال الانسان قال ابن عباس
خير هذه الامة اكثرهم نساء وقد ذكر الامام احمد ان عبد الله بن عمر وقع في سهمه يوم جلولاء جارية
كان عنقها ابريق فضة قال عبد الله فما صبرت عنها ان قبلتها والناس ينظرون الي
وبهذا احتج الامام احمد على جواز الاستمتاع بالمسبية قبل الاستبراء بغير الوطي بخلاف الامة
المشتركة والفرق بينهما انه لا يتوهم انفساخ الملك في المسبية بخلاف المشتركة فقد ينفسخ
فيها الملك فيكون مستمتعا بامة غيره وقد شفع النبي صلى الله عليه وسلم لعاشق ان
يواصله معشوقته بان تتزوج به فابت وذلك في قصة مغيث وبريرة فانه رآه يمشي خلفها بعد فراقها ودموعه
تجري على خديه فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم لو راجعتيه فقالت اتامرني
قال لا انما اشفع فقالت لا حاجة لي به فقال لعمه يا عباس الا تعجب من حب مغيث
بريرة ومن بغضها له ولم ينكر عليه حبها وان كانت قد بانت منه فان هذا ما لا يملكه وكان النبي
صلى الله عليه وسلم يساوي بين نسائه بالقسم ويقول اللهم هذا قسمي فيما املك فلا تلمني
فيما لا املك يعني الحب وقد قال تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم
يعني في الحب والجماع فلا تميلوا كل الميل لم يزل الخلفاء الراشدين والرحماء من الناس يشفقون للعشاق

ورواه النسائي في سننه والطبراني في الاوسط

الى معشوقتهم الجارية وصلتهن كما تقدم من فعل ابي بكر وعثمان وكذلك علي اتي بغلام من العرب
وجد في دار قوم بالليل فقال له ما قصتك قال لست بسارق ولكني اصدقك ؎
تعلقت في دار الرياحي خريدة * يذل لها من حسن منظرها البدر * لها في بنات الروم
حسن ومنظر * اذا افتخرت بالحسن عانقها الفخر * فلما طرقت الدار من حب مهجتي * اتيت
وفيها من يوقد بالجمر * تبادر اهل الدار بي ثم صيحوا * هو اللص محتوم له القتل والاسر *
فلما سمع علي بن ابي طالب رضي الله عنه قوله رق له وقال للمهلب بن رباح اسمح له
بها فقال يا امير المؤمنين سله من هو فقال النهاس بن عيينة فقال خذها فهي لك
واشترى معاوية جارية فاعجب بها اعجابا شديدا فسمعها يوما تنشد ابياتا منها ؎
وفارقته كالغصن يهتز في الثرى * طريرا وسيما بعدما طر شاربه * فسألها فاخبرته انها
تحب سيدها فردها اليه وفي قلبه منها وذكر الزمخشري في ربيعه ان زبيدة قرأت في
طريق مكة على حائط ؎ اما في عباد الله او في امائه * كريم يسلي الهم عن ذاهل العقل *
له مقلة اما المآقي فقريحة * واما الحشا فالنار منه على رجل * فنذرت ان تحتال
لقائلها ان عرفته حتى تجمع بينه وبين من يحبه فبينما هي في المزدلفة اذ سمعت من
ينشد البيتين فطلبته فزعم انه قالها في ابنة عم له نذر اهلها ان لا يزوجها منه فوجهت
الى الحي وما زالت تبذل لهم المال حتى زوجوها منه واذا المرأة اعشق منه لها فكانت
تعده من اعظم حسناتها فتقول ما انا بشيء اسر مني من جمعي بين ذلك الفتى والفتاة
وقال الخرائطي وكان لسليمان بن عبد الملك غلام وجارية يتحابان فكتب الغلام
لها يوما ؎ ولقد رأيتك في المنام كانما * اسقيتني من ماء فيك البارد * وكان
كفك في يدي وكاننا * بتنا جميعا في فراش واحد * فطفقت نومي كله مترافدا *
لاراك في نومي ولست براقد * فاجابته الجارية ؎ خيرا رأيت وكلما ابصرته *
ستناله مني برغم الحاسد * اني لارجو ان تكون معانقي * وتبيت مني فوق
ثديي ناهد * واراك بين خلاخلي ودمالجي * واراك فوق ترائبي ومجاسدي *
فبلغ ذلك سليمان فانكحهما الغلام واحسن حالهما على فرط غيرته وقال جامع

ابن مرجيه سألت سعيد بن المسيب مفتي المدينة هل من حب وربما من وزر فقال
سعيد انما تلام على ما تستطيع من الامر فقال سعيد والله ما سألني احد عن هذا ولو سألني لما
كنت اجيب الا به فعشق النساء ثلثة اقسام عشق هو قربة وطاعة وهو عشق الرجل امرأته وجاريته
وهذا العشق نافع فانه ادعى الى المقاصد التي شرع الله لها النكاح الكف للبصر والقلب
عن التطلع الى غير اهله ولهذا يحمد هذا العاشق عند الله وعند الناس وعشق هو مقت عند الله وبعد
من رحمته وهو اضر شئ على العبد في دينه ودنياه وهو عشق المردان فما ابتلى به الا من سقط
من عين الله وطرد عن بابه والبعد قلبه عنه وهو من اعظم الحجب القاطعة عن الله كما قال
بعض السلف اذا سقط العبد من عين الله ابتلاه بمحبة المردان وهذه المحبة هي التي جلبت
على قوم لوط ما جلبت وما اتوا الا من هذا العشق قال الله تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون
ودواء هذا الداء الردي الاستعانة بمقلب القلوب وصدق اللجأ اليه والاشتغال بذكره والتعوض
بحبه وقربه والتفكر بالالم الذي يعقبه هذا العشق واللذة التي تفوته به فترتب عليه فوات
اعظم محبوب وحصول اعظم مكروه فاذا اقدمت نفسه على هذا واٰثرته فليكبر على نفسه تكبير
الجنازة وليعلم ان البلاء قد احاط به والقسم الثالث من العشق العشق المباح الذي
لا يملك كعشق من صورة له امرأة جميلة او رآها فجاءة من غير قصد فاورثته ذلك عشقا
لها ولم يحدث له ذلك العشق معصية فهذا لا يملك ولا يعاقب عليه والانفع له مدافعته
والاشتغال بما هو انفع له منه والواجب على هذا ان يكتم ويعف ويصبر على بلواه فيثيبه الله
على ذلك ويعوضه على صبره لله وعفته وترك طاعته هواه وايثار مرضات الله وما عنده ❊

فصل

والعشاق ثلثة اقسام منهم من يعشق الجمال المطلق ومنهم من يعشق الجمال المقيد سواء طمع
بوصاله او لم يطمع ومنهم من لا يعشق الا من طمع بوصاله وبين هذه الانواع الثلثة تفاوت في
القوة والضعف فعاشق الجمال المطلق يهيم قلبه في كل واد وله في كل صورة جميلة مراد
فيوما بحزوى ويوما بالعقيق ❊ وبالعذيب يوما ويوما بالخليصاء ❊ وتارة ينتحي نجدا وادية تشعب
العقيق وطورا اقصر ايتما ❊ فهذا اعشقه اوسع ولكنه غير ثابت كثير التنقل يهيم بهذا ثم يعشق
غيره ❊ وليسلا يسمن وقته حين يصبح ❊ وعاشق الجمال المقيد اثبت على معشوقه وادوم محبة له ومحبته اقوى من محبة

مرجيه في نسخة

اجنبيه

فما اتوي ما الوا

١٩٩

تحصيل الوصول الى

نجدا

واسع

الاول لاجتماعها فی احد القسمین الاولی ولکن یضعفها عدم الطمع فی الوصال وعاشق الجمال الذی یطمع فی وصاله اعقل العشاق واعرفهم وحبه اقوی لان الطمع یمده ویقویه *

فصل

واما حدیث من عشق فعف فهذا من یرویه سعد بن سوید وقد انکره حفاظ الاسلام علیه قال ابن عدی فی کامله هذا الحدیث احد ما انکر علی سوید وکذلک ذکره البیهقی وابن طاهر فی الذخیرة والتذکرة وابو الفرج بن الجوزی وعده من الموضوعات وانکره ابو عبد الله الحاکم علی تساهله وقال انا اتعجب منه قلت والصواب فی الحدیث انه من کلام ابن عباس رضی الله عنهما موقوفا علیه فغلط سوید فی رفعه قال ابو محمد ابن خلف بن المرزبان حدثنا ابو بکر الازرق عن سوید فعاتبته علی ذلک فاسقط ذکر النبی صلی الله علیه وسلم وکان بعد ذلک یسأل عنه ولا یرفعه ولا یشبه هذا کلام النبوة واما ما رواه الخطیب له عن الازهری ثنا المعافا بن زکریا حدثنا قطبة بن الفضل حدثنا احمد بن محمد بن مسروق ثنا سوید ثنا ابن مسهر عن هشام بن عروة عن ابیه عن عائشة مرفوعا فمن ابین الخطاء ولا یحتمل هذا عن هشام عن ابیه عن عائشة مثل الله عنه من شم ادنی رائحة من العلم من الحدیث ونحن نشهد بالله ان عائشة ما کلمت بهذا عن رسول الله صلی الله علیه وسلم قط ولا حدث عنها عروة ولا حدث به عنه هشام قط واما حدیث ابن الماجشون عن عبد الله بن ابی حازم عن ابن ابی نجیح عن مجاهد عن ابن عباس مرفوعا فکذب علی ابن الماجشون فانه لم یحدث بهذا ولم یحدث به عنه الزبیر بن بکار وانما هذا من ترکیب بعض الوضاعین ویا سبحان الله کیف یحتمل هذا الاسناد مثل هذا المتن فقبح الله الواضعین وقد ذکره ابو الفرج بن الجوزی من حدیث محمد بن جعفر بن سهل ثنا یعقوب بن عیسی من ولد عبد الرحمن بن عوف عن ابن ابی نجیح عن مجاهد مرفوعا وهذا غلط قبیح فان محمد بن جعفر هذا هو الخرائطی ووفاته سنة سبع وعشرین وثلث مائة فمحال ان یدرک شیخه یعقوب ابن ابی نجیح لا سیما وقد رواه فی کتاب الاعتلال عن یعقوب هذا عن الزبیر عن عبد الملک عن عبد العزیز عن ابن ابی نجیح والخرائطی هذا مشهور بالضعف فی الروایة ذکره ابو الفرج فی کتاب الضعفاء وکلام حفاظ الاسلام فی انکار هذا الحدیث هو المیزان والیهم یرجع فی

فکلف الکلیة فی

الازهری ۲۰۰

حدثت عبد العزیز

هذا الشأن ولا اصحه بل ولا احسنه احد يعول فى علم الحديث اليه ويرجع فى التصحيح اليه
ما من عادته التساهل والتسامح فانه لم يطيب نفسه له ويكفى ان ابن طاهر الذى يتساهل
فى احاديث التصوف ويروى منها الغث والسمين والمنخنقة والموقوذة قد انكره وحكم ببطلانه
عن ابن عباس غير مستنكر ذلك عنه وقد ذكر ابو محمد بن حزم عنه انه سئل عن الميت عشقا
فقال قتيل الهوى لا عقل ولا قود ورفع اليه بعرفات شاب قد صار كالفرخ فقال
ما شانه فقال العشق فجعل عامة يومه يستعيذ من العشق فهذا التفسير من قال من عشق
وعف وكتم ومات فهو شهيد ومما يوضح ذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم عد الشهداء فى
الصحيح فذكر المقتول فى الجهاد والمبطون والحرق والنفساء يقتلها ولدها والغرق وصاحب
الهدم فلم يذكر منهم العاشق لقتله العشق حسب قتيل العشق ان يصح له هذا الاثر عن ابن عباس
رضى الله عنهما على انه لا يدخل الجنة حتى يصبر لله ويعف لله ويكتم لله وهذا لا يكون الا مع قدرته على
معشوقه وايثار محبة الله وخوفه ورضاه ولكن احق من دخل تحت قوله تعالى واما من
خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى وتحت قوله تعالى
ولمن خاف مقام ربه جنتان فنسأل الله العظيم رب العرش الكريم ان يجعلنا ممن اثر
رضاه على هواه وابتغى بذلك قربه ورضاه آمين يارب العالمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه اجمعين

صورة ما ارخه العلامة القمقام مولانا الحاج الحافظ الحكيم محمد عبد السلام
حفظه الله من شرور الليالى والايام

ب اسبغ رشدا علينا	فلم اغو من الشيطان غيا
ت من رحيق الحق كأسا	فلم اسعى بامر الله عيا
بل راح منا شل عادٍ	من اثمار اذا اطلعت ثريا
كفى الناس اسارة اعتقاد	ليوم يستوى الاوجاه شيا

وليستشفى به كل عليل
ويروى عطش الجنات ريا
١٣..ھ

ما عليه
يصحح
شهد
كالرمح
الحرق الغرق
ذات الجنب
هذا من

ایضاً

نباہی نحن بالکافی کتاباً — عسیٰ ان ینفع عبداً و حُرّا
وان یبقیٰ علیٰ صفحات دہر — فلن یمسّیٰ اذن ولن یُ...
واحسبہ یطیب کل نفس — ویأتی تاجہ لئن یجہ...

وفاق الکوکب الدرّی ضوءًا
وضاہی زاہیناً دَرًّا و دُرًّا
۱۳ھ

ایضاً لمجمع الکمالات الصوری والمعنوی المولوی ابی الخ... ضمیر الحق الآروی سلمہ ربہ اللہ القوی

قد انطبع الکتاب المستطاب — فسرّوا ایہا الخلان سُرّ...
نتوب من خطایانا جمیعاً — وان کان لنا ذاالامر مُ...
وندعو ربّنا فی کل حال — لیحفظنا من الاعمال ...

فلمّا استتمّ الطبع قلت
کتابٌ شاع فی الآفاق طرّا
۱۳ھ

ایضاً فارسی از نتائج طبع سامی جناب مولوی محمد عبدال... صاحب بانگرموی ثم التالگرامی سلمہ ربہ

کتاب نادرِ حسن و خوبی بنزلور طبع شد مجلّیٰ — دوای شافی علاج کامل ہر آنکہ از درد ہای ...
عزیزے از سر غایت عشق بگفت راس العین رقم زد — جواب بادوق عجیب واعجب لبسند ہر صاحب لیاقت
۱۳ھ

داخلہ	۱۴۳۹۳۴
فن نمبر	رف ۹
کتاب نمبر	۴۳۵ ع

